أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 8، العدد 27 (2017). ص ص 1-18

أثر العوامل التنظيمية والبيئية على جاهزية المنظمات السعودية لاستخدام التجارة الإلكترونية: دراسة تطبيقية على شركات الاستيراد والتصدير

رحمه الحاج محمد الحاج[1]

الملخص: هدفت هذه الدراسة للتعرف على أثر العوامل التنظيمية والبيئية على جاهزية المنظمات السعودية لاستخدام التجارة الإلكترونية - دراسة تطبيقية على شركات الاستيراد والتصدير بالمملكة العربية السعودية، وتوصلت الدراسة إلى أنه لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى المتغيرات التنظيمية، وأيضا لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى المتغيرات البيئية. وأوصت الدراسة بتوفير بنية تحتية قوية ومتكاملة للاتصالات وتقنية المعلومات، واختيار الكفاءات البشرية المدربة والمؤهلة علمياً في مجال التسويق ومجال التجارة الالكترونية، واستقدام التكنولوجيا المتقدمة من أجهزة وبرامج حاسب إلى لسرعة تحميل البيانات والمعلومات وإجراءات البيع والشراء عبر الانترنت.

الكلمات المفتاحية: العوامل التنظيمية والبيئية، جاهزية المنظمات السعودية، التجارة الالكترونية.

The Effect of Regulatory and Environmental Factors on the Readiness of the Saudi Organizations to Use E-Commerce: Case Study on Import and Export Companies

Rahma Elhag Mohamed Elhag

Abstract: This study aimed to identify the effect of regulatory and environmental factors on the readiness of the Saudi organizations to use e-commerce - A Case Study on the import and export of Saudi Arabia companies, the study found that there were no significant differences in the degree of readiness of organizations to implement e-commerce due to the regulatory changes, also do not exist significant differences in the degree of readiness of organizations to implement e-commerce due to environmental variables. The study recommended providing a powerful, integrated telecommunications and information technology infrastructure, the choice of human resources scientifically trained and qualified in the field of marketing and e-commerce, and the introduction of advanced technology hardware and software computer to the speed of downloading data, information and procedures for buying and selling online.

Key words: organizational and environmental factors, readiness of Saudi Arabia organizations, E-commerce.

[1] أستاذ مشارك كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية وكلية العلوم الإدارية جامعة أم درمان الإسلامية.
rahama2011@gmail.com

مقدمة:

لقد ساهم التطور السريع في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وزيادة استخدام الانترنت بين المنظمات على ظهور ما يعرف بالتجارة الإلكترونية، فلقد ظهر مصطلح التجارة الإلكترونية فقط في السنوات الأخيرة وذلك بسبب إدراك المنظمات لدور الانترنت كوسيط فعال في أداء أعمال المنظمات. وتعتبر التجارة الإلكترونية وسيلة مثلى في شراء العديد من السلع والخدمات من أي بلد في العالم مع توفير الوقت والجهد ومن المتوقع أن تزيد الاستثمارات العالمية في هذا المجال الجديد ويصبح من أهم المجالات التنافسية في زمن العولمة. ولقد ساهمت التجارة الإلكترونية في زيادة علاقات المنظمات الافتراضية والتي تتمثل في علاقة المنظمة بالموردين، علاقة المنظمة بالعملاء، علاقة المنظمة بالمنظمات الأخرى (Wang &Lin, 2008).

ويرجع مفهوم التجارة الإلكترونية إلى بداية السبعينات من القرن العشرين باستخدام شركات أمريكية شبكات خاصة تربطها بعملائها وشركاء أعمالها. ويوجد ثلاث موجات للتجارة الإلكترونية، الموجة الأولي هي تقنية تبادل البيانات الإلكترونية التقليدية (EDI) والتي استخدمت في الفترة بين 1980 و1990 وهذه سنحت الفرصة لظهور الموجة الثانية وهي التجارة الإلكترونية. والفرق بين الموجة الأولى والثانية أن التحولات الإلكترونية في الموجة الأولى كانت تحدث بين شركاء معروفين ومحددين سلفاً، أما في الموجة الثانية فالعملية تتم مع عملاء افتراضيين غرباء غير معروفين.

الموجة الثالثة والتي يطلق عليها المجتمع الإلكتروني الجديد نجد أنها تعتمد على كثرة المعاملات وسلامتها والاعتماد الزائد على الوكالات، فهي تركز على أن المعاملات تتم عبر الانترنت أو التطبيقات المختلفة وهي سليمة وخالية من الاختراقات (Greenstein & Vasarhelyi, 2002).

أهمية البحث:

1. إن البحث الحالي يلقي الضوء على المنظمات السعودية التي تعمل بقطاع الاستيراد والتصدير (مجال التطبيق) وهو من القطاعات الرئيسية التي تمس جميع المواطنين، حيث أن خدماتها غالباً ما تمس الجميع.
2. يعتقد الباحث أن استخدام نتائج هذا البحث سوف يساعد مديري المنظمات على معرفة العوامل التي تؤثر على استخدام التجارة الإلكترونية، والتعرف على درجة جاهزية تلك المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية بالإضافة إلى معرفة الصعوبات التي يمكن أن تواجه المنظمات عند استخدام التجارة الإلكترونية.
3. ومن أهمية هذا البحث تم تمويله من عمادة البحث العلمي بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية.

إن نتائج هذا البحث تساعد المنظمات السعودية على تطبيق نظام التجارة الإلكترونية والاستفادة من المزايا المترتبة من تطبيق هذا النظام.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. هل هناك تأثير للعوامل التنظيمية على درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية؟

ويترتب عن الإجابة على هذا السؤال عدة أسئلة فرعية:

أ. هل تختلف درجة جاهزية المنظمات باختلاف نوع نشاط هذه المنظمات؟

ب. هل تختلف درجة جاهزية المنظمات باختلاف حجم المنظمة؟

ج. هل تختلف درجة جاهزية المنظمات باختلاف إدراك أفرادها لعناصر التجارة الإلكترونية؟

د. هل تختلف درجة جاهزية المنظمات باختلاف الموارد البشرية المتاحة؟
هـ. هل تختلف درجة جاهزية المنظمات باختلاف الموارد التكنولوجية المتاحة؟
و. هل تختلف درجة جاهزية المنظمات باختلاف الموارد التنظيمية المتاحة؟
ز. هل تختلف درجة جاهزية المنظمات باختلاف دعم الإدارة العليا؟

2. هل هناك تأثير للعوامل البيئية على درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية؟

ويترتب عن الإجابة على هذا السؤال عدة أسئلة فرعية:

أ. هل تختلف درجة جاهزية المنظمات باختلاف جاهزية الحكومة الإلكترونية؟
ب. هل تختلف درجة جاهزية المنظمات باختلاف الجاهزية الإلكترونية لقوى السوق؟
ج. هل تختلف درجة جاهزية المنظمات باختلاف الجاهزية الإلكترونية للصناعات المدعمة؟

فروض البحث:

تحقيقاً لأهداف الدراسة، قام الباحث بصياغة الفروض التالية:

1. لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى المتغيرات التنظيمية.

وينقسم هذا الفرض إلى الفروض الفرعية التالية:

1/1. لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى نوع النشاط.
2/1. لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى حجم المنظمة.
3/1. لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى إدراك الأفراد لعناصر التجارة الإلكترونية.
4/1. لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى الموارد التكنولوجية المتاحة.
5/1. لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى الموارد التنظيمية.
6/1. لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى دعم الإدارة العليا.
7/1. لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى الموارد البشرية المتاحة.

2. لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى المتغيرات البيئية.

وينقسم هذا الفرض إلى الفروض الفرعية التالية:

1/2. لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى جاهزية الحكومة الإلكترونية.
2/2. لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى الجاهزية الإلكترونية لقوى السوق.
3/2. لا توجد فروق جوهرية في درجة جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية تعزى إلى الجاهزية الإلكترونية للصناعات المدعمة.

3. لا تختلف الأهمية النسبية للعوامل التنظيمية والبيئية في تأثيرها على جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية.

رابعاً: أسلوب الدراسة:

سوف تعتمد الدراسة على أسلوبين من مصادر جمع البيانات والمعلومات وهما:

أ- أسلوب الثانوية للبيانات:

وتشـــمل الاطلاع على المراجع العربية والأجنبية من كتب ودوريات وبحوث ورســـائل مرتبطة بموضوع الدراسة وكذلك الاطلاع على السجلات والدوريات والإحصائيات الخاصة بالقطاع محل الدراسة.

ب- الدراسة الأولية للبيانات:

سيتم جمع البيانات من خلال استخدام قائمة استقصاء والتي سيتم إعدادها في ضوء نتائج البحوث والدراسات العلمية السابقة وذلك بهدف التعرف على:-

1. أثر العوامل التنظيمية على جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية.
2. أثر العوامل البيئية على جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية.
3. درجة تطبيق المنظمات للتجارة الإلكترونية.

كما سيتم إجراء اختبارات الصدق والثبات Validity & Reliability لقائمة الاستقصاء.

مجتمع وعينة البحث:

يتمثل **مجتمع** هذه الدراسة في المنظمات السعودية التي تعمل في قطاع الاستيراد والتصدير. ويتمثل وحدة **المعاينة** لهذه الدراسة: مديري الإدارة العليا والوسطى.

ويوضـــح الجدول التإلى عدد الشـــركات التي تعمل بقطاع الاســـتيراد والتصـــدير بالمملكة العربية السعودية (الرياض)

جدول 1 الشركات التي تعمل بقطاع الاستيراد والتصدير بمدينة الرياض المملكة العربية السعودية:

رقم	اسم الشركة	نوع النشاط
1	شركة الخريف التجارية	منتجات
2	توكيلات الجردان الدولية	خدمات
3	مؤسسة التقنيات المتكاملة للتجارة والخدمات	منتجات
4	شركة الجيل الرائد للاستثمار التجاري	منتجات
5	شركة السيف للتوكيلات التجارية	منتجات
6	شركة إبراهيم الجفإلى وأخوانه للمعدات الفنية (جيتيكو)	منتجات
7	الفوزان للتوزيع	منتجات
8	شركة سوق الرياضة المحدودة	منتجات – خدمات
9	شركة التدوير السعودية	منتجات
10	شركة الغامدي للأدوية الصحية	منتجات - خدمات
11	مؤسسة فتحي المحتسب التجارية	منتجات - خدمات
12	شركة الرسام المحدودة	منتجات - خدمات

الدراسات السابقة:

تضـم الدراسـات السـابقة عدداً من الدراسـات التي تناولت العوامل التي تؤثر في التجارة الالكترونية وهي كما يلي:

1. دراسة (Teng, 2000): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي توثر على تطبيق المنظمات الصغيرة للتجارة الإلكترونية. وتضمنت الدراسة المتغيرات التالية: أ. متغيرات خاصة بخصائص المديرين (تتمثل في اتجاه المديرين نحو قبول التجديد، ومدى معرفة المديرين للتجارة الإلكترونية). ب. متغيرات تنظيمية (وتتمثل في حجم المنظمة، ومدى توافر الدورات التدريبية Training auailability، والخبرة الفنية بالمنظمة (Tecnical expertise.
ج. متغيرات بيئية (وتتمثل في البيئة التنافسية للصناعة). د. متغيرات تكنولوجية وتتمثل في المزايا المحققة من تطبيق التجارة الإلكترونية، مدى توافق استخدام التجارة الإلكترونية مع احتياجات المنظمة، درجة تعقد استخدام التجارة الإلكترونية، الفوائد المدركة، المعوقات / الصعوبات المدركة Perceived Barrirs). وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:
أ. توثر كلاً من خصائص المديرين والعوامل التنظيمية والعوامل التكنولوجية تأثيراً جوهرياً على تطبيق المنظمات للتجارة الإلكترونية. ب. لا يوجد تأثير للعوامل البيئية على تطبيق المنظمات للتجارة الإلكترونية.

2. دراسة (Lin,2001): استهدفت الدراسة اقتراح نموذج للعوامل المؤثرة على تطبيق المنظمات صغيرة ومتوسطة الحجم للتجارة الإلكترونية. وتوصلت نتائج الدراسة إلى أنه يمكن تقسيم العوامل التي تؤثر على تطبيق المنظمات للتجارة الإلكترونية إلى عوامل تنظيمية وعوامل بيئية.
وتتمثل العوامل التنظيمية في كلاً من: أ. عوامل خاصة بالمنظمة (وتتمثل في حجم المنظمة، دعم الإدارة العليا، جاهزية المنظمة، الهيكل التنظيمي، الثقافة التنظيمية). ب. عوامل خاصة بالأساليب الحديثة (وتتمثل في المزايا المحققة من تطبيق التجارة الإلكترونية، ودرجة تعقد استخدام التجارة الإلكترونية، إمكانية تجربة التجارة الإلكترونية Trainability، درجة توافق استخدام التجارة الإلكترونية مع احتياجات وإمكانيات المنظمة).
وتتمثل العوامل البيئية في كلاً من: أ. عوامل خاصة بالصناعة (وتتمثل في الضغوط التنافسية، والضغوط الناتجة من شركاء العمل). ب. عوامل على المستوى القومي (وتتمثل في دعم الحكومة، والبنية التحتية لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، والاختلافات الثقافية).

3. دراسة (Bertschek & Fryges, 2002): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تؤثر على تطبيق المنظمات للتجارة الإلكترونية بدولة ألمانيا وذلك بالتطبيق على القطاع الصناعي وقطاع الخدمات. وتضمنت الدراسة المتغيرات التالية: **أ.** حجم المنظمة. **ب.** عمر المنظمة.
ج. الموارد البشرية المتاحة. د. كثافة استخدام تكنولوجيا المعلومات. ه. الضغوط التنافسية.
ولقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: 1. تؤثر كلاً من – حجم المنظمة، والموارد البشرية المتاحة، وكثافة استخدام تكنولوجيا المعلومات، والضغوط التنافسية – تأثيراً معنوياً على تطبيق التجارة الإلكترونية. 2. لا يؤثر عمر المنظمة تأثيراً معنوياً على تطبيق التجارة الإلكترونية.

4. دراسة (Heung, 2003): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تعوق تطبيق التجارة الإلكترونية بقطاع الرحلات (Travel agencies) ولقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن هناك خمسة عوامل قد تعوق تطبيق التجارة الإلكترونية، هذه العوامل هي:
أ. دعم الإدارة العليا. ب. عوامل تقنية. ج. معرفة الموظفين بالتجارة الإلكترونية. د. الأمن.
ه. مشاركة الأطراف المتعاملة مع المنظمة Partner's Participation

5. دراسة (Scupola, 2003): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التنظيمية والبيئية والتكنولوجية التي تؤثر على قبول وتطبيق التجارة الإلكترونية بالمنظمات صغيرة ومتوسطة الحجم والتي تقع في جنوب ايطاليا. وتضمنت الدراسة التالية: **أ.** المتغيرات البيئية (وتتمثل في الضغوط الناتجة من المنافسين والمستهلكين والموردين/ دور الحكومة/ البنية التحتية المدعمة للتكنولوجيا Technology support infrastructure / الإدارة العامة). **ب.** المتغيرات التنظيمية (وتتمثل في الموارد التكنولوجية والمالية المتاحة، ومدى معرفة الموظفين بنظم المعلومات، وحجم المنظمة).

ج. المتغيرات التكنولوجية (وتتمثل في عوائق التجارة الإلكترونية، وفوائد التجارة الإلكترونية، والتكنولوجيا المتعلقة بالتجارة الإلكترونية related technologies). ولقد توصلت الدراسة إلى الذتائج التالية: **1.** تؤثر العوامل البيئية على تطبيق التجارة الإلكترونية بصورة أكبر من تأثير العوامل التنظيمية والتكنولوجية. **2.** تتمثل العوامل البيئية التي تؤثر تأثيراً جوهرياً على تطبيق التجارة الإلكترونية في كلاً من تدخل الحكومة، والإدارة العامة، والضغوط الخارجية الناتجة من المنافسين والمستهلكين والموردين.

6. دراسة (Molla, 2004): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تؤثر على تطبيق التجارة الإلكترونية، وتتمثل المتغيرات المستقلة في: **أ.** العوامل التنظيمية (وتتمثل في الالتزام، والموارد البشرية المتاحة، والموارد التكنولوجية المتاحة، والموارد التنظيمية المتاحة، وطبيعة الإدارة).

ب. العوامل البيئية (وتتمثل في جاهزية الحكومة الإلكترونية، الجاهزية الإلكترونية لقوى السوق، جاهزية الصناعات المدعمة). أما المتغير التابع فيتمثل في مدى نجاح تطبيق التجارة الإلكترونية والذي يقاس بالعوامل الفرعية التالية: (التكاليف المنخفضة الناتجة من تطبيق التجارة الإلكترونية، تحسين الاتصال داخل المنظمة وبين المنظمة والمنظمات الأخرى، أداء المنظمة في سوق العمل، الرضى الكلي المحقق من استخدام التجارة الإلكترونية). ولقد توصلت الدراسة إلى أن كلاً من (الموارد التكنولوجية المتاحة، طبيعة الإدارة، والتزام المنظمة بتطبيق التجارة الإلكترونية) لها تأثير جوهري على نجاح تطبيق التجارة الإلكترونية وعلى الفوائد المحققة من تطبيقها.

7. دراسة (Mackay et al, 2004): استهدفت الدراسة تحديد أثر بعض العوامل على تطبيق التجارة الإلكترونية في المنظمات صغيرة الحجم الغير هادفة للربح (small voluntary organizations) ولقد تضمنت الدراسة أربع متغيرات رئيسية: **أ.** الفوائد المدركة (وتتمثل في الفعالية، الكفاءة، الايرادات المحققة، قوة علاقة المنظمة بالعملاء)، **ب.** جاهزية المنظمات (وتتمثل في الموارد التكنولوجية، الموارد المالية، الجاهزية الإستراتيجية)، **ج.** الضغوط المدركة (وتتمثل في الضغوط الناتجة من أصحاب المصالح الداخليين والخارجيين)، د. المخاطر الاجتماعية الناتجة. ولقد توصلت الدراسة إلى أن كلاً من الفوائد المدركة، جاهزية المنظمات، الضغوط المدركة، والمخاطر الاجتماعية الناتجة لها تأثير جوهري على تطبيق التجارة الإلكترونية.

8. دراسة (Tsao et al, 2004): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تؤثر على نجاح تطبيق المنظمات صغيرة ومتوسطة الحجم للتجارة الإلكترونية بمدينة تايلاند، وتضمنت الدراسة المتغيرات التالية: **أ.** دعم الإدارة العليا، **ب.** الجاهزية التنظيمية، ج. الفوائد المحققة من استخدام تكنولوجيا المعلومات، د. مقاومة العاملين للتغيير staff resistance، ه. دعم الحكومة للتجارة الإلكترونية، و. تكامل / توافق استخدام التجارة الإلكترونية مع الإستراتيجية التسويقية للمنظمة. ولقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن العوامل التنظيمية والمتمثلة في كلاً من (دعم الإدارة العليا، الجاهزية التنظيمية، تكامل التجارة التكنولوجية مع الإستراتيجية التسويقية، مقاومة العاملين للتغيير) لها تأثير جوهري على نجاح تطبيق التجارة الإلكترونية.

9. دراسة (Guansekaran & Nagi, 2005): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تؤثر على نجاح تطبيق التجارة الإلكترونية، وتحديد الآثار الناتجة عن تطبيق التجارة الإلكترونية في المنظمات بهونج كونج. وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن العوامل التي تؤثر على تطبيق المنظمات للتجارة الإلكترونية تتمثل في العوامل التالية: المنفعة المدركة من استخدام الانترنت، العوامل المدركة من استخدام الانترنت، الاستخدام الكلي للإنترنت، الفوائد المدركة من استخدام الانترنت في التجارة الإلكتروني. وبالإضافة إلى تلك العوامل توجد عوامل بيئية تؤثر على التجارة الإلكترونية وهي الثقافة، القدرة التكنولوجية، سياسة الحكومة، المستوى التعليمي.

10. دراسة (Molla & Licker, 2005): استهدفت الدراسة اقتراح نموذج يقيم جاهزية المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية بالدول النامية، ويتكون هذا النموذج من متغيرات تنظيمية وبيئية. تتمثل المتغيرات التنظيمية في (إدراك أفراد المنظمة لعناصر التجارة الإلكترونية / التزام الإدارة / الموارد البشرية المتاحة / الموارد التكنولوجية المتاحة / الموارد التنظيمية المتاحة / طبيعة الإدارة). أما المتغيرات البيئية فتتمثل في (جاهزية الحكومة الإلكترونية/ الجاهزية الإلكترونية لقوى السوق/ الجاهزية الإلكترونية للصناعات المدعمة). ولقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: أ. أن العوامل التنظيمية وخاصة (الموارد البشرية، الموارد التكنولوجية، الإدراك) تؤثر على التطبيق المبدئي للتجارة الإلكترونية وبصورة أكبر من تأثير العوامل البيئية. ب. أن كلاً من العوامل البيئية وبعدي الالتزام ونمط الإدارة يؤثران على عملية التطبيق الفعلي للتجارة الإلكترونية.

11. دراسة (Aghauner & fotoh, 2006): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تؤثر على تطبيق التجارة الإلكترونية بقطاع البنوك، ولقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن هناك تسع عوامل تؤثر على تطبيق التجارة الإلكترونية وهذه العوامل هي (مرتبة حسب درجة تأثيرها وأهميتها): أ. درجة تعقد تطبيق التجارة الإلكترونية perceived complexity، ب. فوائد تطبيق التجارة الإلكترونية perceived benefits، ج. الموارد التنظيمية Organizational competence، د. مدى توافق التجارة الإلكترونية مع احتياجات المنظمة، ه. الجاهزية الإلكترونية للصناعات المدعمة، و. دعم الإدارة العليا، ز. الجاهزية الإلكترونية لقوى السوق.

ح. موارد تكنولوجيا المعلومات المتاحة IT Capability، ط. جاهزية الحكومة الإلكترونية.

12. دراسة (Chong, 2006): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تؤثر على درجة تطبيق المنظمات صغيرة ومتوسطة الحجم للتجارة الإلكترونية بدولة استراليا. وقد قسمت الدراسة المتغيرات إلى متغيرات تنظيمية ومتغيرات بيئية. وتتمثل المتغيرات التنظيمية في كلاً من:

أ. متغيرات خاصة بالمنظمة (تتمثل في حجم المنظمة، دعم الإدارة العليا، جاهزية المنظمة، عمر المنظمة)، ب. متغيرات خاصة بالأساليب الحديثة innovativeness (تتمثل في المزايا المحققة من تطبيق التجارة الإلكترونية، درجة توافق التجارة الإلكترونية مع احتياجات المنظمة وعملياتها، مدى تعقد استخدام التجارة الإلكترونية، إمكانية تجربة التجارة الإلكترونية).

ج. الاتصال (تتمثل في مصادر المعلومات، قنوات الاتصال المتاحة، حجم الاتصال)

وتتمثل المتغيرات البيئية في كلاً من: أ. عوامل خاصة بالصناعة (تتمثل في الضغوط الناتجة من شركاء العمل، الضغوط الناتجة من المنافسين، تأثير المؤسسات الغير تجارية Non- trading institutional influence)، ب. عوامل قومية National (تتمثل في الدعم الحكومي). ولقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن العوامل التي تؤثر على تطبيق التجارة الإلكترونية تتمثل في: (المزايا المدركة من تطبيق التجارة الإلكترونية، إمكانية تجربة التجارة الإلكترونية، تنوع مصادر المعلومات، حجم الاتصال، الضغوط التنافسية، تأثير المؤسسات الغير تجارية).

13. دراسة (Lertwongstien & Wongpinawatana, 2006): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تؤثر على قرار تطبيق التجارة الإلكترونية بالمنظمات صغيرة ومتوسطة الحجم بتايلاند. تم تصنيف العوامل إلى عوامل تنظيمية، بيئية، وتكنولوجية. وتضمنت الدراسة المتغيرات التالية: أ. المتغيرات التنظيمية (تتمثل في حجم المنظمة، دعم الإدارة العليا للتجارة الإلكترونية، وجود قسم لتكنولوجيا المعلومات بالمنظمة)، ب. متغيرات تكنولوجية (تتكثل في الفوائد المدركة من تطبيق التجارة الإلكترونية، توافق التكنولوجيا المستخدمة مع احتياجات المنظمة)، ج. متغيرات

بيئية (تتمثل في حجم التنافس بين المنظمات). وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن كلاً من العوامل التنظيمية والتكنولوجية والبيئية تؤثر تأثيراً جوهرياً على قرار المنظمات لتطبيق التجارة الإلكترونية.

15. دراسة (Nikolaeva, 2006): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تؤثر على استخدام التجارة الإلكترونية في قطاع بيع التجزئة Retail sector، وتضمنت الدراسة المتغيرات التالية:

أ. الفوائد المدركة (وتتمثل في الفرص المتوقعة من تطبيق التجارة الإلكترونية والتي تقاس بمعدل نمو السوق، البيئة الاقتصادية والتكنولوجية العامة، كثافة الإعلانات المطلوبة بالقطاع).

ب. الجاهزية التنظيمية (وتتمثل في حجم المنظمة، طبيعة المنظمة، طبيعة المنتج وملائمته للبيئة الإلكترونية)

ج. تأثيرات خارجية (تتمثل في الكثافة السكانية Population density، الشركات التجارية العامة Publicly traded companies). وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن:1- تؤثر كلاً من جاهزية المنظمات، والتأثيرات الخارجية تأثيراً جوهرياً على استخدام التجارة الإلكترونية.

2- لا تؤثر الفوائد المدركة تأثيراً جوهرياً على تطبيق التجارة الإلكترونية.3- يرتبط تطبيق التجارة الإلكترونية إلى حد كبير بالضغوط الخارجية.

16. دراسة (Thatcher et al., 2006): استهدفت الدراسة تحديد درجة تأثير كلاً من العوامل التنظيمية، الصناعية، الحكومية، والثقافية على قرار مديري الشركات لاستخدام التجارة الالكترونية. ولقد تضمنت الدراسة العوامل الفرعية التالية: أ. العوامل التنظيمية (درجة تعقد تكنولوجيا المعلومات المستخدمة IT sophistication، دعم الإدارة العليا، حجم المنظمة).

ب. عوامل صناعية (مدى استجابة الصناعة الالكترونية، أهمية خفض التكاليف بالصناعة، الشركات متعددة الجنسيات). ج. عوامل حكومية (السياسات المدعمة للتجارة الالكترونية، الفروع المدعمة للتجارة الالكترونية Subsides promoting ecommerce).

د. عوامل ثقافية. ولقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن:1. العوامل التنظيمية، والصناعية، والحكومية، والثقافية تؤثر تأثيراً جوهرياً على تطبيق التجارة الالكترونية.2. أن طبيعة تأثير عامل الثقافة يتوقف على نوع الصناعة (أي أن تأثير الثقافة يختلف باختلاف نوع الصناعة).

17. دراسة (Afzal, 2007): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تؤثر على تطبيق التجارة الالكترونية في المنظمات صغيرة ومتوسطة الحجم بدولة إيران. وتضمنت الدراسة العوامل التالية: أ. عوامل تنظيمية (تتمثل في حجم المنظمة، نوع النشاط)، ب. عوامل تكنولوجية (تتمثل في المزايا المحققة من تطبيق التكنولوجيا، تكاليف تطبيق التكنولوجيا، توافق التكنولوجيا المستخدمة مع احتياجات المنظمة)، ج. عوامل بيئية (تتمثل في المنافسين، الضغوط الناتجة من الموردين والمستهلكين، الدعم الالكتروني)، د. عوامل إدارية Manager-Owner factors (تتمثل في قدرة المديرين على استخدام الأساليب الحديثة، دعم المديرين لاستخدام الأساليب الحديثة). وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن لكل من العوامل التنظيمية، والتكنولوجية، والبيئية، والإدارية تأثير جوهري على تطبيق المنظمات للتجارة الالكترونية.

18. دراسة (Requena et al., 2007): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تؤثر على قرار مديري الشركات لقبول التجارة الالكترونية، ومن ثم تحديد إلى أي مدى تؤثر هذه العوامل على استخدام التجارة الالكترونية في بيع وشراء المنتجات وأداء الخدمات، ولقد تضمنت الدراسة

المتغيرات التالية: (البيئة التنافسية، الخصائص التنظيمية، التوجيه الاستراتيجي، القدرة الإبداعية للشركة، خصائص المدير، تكنولوجيا المعلومات المتاحة بالشركة).

ولقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: أ. تؤثر كلا من البيئة التنافسية، الخصائص التنظيمية، التوجه الاستراتيجي تأثيرا جوهريا على تطبيق المنظمات للتجارة الالكترونية، ب. تؤثر خصائص المديرين تأثيرا جوهريا على استخدام المنظمات للتجارة الالكترونية في عملية بيع وشراء المنتجات، ج. أن العوامل التي تؤثر على قبول التجارة الالكترونية تختلف عن العوامل التي تؤثر على استخدام التجارة الالكترونية في شراء وبيع المنتجات وأداء الخد/ مات الكترونيا.

19. دراسة (Tan et al. , 2007): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التنظيمية والبيئية التي تعوق استخدام التجارة الالكترونية في دولة الصين، وتضمنت الدراسة المتغيرات التالية:

أ. المتغيرات التنظيمية (حجم المنظمة / نوع النشاط / المستوى التعليمي للموظفين / ادراك أفراد المنظمة للتجارة الالكترونية / التزام الإدارة / الموارد البشرية / الموارد التكنولوجية / الموارد التنظيمية / طبيعة الإدارة)، ب. المتغيرات البيئية (جاهزية الحكومة / الجاهزية الالكترونية لقوى السوق / الجاهزية الالكترونية للصناعات المدعمة)، وتوصلت الدراسة إلى أن العوامل التي تعوق وتمنع تطبيع التجارة الالكترونية هي: وجود بعض القيود لدخول الكمبيوتر، فقدان الثقة الداخلية، عدم وجود قاعدة بيانات جيدة لتبادل المعلومات داخل الشركات، عدم القدرة على التعامل مع المتغيرات السريعة. كما توصلت النتائج أيضا إلى أن العوامل التنظيمية والبيئية تؤثر تأثيرا معنويا على تطبيق المنظمات للتجارة الالكترونية.

20- دراسة (Fathian et al., 2008): استهدفت الدراسة اقتراح نموذج يقيم الجاهزية الالكترونية للشركات الصغيرة ومتوسطة الحجم الغير هادفة للربح في دولة إيران، وخاصة جاهزية تلك المنظمات لتطبيق التجارة الالكترونية. ولقد توصلت نتائج الدراسة إلى أنه يمكن تقييم جاهزية تلك المنظمات تلك المنظمات من خلال أربعة عوامل (العوامل التنظيمية / البنية التحتية لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات / تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات المتاحة / البيئة التشريعية والأمنية).

21. دراسة (Wang & Lin , 2008): استهدفت الدراسة تحديد العوامل التي تتنبأ وتؤثر على نجاح تطبيق التجارة الالكترونية وذلك بالمنظمات الصغيرة والمتوسطة الحجم. ولقد أوضحت نتائج الدراسة بأن هناك ستة عوامل تؤثر على نجاح تطبيق التجارة الالكترونية. هذه العوامل هي (دعم الإدارة العليا، خصائص الصناعة التي تعمل بها المنظمة، سياسات الحكومة، ثقافة المنظمة، حجم المنظمة، تكامل تكنولوجيا المعلومات).

وفي ضوء الدراسات السابقة يخلص الباحث إلى ما يلي:

1- قسمت بعض الدراسات العوامل التي تؤثر على تطبيق المنظمات للتجارة الالكترونية إلى ثلاثة عوامل رئيسية (عوامل تنظيمية، بيئية، تكنولوجية). كما في دراسة (Teng, 2000 ; Scupola, 2003 ; Lertwongstien & Wongpinawatana, 2006 ; Afzal, 2007).
2- قسمت بعض الدراسات الأخرى العوامل التي تؤثر على تطبيق المنظمات للتجارة الالكترونية إلى عاملين رئيسيين: (عوامل تنظيمية، وعوامل بيئية). كما في دراسة (Lin,2001 ; Molla, 2004 ; Molla & Licker, 2005 ; Chong, 2006; Tan et al. , 2007).

3- اتفق كلا من (Molla, 2004 ; Molla & Licker, 2005 ; Tan et al. , 2007) على أن المتغيرات التنظيمية التي تؤثر على تطبيق المنظمات للتجارة الالكترونية تتمثل في:

أ- الموارد البشرية المتاحة.
ب- الموارد التكنولوجية المتاحة.
ج- الموارد التنظيمية.
د- إدراك أفراد المنظمة للتجارة الالكترونية.

وسوف يضيف الباحث المتغيرات التالية لما لها من أهمية في تطبيق التجارة الالكترونية وهي:

أ- حجم المنظمة.
ب- نوع النشاط.
ج- دعم الإدارة العليا.

4- اتفق كلا من: **(Molla, 2004 ; Molla & Licker, 2005 ; Tan et al. , 2007 ; Aghauner & fotoh, 2006)**.

على أن المتغيرات البيئية التي تؤثر على تطبيق المنظمات للتجارة الالكترونية تتمثل في:

أ- جاهزية الحكومة الالكترونية.
ب- الجاهزية الالكترونية لقوى السوق.
ج- الجاهزية الالكترونية للصناعات المدعمة.

وهذا الاتفاق على المتغيرات دعا الباحث للاعتماد عليها عند تناوله للمتغيرات البيئية.

متغيرات البحث:

أولاً: المتغيرات المستقلة:

وتتكون المتغيرات المستقلة من عومل تنظيمية (داخلية) وعوامل بيئية (خارجية).

1/ العوامل التنظيمية:

أ. نوع النشاط Sector:

هل نوع النشـــاط الذي تقوم بـه المنظمـة (منتجـات أو خدمـات) يؤثر في تطبيق التجـارة الإلكترونية. (Tan et. al, 2007)

ب. حجم المنظمة: Firm size

يقيس هذا المتغير عدد الموظفين الذين يعملون في المنظمة. (Tan et. al, 2007)

ج. إدراك أفراد المنظمة للتجارة الإلكترونية: Awareness

ويقيس هذا المتغير درجة إدراك العاملين بالمنظمة لعناصـــر التجارة الإلكترونية الموجودة بالبيئة، وذلك من خلال قياس درجة اســـتيعاب العاملين لتكنولوجيا التجارة الإلكترونية، ومعرفة متطلبات تطبيقها، ومعرفة فوائد وعيوب تطبيق التجارة الإلكترونية، ومعرفة التوجهات المســـتقبلية للتجارة الإلكترونية وأثر هذه التوجهات (Molla & Licher 2005,. Tan et al. 2007).

د. الموارد التكنولوجية المتاحة: Technological resources

وتشير إلى قاعدة تكنولوجيا الاتصـالات والمعلومات الموجودة بالمنظمة، ويقيم هذا المتغير درجة اســـتخدام المنظمات للحاســـب الآلي، مرونة الأنظمة الموجودة بالمنظمة، وخبرة المنظمة باســـتخدام التطبيقات الإلكترونية. (Molla & Licher 2005; Molla 2004; Tan et al. 2007)

ه. الموارد التنظيمية: Business resources

ويقيم هذا المتغير نطاق واسع من الموارد ومعظم الأصول الغير ملموسة بالمنظمة، فهو يقيم التالي:(Molla & Licher, 2005)

- فعالية قنوات الاتصال
- اتجاه مديري المنظمات نحو اتخاذ المخاطر
- طبيعة وشكل العلاقات الموجودة بين الأفراد داخل المنظمة.

وفرة الموارد المالية اللازمة لتمويل التجارة الإلكترونية.

و. دعم الإدارة العليا: Top Management Support

فتطبيق التجارة الإلكترونية يعتمد إلى حد كبير على توافر دعم من الإدارة العليا ومدى تأييدها لتطبيق التجارة الإلكترونية. وتتكون الإدارة العليا من أفراد لديهم القوة والسلطة على صنع قرارات إستراتيجية وبالتالي فإنهم يمكنهم وضع رؤية وإستراتيجية واضحة لتطبيق التجارة الإلكترونية، كما يمكنهم توضيح ونشر أهمية التجارة الإلكترونية لجميع الأفراد العاملين بالمنظمة (Aghaunor & Fotoh, 2006).

ز. العوامل البشرية المتاحة: Human resources

وتشير إلى توافر موظفين ذو خبرة جيدة وقدرة على استخدام وسائل تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وذو مهارات أخرى (مثل مهارات تسويقية ووضع خطط استراتيجية) وتعتبر هذه المهارات ضرورية لاستخدام التجارة الإلكترونية. (Molla & Licher 2005)

2/ العوامل البيئية:

تتكون العوامل البيئية من ثلاثة متغيرات هي:

أ. جاهزية الحكومة الإلكترونية: Government e-readiness

تقيم المنظمة درجة جاهزية الحكومة ومدى مساهمتها في ترويج ودعم وتسهيل وتنظيم وتطبيق التجارة الإلكترونية وتوفير متطلبات تطبيقها. فالحكومة لها دور فعال في ترويج ونشر فوائد التجارة الإلكترونية (Molla & Licher, 2005)

ب. الجاهزية الإلكترونية لقوى السوق: Market e-readiness

وتشير إلى تقييم الأطراف المتعاملة مع المنظمة (عملاء وموردين) وذلك لمعرفة مدى استعدادهم لإجراء تعاملاتهم مع المنظمة إلكترونياً. فحتى يمكن تطبيق التجارة الإلكترونية بنجاح يجب أن يكون لدى البائعين والمشترين قدرة على تبادل السلع والخدمات والدفع إلكترونياً. (Molla & Licher, 2005)

ج. الجاهزية الإلكترونية للصناعات المدعمة: Supporting industries e-readiness

وتشير إلى المنشآت التي تقدم دعماً للمنظمات التي تطبق التجارة الإلكترونية Support giving institutions، وهذه المنشآت مثل هيئات الاتصال، الهيئات التي تقدم دعما مالياً، قطاع تكنولوجيا المعلومات IT industry، والتي تؤثر أنشطتهم على تطبيق التجارة الإلكترونية بالدول النامية. فوجود بنية تحتية جيدة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات يعتبر أمراً ضرورياً لنجاح تطبيق التجارة الإلكترونية. (Molla & Licher, 2005)

ثانياً: المتغير التابع:

المتغير التابع هو درجة تطبيق المنظمات للتجارة الإلكترونية. ويرى(Molla & Licher, 2005) أن هناك ستة مستويات لقياس تطبيق التجارة الإلكترونية، هذه المستويات هي:

1. لا توجد تجارة إلكترونية No-ecommerce
2. الاتصال بالتجارة الإلكترونية Connected ecommerce
3. تجارة إلكترونية ثابتة Static ecommerce
4. تجارة إلكترونية تفاعلية Interactive ecommerce

5. تجارة إلكترونية تبادلية Transactive ecommerce
6. تجارة إلكترونية متكاملة Integrated ecommerce

وتم قياس كلاً من المتغيرات المستقلة والتابعة باستخدام قائمة استقصاء تم إعدادها خصيصاً لهذا الغرض.

الدراسة الميدانية:

التحليل الإحصائي:

في هذه الدراسة تم تحليل البيانات بواسطة برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الإجتماعية Statistical package for social sciences (SPSS)، باستخدام اختبار (ت) للعينة الواحدة One sample T test، والتحليل الوصفي بحساب الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والتكرارات والنسب المئوية، واختبار معامل ألفاكرونباخ لمعرفة مدي ثبات وصدق الإستبانة، حيث تم عرض النتائج التى كشفت عنها الدراسة فى سياق الاجابة عن أسئلة الدراسة وفرضياتها.

جدول (1): التكرارات والنسب المئوية لبيانات المتغير ما هو نوع النشاط الذي تقوم به شركتكم:

		التكرار	النسبة المئوية
	منتجات	122	%93.8
	خدمات	8	%6.2
	المجموع	130	%100.0

من الجدول أعلاه نجد أن أغلب نشاط الشركات محل الدراسة في مجال المنتجات وذلك بنسبة 93.8%، بينما تبلغ نسبة الشركات التي تعمل في مجال الخدمات 6.2%

جدول (2): التكرارات والنسب المئوية لبيانات المتغير ما هو عدد الموظفين في منظمتكم:

		التكرار	النسبة المئوية
	اقل من 50	68	%52.3
	من 51 إلى 500	62	%47.7
	المجموع	130	%100.0

من الجدول أعلاه نجد أن نسبة عدد موظفي الشركات الأقل من 50 موظف بلغ 52.3%، بينما بلغت نسبة عدد الموظفين (من 51 إلى 500) 47.7%

تحليل الصدق والثبات (Reliability and validity analysis):

الثبات هو استقرار المقياس وعدم تناقضه مع نفسه، أي أن المقياس يعطي نفس النتائج باحتمال مساوٍ لقيمة المعامل إذا أعيد تطبيقه على نفس العينة. والصدق يقصد به أن المقياس يقيس ما وضع لقياسه، ويحسب بإيجاد جذر معامل الثبات.

جدول (3): قيمتي معاملي الصدق والثبات الإجمالية باستخدام اختبار ألفا كرونباخ Cronbach's Alpha:

قيمة ألفا كرونباخ الإجمالية	0.9721
قيمة الصدق الإجمالية	00.986

من الجدول أعلاه نجد أن قيمة ألفا كرونباخ الإجمالية بلغت 0.9721 مما يدل علي الثبات الكبير للإستابة التي صممت لغرض الدراسة، وكذلك قيمة معامل الصدق Validity الإجمالية والتي نجدها مرتفعة جداً وتساوي تقريباً 0.9860 وهذا يدل علي ارتفاع صدق الاسئلة مما يؤكد كفاءة الاستبانة وقدرتها علي الإيفاء بما هو مطلوب من نتائج ثابتة وصادقة.

جدول رقم (4): قيمتي معاملي الصدق والثبات لعبارات الإستبانة:

العبارة	معامل ألفا كروبناخ	معامل الصدق
إن المنظمة على دراية بالفرص والتحديات التي تواجهها من تطبيق التجارة الالكترونية	0.9712	0.9855
يوجد للمنظمة رؤية واضحة لتطبيق التجارة الالكترونية	0.9709	0.9853
هذه الرؤية واضحة ومفهومة لجميع الموظفين بالمنظمة	0.9708	0.9853
لدى عملاءنا الاستعداد لإجراء معاملاتهم من خلال الانترنت	0.9717	0.9857

تشجع البيئة التشريعية الموجودة على اجراء الأعمال عبر الانترنت.	0.9729	0.9864
يوجد دعم كافي من قطاع الاتصالات والمعلومات لتدعيم الانتقال إلى إجراء المعاملات إلكترونيا.	0.9715	0.9856
توجد لدى المنظمة خبرة واسعة باستخدام التطبيقات الالكترونية.	0.9707	0.9852
إن المنظمة على دراية بنماذج التجارة الالكترونية المتاحة والتي يمكن تطبيقها في المنظمة.	0.9705	0.9851
يتاح للموظفين فرص للحصول على دورات تدريبية رسمية لاستخدام الانترنت.	0.9712	0.9855
تتسم الأنظمة الموجودة بالمنظمة بالمرونة مع الأذواق المتغيرة للمستهلكين.	0.9709	0.9853
تتيح المنظمة للموظفين استخدام الحاسب الإلى بحرية.	0.9707	0.9852
نعتمد في التعامل مع عملائنا على الوسائل الحديثة في الاتصال.	0.9722	00.986
تعتبر الخدمات التكنولوجية التي تساعد على سرية المعاملات الالكترونية متاحة وميسرة.	0.9717	0.9857
توجد قوانين فعالة للحفاظ على سرية معلومات المتعاملين مع الشركة.	0.9705	0.9851
توجد قوانين فعالة لحماية جرائم اختراق هذه المعلومات.	0.9712	0.9855
المنظمة على دراية بأثر تطبيق التجارة الالكترونية على طريقة أداء الأعمال داخل المنظمة.	0.9706	0.9852
تستطيع المنظمة التعامل مع المتغيرات البيئية التي تتسم بالسرعة.	0.9706	0.9852
لدى موردينا الاستعداد لإجراء معاملاتهم من خلال الانترنت	00.971	0.9854
تعتبر البنية التحتية للاتصالات والمعلومات في المملكة العربية السعودية فعالة ويمكن الاعتماد عليها لتدعيم تطبيق التجارة الالكترونية.	0.9706	0.9852
لدى المنظمة خبراء في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.	00.971	0.9854
توجد لدى المنظمة موارد كافية لتطبيق التجارة الالكترونية.	00.971	0.9854
يهتم الفريق الإداري بتطبيق التجارة الإلكترونية.	0.9716	0.9857
تعتبر البنية التحتية التكنولوجية للمنشآت المالية والتجارية قادرة على تدعيم معاملات التجارة الالكترونية.	0.9709	0.9853
معظم الموظفين لديهم خبرة باستخدام الحاسب الإلى داخل المنظمة.	0.9712	0.9855
إن المنظمة على دراية بالفوائد المحققة من تطبيق التجارة الالكترونية.	0.9709	0.9853
يدعم رئيس المنظمة تطبيق التجارة الالكترونية داخل المنظمة.	0.9712	0.9855
تعتبر الحكومة مؤيدة لتطبيق التجارة الالكترونية.	0.9723	0.9861
لدى الشركات المناظرة الاستعداد لإجراء معاملاتهم من خلال الانترنت.	0.9714	0.9856
تقوم ثقافة المنظمة على التبادل المكثف للمعلومات.	0.9711	0.9854
يتم تحديث الأجهزة الإلكترونية بالعمل دائما.	0.9711	0.9854
توجد درجة عالية من الثقة بين الناس داخل مكان العمل.	0.9714	0.9856

نلاحظ من الجدول أعلاه نجد أن قيمة معامل الثبات لجميع العبارات أقل من قيمة ألفا كرونباخ **Cronbach's Alpha** الاجمالية والتي تساوي 0.9721 مما يؤكد أن ثبات أسئلة الاستبانة كبير جداً، وكذلك قيمة معامل الصـدق والتي تسـاوي تقريباً 0.99 أي 99% مما يدل علي ارتفاع معامل الصدق لكل العبارات.

جدول (5): التكرارات والنسب المئوية والأوساط الحسابية لمتغيرات الدراسة:

العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اتجاه العبارة
إن المنظمة على دراية بالفرص والتحديات التي تواجهها من تطبيق التجارة الالكترونية	4.1538	.66428	أوافق
يوجد للمنظمة رؤية واضحة لتطبيق التجارة الالكترونية	4.2308	.69926	أوافق تماماً
هذه الرؤية واضحة ومفهومة لجميع الموظفين بالمنظمة	4.1538	.77221	أوافق
لدى عملاءنا الاستعداد لإجراء معاملاتهم من خلال الانترنت	4.0769	.73258	أوافق
تشجع البيئة التشريعية الموجودة على اجراء الأعمال عبر الانترنت.	3.4615	1.01274	أوافق
يوجد دعم كافي من قطاع الاتصالات والمعلومات لتدعيم الانتقال إلى إجراء المعاملات إلكترونيا.	3.5385	1.08659	أوافق
توجد لدى المنظمة خبرة واسعة باستخدام التطبيقات الالكترونية.	4.2308	.89389	أوافق تماماً
إن المنظمة على دراية بنماذج التجارة الالكترونية المتاحة والتي يمكن تطبيقها في المنظمة.	4.0000	.78750	أوافق
يتاح للموظفين فرص للحصول على دورات تدريبية رسمية لاستخدام الانترنت.	3.9231	.92019	أوافق

تتسم الأنظمة الموجودة بالمنظمة بالمرونة مع الأذواق المتغيرة للمستهلكين.	4.1538	.77221	أوافق
تتيح المنظمة للموظفين استخدام الحاسب الإلى بحرية.	4.1538	.86680	أوافق
نعتمد في التعامل مع عملائنا على الوسائل الحديثة في الاتصال.	4.0000	.78750	أوافق
تعتبر الخدمات التكنولوجية التي تساعد على سرية المعاملات الالكترونية متاحة وميسرة.	3.8462	.95204	أوافق
توجد قوانين فعالة للحفاظ على سرية معلومات المتعاملين مع الشركة.	3.9231	.83169	أوافق
توجد قوانين فعالة لحماية جرائم اختراق هذه المعلومات.	4.1538	.66428	أوافق
المنظمة على دراية بأثر تطبيق التجارة الالكترونية على طريقة أداء الأعمال داخل المنظمة.	4.0769	.61777	أوافق
تستطيع المنظمة التعامل مع المتغيرات البيئية التي تتسم بالسرعة.	4.0000	.68199	أوافق
لدى موردينا الاستعداد لإجراء معاملاتهم من خلال الانترنت	4.1538	.66428	أوافق
تعتبر البنية التحتية للاتصالات والمعلومات في المملكة العربية السعودية فعالة ويمكن الاعتماد عليها لتدعيم تطبيق التجارة الالكترونية.	4.0769	.61777	أوافق
لدى المنظمة خبراء في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.	4.0769	.61777	أوافق
توجد لدى المنظمة موارد كافية لتطبيق التجارة الالكترونية.	4.0769	.61777	أوافق
يهتم الفريق الإداري بتطبيق التجارة الإلكترونية.	3.8462	.86680	أوافق
تعتبر البنية التحتية التكنولوجية للمنشآت المالية والتجارية قادرة على تدعيم معاملات التجارة الالكترونية.	4.3077	.72439	أوافق تماماً
معظم الموظفين لديهم خبرة باستخدام الحاسب الإلى داخل المنظمة.	4.2308	.80250	أوافق تماماً
إن المنظمة على دراية بالفوائد المحققة من تطبيق التجارة الالكترونية.	4.3077	.72439	أوافق تماماً
يدعم رئيس المنظمة تطبيق التجارة الالكترونية داخل المنظمة.	4.2308	.80250	أوافق تماماً
تعتبر الحكومة مؤيدة لتطبيق التجارة الالكترونية.	4.3077	.91369	أوافق تماماً
لدى الشركات المناظرة الاستعداد لإجراء معاملاتهم من خلال الانترنت.	4.3846	.74067	أوافق تماماً
تقوم ثقافة المنظمة على التبادل المكثف للمعلومات.	4.4615	.63678	أوافق تماماً
يتم تحديث الأجهزة الإلكترونية بالعمل دائما.	4.4615	.63678	أوافق تماماً
توجد درجة عالية من الثقة بين الناس داخل مكان العمل.	4.3846	.74067	أوافق تماماً

من الجدول أعلاه نجد أن كل أفراد العينة كانت آراؤهم في اتجاه أوافق وأوافق تماماً

جدول (6): يوضح الفروق الاحصائية لآراء المبحوثين باستخدام اختبار T للعينة الواحدة (One-Sample Test) والانحرافات المعيارية: وكانت درجة الحرية متساوية وهي 129

	Test Value = 3				الانحراف المعياري
	قيمة t	مستوي المعنوية	القرار	فروق المتوسط	
إن المنظمة على دراية بالفرص والتحديات التي تواجهها من تطبيق التجارة الالكترونية	19.805	.000	توجد فروق معنوية	1.1538	.66428
يوجد للمنظمة رؤية واضحة لتطبيق التجارة الالكترونية	20.068	.000	توجد فروق معنوية	1.2308	.69926
هذه الرؤية واضحة ومفهومة لجميع الموظفين بالمنظمة	17.037	.000	توجد فروق معنوية	1.1538	.77221
لدى عملاءنا الاستعداد لإجراء معاملاتهم من خلال الانترنت	16.761	.000	توجد فروق معنوية	1.0769	.73258
تشجع البيئة التشريعية الموجودة على اجراء الأعمال عبر الانترنت.	5.196	.000	توجد فروق معنوية	.4615	1.01274
يوجد دعم كافي من قطاع الاتصالات والمعلومات لتدعيم الانتقال إلى إجراء المعاملات إلكترونيا.	5.650	.000	توجد فروق معنوية	.5385	1.08659
توجد لدى المنظمة خبرة واسعة باستخدام التطبيقات الالكترونية.	15.699	.000	توجد فروق معنوية	1.2308	.89389
إن المنظمة على دراية بنماذج التجارة الالكترونية المتاحة والتي يمكن تطبيقها في المنظمة.	14.478	.000	توجد فروق معنوية	1.0000	.78750
يتاح للموظفين فرص للحصول على دورات تدريبية رسمية لاستخدام الانترنت.	11.438	.000	توجد فروق معنوية	.9231	.92019
تتسم الأنظمة الموجودة بالمنظمة بالمرونة مع الأذواق المتغيرة للمستهلكين.	17.037	.000	توجد فروق معنوية	1.1538	.77221
تتيح المنظمة للموظفين استخدام الحاسب الإلى بحرية.	15.178	.000	توجد فروق معنوية	1.1538	.86680
نعتمد في التعامل مع عملائنا على الوسائل الحديثة في الاتصال.	14.478	.000	توجد فروق معنوية	1.0000	.78750
تعتبر الخدمات التكنولوجية التي تساعد على سرية المعاملات الالكترونية متاحة وميسرة.	10.134	.000	توجد فروق معنوية	.8462	.95204
توجد قوانين فعالة للحفاظ على سرية معلومات المتعاملين مع الشركة.	12.655	.000	توجد فروق معنوية	.9231	.83169

توجد قوانين فعالة لحماية جرائم اختراق هذه المعلومات.	19.805	.000	توجد فروق معنوية	1.1538	.66428
المنظمة على دراية بأثر تطبيق التجارة الالكترونية على طريقة أداء الأعمال داخل المنظمة.	19.876	.000	توجد فروق معنوية	1.0769	.61777
تستطيع المنظمة التعامل مع المتغيرات البيئية التي تتسم بالسرعة.	16.718	.000	توجد فروق معنوية	1.0000	.68199
لدى موردينا الاستعداد لإجراء معاملاتهم من خلال الانترنت	19.805	.000	توجد فروق معنوية	1.1538	.66428
تعتبر البنية التحتية للاتصالات والمعلومات في المملكة العربية السعودية فعالة ويمكن الاعتماد عليها لتدعيم تطبيق التجارة الالكترونية.	19.876	.000	توجد فروق معنوية	1.0769	.61777
لدى المنظمة خبراء في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.	19.876	.000	توجد فروق معنوية	1.0769	.61777
توجد لدى المنظمة موارد كافية لتطبيق التجارة الالكترونية.	19.876	.000	توجد فروق معنوية	1.0769	.61777
يهتم الفريق الإداري بتطبيق التجارة الإلكترونية.	11.130	.000	توجد فروق معنوية	.8462	.86680
تعتبر البنية التحتية التكنولوجية للمنشآت المالية والتجارية قادرة على تدعيم معاملات التجارة الالكترونية.	20.583	.000	توجد فروق معنوية	1.3077	.72439
معظم الموظفين لديهم خبرة باستخدام الحاسب الإلى داخل المنظمة.	17.487	.000	توجد فروق معنوية	1.2308	.80250
إن المنظمة على دراية بالفوائد المحققة من تطبيق التجارة الالكترونية.	20.583	.000	توجد فروق معنوية	1.3077	.72439
يدعم رئيس المنظمة تطبيق التجارة الالكترونية داخل المنظمة.	17.487	.000	توجد فروق معنوية	1.2308	.80250
تعتبر الحكومة مؤيدة لتطبيق التجارة الالكترونية.	16.318	.000	توجد فروق معنوية	1.3077	.91369
لدى الشركات المناظرة الاستعداد لإجراء معاملاتهم من خلال الانترنت.	21.314	.000	توجد فروق معنوية	1.3846	.74067
تقوم ثقافة المنظمة على التبادل المكثف للمعلومات.	26.169	.000	توجد فروق معنوية	1.4615	.63678
يتم تحديث الأجهزة الإلكترونية بالعمل دائما.	26.169	.000	توجد فروق معنوية	1.4615	.63678
توجد درجة عالية من الثقة بين الناس داخل مكان العمل.	21.314	.000	توجد فروق معنوية	1.3846	.74067

من الجدول أعلاه نلاحظ أن هناك فروق معنوية دالة إحصائياً لكل عبارات الإستبانة وذلك لأن قيمة مستوي المعنوية لجميع العبارات أقل من 0.05، وهذه الفروق المعنوية لصالح آراء أفراد العينة لأن فروق المتوسط الحسابي ليست من بينها قيمة سالبة وذلك نتيجة طرح قيمة الاختبار (3) من متوسط العبارة (في الجدول السابق).

التوصيات:

بناء على نتائج الدراسة الميدانية يمكن تقديم أهم التوصيات فيما يلي:

1- توفير بنية تحتية قوية ومتكاملة للاتصالات وتقنية المعلومات.
2- اختيار الكفاءات البشرية المدربة والمؤهلة علمياً في مجال التسويق ومجال التجارة الالكترونية.
3- استقدام التكنولوجيا المتقدمة من أجهزة وبرامج حاسب إلى لسرعة تحميل البيانات والمعلومات وإجراءات البيع والشراء عبر الانترنت.
4- ضرورة توافر عناصر الخصوصية للعميل للتوافر عناصر الثقة بالأطراف الأخرى.
5- تفعيل القوانين الفعالة للحفاظ على سرية معلومات المتعاملين مع الشركة.
6- اختيار مستوى عالي من الكوادر البشرية القادرة على التعامل مع الانترنت ومتطلباته.

7- وضع خطط استراتيجيات فعالة تستطيع المنظمة التعامل مع المتغيرات البيئية التي تتسم بالسرعة.

8- الاهتمام ببرامج التدريب في مجالات:

-التعامل مع اعتراضات الجمهور.

-تحسين عملية الاتصالات مع العملاء.

-تحسين جودة الخدمات المقدمة للعملاء.

9- الاهتمام ببحوث السوق لجمع البيات والمعلومات عن احتياجات ورغبات العملاء لمحاولة تلبيتها وإشباعها.

10 - محاولة متابعة العملاء عن طريق خدمات ما بعد البيع.

11 - يقترح الباحث اجراء المزيد من البحوث والدراسات الميدانية حول التجارة الالكترونية.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

(أ) الكتب:

1) أبو بكر الهوش، الحكومة الإلكترونية، (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 2005).

2) عبد الحميد بسيوني، التجارة الإلكترونية، (القاهرة: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 2003)

3) محمد عبد حسين الطائي، التجارة الالكترونية المستقبل الواعد للأجيال القادمة، (عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2010)

4) أحمد يوسف دودين، ادارة التغيير والتطوير التنظيمي،(عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2014).

5) عادل على بابكر الماحي، التجارة الالكترونية، (الدمام: المتنبي للنشر، 1435)

6) عزة العطار، التجارة الإلكترونية بين البناء والتطبيق، (القاهرة: مكتبة عين شمس، 2004).

(ب) الدوريات:

1) عبير فرحات على، الثورة التكنولوجية الحديثة وحماية الملكية الفكرية، المجلة المصرية للتنمية والتخطيط، معهد التخطيط القومي، م13، ع2، 2005.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

:books

1. Bajaj Kamleshk, Nag Debjani**, E-Commerce: The Cutting Edge of Business** (McGraw-Hill: New Delhi, 2002).

2. Greenstein Marilyn & Vasarhelyi Miklos , **Electronic commerce: security, risk management, and control,** (second edition , McGraw Hill , Newyork, 2002).

:B. Periodicals

3. Aghaunor lavin & Fotoh xaveria , "factors affecting ecommerce adoption in Nigerian banks" , **Jonkoping international business school, Jonkoping university,** 2006**.**

4. Bertscheck Irene & Fryges Helmut, " The adoption of business-to-business e-commerce: empirical evidence for German companies" **Center for European Economic Research , discussion paper No. 02-05, 2002.** Ftp://ftp.zew.de/pub/zew-docs/dp/dp0205.pdf.

5. Chong Sang, "An empirical study of factors that influence the extent of deployment of electronic commerce for small and medium sized enterprises in Australia", **Journal of theoretical and applied electronic commerce research,** Vol. 1, 2006.

6. Cloete Eric , Courtney Steven, "Small Businesses' acceptance and adoption of e-commerce in the western-cape province of south-Africa", **Electronic Journal On Information Systems in Developing Countries**,Vol.10, No.4, 2002.

7. Daniel, E. , Wilson, H. ,& Myers, A. "Adoption of e-commerce by SMEs in the UK " , **International Small Business Journal,** Vol.20, 2002.

8. Fathian Mohammad et al., "E-Readiness assessment of non-profit ICT SMEs in a developing country: The case of Iran", **Tec novation,** Vol.28, 2008.

9. Grandon Elizabeth E., Pearson J. Michael, "Electronic Commerce adoption: an empirical study of small and medium US businesses" , **Information & Management ,** Vol.42, 2004.

10. Gunase Karan A & Nagi , "E-Commerce in Hong Kong: An empirical perspective and analysis" **Internet Research,** Vol. 15 , 2005.

11. Heung Vincent C.S, "Barriers to implementing e-commerce in the travel industry: a practical perspective" , **international journal of hospitality management,** Vol.22, 2003.

12. Jinghua Huang et. Al, "An empirical study on critical success factors for electronic commerce in the Chinese Publishing industry", **Research Centre for Contemporary Management,** Vol.1, 2007.

13. Lertwongsatien Chalermsak & Wongpin unwatan Nitaya , "E-commerce adoption in Thailand: An empirical study of small and medium enterprises (SMEs)", **Journal of global information technology management ,** Vo1.6 , 2003.

14. Mackay Nancy et al, "A model of electronic commerce adoption by small voluntary organizations", **European journal of information systems,** Vol.13 , 2004.

15. Molla Alemayehu, "The impact of ereadiness on ecommerce success in developing countries: Firm-level evidence", **Institute For development policy and management,** paper No.18, 2004.

16. Molla Alemayehu, Licker paul S., "Ecommerce adoption in developing countries: a model and instrument", **Information & management,** Vol.42 , 2005.

17. Nikolaeva Ralitza , "Ecommerce adoption in the retail sector: empirical insights", **International Journal Of retail and Distribution management,** Vol.34, 2006.

18. Piris Luisa et. Al, "Strategic motivators and expected benefits from e-commerce in traditional organizations", **International Journal of Information Management,** Vol.24, 2004.

19. Quaddus Mohammed , Hofmeyer Glenn "An investigation into the factors influencing the adoption of B2B trading exchanges in small businesses", **European Journal of Information System,** Vol.16, 2007.

20. Requena Jordi et al., "An integrated model of the adoption and extent of e-commerce in firms ", **International Atlantic economic society ,** 2007.

21. Scupola Ada , "The adoption of internet commerce by SMEs in the south of Italy: An environmental, technological , and organizational perspective", **Journal of global information technology management,** Vol.6, 2003.

22. Tan Jing, et al., "Business-to-business adoption of ecommerce in china", **Information & Management,** Vol.44, 2007.

23. Thatcher Sherry M.B et al., "B2B e-commerce adoptions in Taiwan: cultural and other institutional factors" , **Electronic commerce research and applications ,** Vol.5 ,2006.

24. Tsao Hsin – Yuan et al. "An investigation of critical success factors in the adoption of B2BEC in Taiwan" , **Journal of American academy of business,** Vol.5 , 2004.

25. Wang Tien-Ching & Lin Ying-Tin, "Accurately predicting the success of B2Be-commerce in small and medium enterprises" , **Expert System with applications,** 2008**.**

C. Dissertations & Thesis:

26. Afzal Honey , "EC adoption and critical success factors of ec in SMEs in Iran" , **Master thesi ,** Lulea university of technology , Division of industrial marketing and ecommerce, 2008.

27. Lin Chang-Shou, "Organizational. Technological, and environmental determinants of electronic commerce adoption in small and medium enterprises in Taiwan" , **PhD Dissertation,** Lynn University, 2006.

28. Teng Kwok Leong, "Factors and their influence on determining the level of internet commerce adoption in small business: an empirical examination" **PhD Dissertation,** Memphis University, 2000.

D. Conferences:

29. Lin Yee Chong , "Model of Factor influences on electronic commerce adoption and diffusion in small & medium-sized enterprises", **Doctoral consortium of the 9th European conference on research and advanced technology for digital library ,** 2001.

أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 8، العدد 27 (2017). ص ص 19-30

الجمال ودلالاته في السنة النبوية: دراسة تحليلية

حسن علي حسين سليمان [1]

الملخص: فالجمال قيمة من قيم الدين الراسخة في جوهره، تعددت مفاهيمه واختلفت باختلاف فلسفات ومناهج من يتناولونه بالدراسة، وقد عمدت في هذا البحث إلى بيان مفهوم الجمال ودلالاته في السنة النبوية، وذلك من خلال أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وصفاته وتقريراته منطلقا من دلالاته اللغوية حيث يعني في اللغة: الحسن والوسامة والبهاء، وقد عرف ارتباط الجمال في الفلسفات القديمة بالدين، ويعني في تلك الفلسفات أنه صفة تلحظ في الأشياء تبعث في النفس سرورا ورضا وتستحسنها النفوس السوية، وقد عرفه كذلك مفكرو الإسلام بتعريفات متقاربة اتفقوا على أنه يتعدى الصور والمحسوسات إلى القيم والمعاني. ودلالات الجمال في السنة النبوية واسعة تشمل ما يدرك بالحس؛ كحسن الصورة، ونداوة الصوت، وطيب الرائحة. وما لا يدرك بالحس ولكن يعرف عقلا من المعاني والصفات؛ كالصبر الجميل، والخلق الحسن والأعمال الممدوحة شرعا، وكذلك يتسع مفهوم الجمال ليشمل التناسق والتوازن والاعتدال وعدم التنافر والتوافق, وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها أن الجمال في السنة النبوية أعمق وأشمل يتناول ما يدرك بالحس وما يدرك بالعقل، وأنه يتمثل في الأعمال الظاهرة والباطنة، و ليس غاية يقصد لذاته بل هو وسيلة يحقق بها العبد مرضاة الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الجمال، دلالات الجمال، السنة النبوية.

Beauty and its Implications in Prophetic Sunnah

Hassan Ali Husain Suliman

Abstract: "Beauty" is a deep value in the Religion of Islam, with a multitude of concepts, and variations according to the philosophies and the methods that has dealt with it. This study aims at explaining the concept of beauty and its various implications in the Prophetic Sunna, in the saying, doings and agreed deeds of Prophet Mohamad PPUH. This is done through the linguistic definition of the concept, where Beauty means nice look,handsomeness and glory. In old philosophies, beauty was known to be linked to Religion as a property or a trait that could be noticed in everything that brings or causes pleasure and satisfaction. Islamic thinkers have also defined Beauty in various yet related terms, however they all agreed that beauty exceeds mere views and concrete objects to include values and references. The implications of beauty in the Prophetic Sunna extends to include what is perceived by the senses ; as a fine picture, a sweet voice and a good smell, as well as what is not perceived by the senses but is known by the reason like concepts and traits as patience, ethics, and good deeds. The concept also includes harmony, balance and absence of contradiction. The findings of the study concluded that "beauty" is a deeply rooted and a more comprehensive concept in the Sunna of the Prophet, that includes what could be perceived by the senses as well as what could be perceived differently, that it is represented in hidden and clear deeds and that it is not an end in itself but a means to gain the grace of Allah.

Keywords: beauty, implications of beauty, prophetic Sunnah.

[1] أستاذ الحديث المشارك بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، وجامعة تبوك، السعودية، aborwan13579@gmail.com

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، سبحانه لا إلا إله إلا هو تقدست أسماؤه، الجميل المتحلي بصفات الكمال والجلال، والصلاة والسلام على كريم الخلق والخصال، محمد عبد الله ورسوله، أحسن الناس وأكملهم خَلقا وخُلقا، المبعوث رحمة للعالمين، الهادي إلى صراط مستقيم، القائل: إن الله جميل يحب الجمال، اللهم صل وسلم وبارك عليه بأطيب وأذكي ما صليت وسلمت وباركت على أنبيائك ورسلك وعلى آله وأزواجه وصحابته، ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد

فالجمال قيمة من قيم الدين الرائعة التي أودعها الله في تشريعه وأحكامه، وتمثلت في هدي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم خُلقا ومعاملة وهيئة وشعورا، ولقد تعددت الرؤى واختلفت الاتجاهات حول مفهوم الجمال ودلالاته باختلاف المنطلقات الفلسفية، والمدارس الفكرية، فالجمال في الفكر الإسلامي غيره في الفلسفات الأخرى، بلإن مفهومه يختلف داخل المدرسة الواحدة. وقد هدفت في هذه الورقة إلبيان مفهوم الجمال ودلالاته، وتحرير مصطلحه من خلال السنة النبوية المتمثلة في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وصفاته وسيرته.

أهمية الموضوع:

لا شك أن كل موضوع مرتبط بالسنة النبوية فإنه من الأهمية بمكان، خاصة وأن الجمال من الموضوعات المرتبطة بالفلسفة والإلهيات، ولقد خاض الفلاسفة في ماهيته وحدوده ومجالاته تعريفا وبيانا واضطربت نظرياتهم في ذلك. فيكون في بحثه من خلال السنة النبوية وبيان دلالاته فيها إجابة على كثير من التساؤلات المتعلقة به.

مشكلة البحث:

تمثل مشكلة البحث عدة تساؤلات يُحتاج الإجابة عليها وهي:

1- هل يمكن تحديد مفهوم للجمال من خلال السنة النبوية؟
2- هل تعد السنة النبوية مرجعا لمفهوم الجمال عند مفكري الإسلام؟
3- ما هي الروايات الحديثية التي جاء فيها ذكر الجمال؟
4- ما هي دلالات الجمال في الأحاديث التي تناولته؟

الدراسات السابقة:

1-علم الجمال والتصور الإسلامي محاولات في التأصيل ومقاربات للتطبيق، رسالة دكتوراه، لمصطفى الحيا.
2- قيمة الجمال في تداولها الإسلامي لعبد المجيد الصغير
3- مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي، د. جميل علي السورجي
4- الجمال في القرآن الكريم للدكتور: مصطفى الحيا.

المبحث الأول

مفهوم الجمال بين مفكري الإسلام وأصحاب الفلسفات الأخرى

المطلب الأول: الجمال في اللغة:

الجمال في اللغة مصدر الجميل، والفعلُ منه جَمُلَ يَجمُلُ. وقال الله تعالى:(وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)[1]. ومن معاني الجمال: الحسن والوسامة والبهاء2.

1.سورة النحل، الآية: 6

2. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزوميود: إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال6 / 142

فيقال: جمُلت المرأةُ وغيرُها: حسُن خَلْقُها وخُلُقُها. ويجمل بنا أي:(من اللائق بنا) كما نقول يجمل بنا رعاية الضعفاء[3]، ويطلق على القَسَام فيقال: فلان قَسِيم الوجه، أي حسن الوجه جميل، جاء في لسان العرب والقَسامُ: الجَمال والحُسن... وَفُلَانٌ قَسِيمُ الوَجْهِ ومُقَسَّمُ الوجهِ؛ وَقَالَ بَاعِثُ بْنُ صُرَيْم اليَشْكُري، وَيُقَالُ هُوَ كَعْبُ بْنُ أَرْقَمَ الْيَشْكُرِيُّ قَالَهُ فِي امرأته وَهُوَ الصَّحِيحُ:

ويَوْماً تُوافِينا بَوجْهٍ مُقَسَّمٍ، ... كأَنْ ظَبْيَة تَعْطُو إِلى وارِق السَّلَمْ
ويَوْماً تُرِيدُ مالَنا مَعَ مَالِهَا، ... فإِنْ لَمْ نُنِلْها لَمْ تُنِمْنا وَلَمْ تَنَمْ
نَظَلُّ كأَنَّا فِي خُصومِ غَرامةٍ، ... تُسَمِّعُ جِيراني التَّأَلِّيَ والقَسَمْ
فَقُلْتُ لَهَا: إِنْ لَا تَنَاهَي، فإِنَّني... أَخو النُّكْر حَتَّى تَقْرَعي السِّنَّ مِنْ نَدَمْ[4]

ومن معاني الجمال الطهم والتطهيم ويعني تمام الجمال والخلق، ويعني الوسامة والميسم والوضاءة[5]. والجُمَّال بالضم والتشديد أجمل من الجميل، وجمله زينه، والتجمل تكلف الجميل، وجمل الله عليك تجميلا، إذا دعوت الله له أن يجعله جميلا حسنا، ويقال امرأة جَمْلَاء وجميلة، كغيمة هطلاء

قال شاعر:

فهي جملاء كبدر طالع بدَّت الخَلَق جميعا بالجمال والجملاء هي الجميلة المليحة[6]

المطلب الثاني: مفهوم الجمال في الفلسفات القديمة:

اعتنت الفلسفات القديمة بموضوع الجمال، وجعلته جزءاً مرتبطا بالدين، كما أنه يمثل أحد مجالات الفلسفة. وهو عندها علم يهتم بطبيعة الجمال والفن والذوق، كما يعد أحد مجالات نظرية القيمة، فيرى سقراط وهو من أقدم فلاسفة اليونان أن الجمال قيمة أخلاقية عليا، وهو جمال يهدف لتحقيق النفع والخير ويقول:(ما هو نافع لغرض معين فإن استعماله جميل لهذا الغرض)، ويرى أن الصفة المشتركة للأشياء الجميلة تكمن في أن جميعها قد صنعت على النحو الذي تحقق به الغرض من وجودها، وقد زاوج سقراط في نظريته الجمالية بين المضمون والشكل، فكان يحث أهل الفن على إبراز الانفعالات السامية، وعكس الفضيلة بجانب مراعاة الصورة. أما الجمال عند إفلاطون فهو شيء إلهي يرادف الخير وأن الجمال معنى في الشيء المستقل عن حواسنا[7]، بينما يرى تلميذه أرسطو أن الجمال صنيعة اليد، ويرى اللذة الجمالية تصفية للمشاعر السالبة في النفس.

وخلاصة القول في هذه الفلسفات أن الجمال صفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سروراً ورضاً وتستحسنها النفوس السوية[8].

المطلب الثالث: مفهوم الجمال عند مفكري الإسلام

المرجعية الأساس لمفهوم الجمال عند مفكري الإسلام، القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكلاهما تناول الجمال من جوانب عديدة، منها ما يتعلق بالصورة المدركة بالحس كما فيقوله تعالى في معرض امتنانه على خلقه ببهيمة الأنعام(وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)[9]، ومنها

, وانظر: الغريب المصنف لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي:تحقيق: صفوان عدنان داوودي، 1 / 378

3. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، ط 1، 1429 هـ - 2008 م، عالم الكتب، 1 / 397

4. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، ابن منظور الأنصاري، ط 3، دار صادر، 1414 هـ، بيروت، 12 / 482

5. انظر: الجراثيم ينسب لأبن قتيبة الدينوري تحقيق: محمد جاسم الحميدي، وزارة الثقافة، دمشق، 1/ 245. وانظر:، جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، 1987م، دار العلم للملايين، 2 /927

6. انظر: لسان العرب، لابن منظور، 11 / 126.

7. بحثي في فلسفة الجمال، أبو خالد عوض، الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، ملتقى أهل الحديث،

8. مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي، د. جميل علي السورجي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 20، رمضان 1433هـ ـــــ 2012 م، ص 10.

9 سورة النحل، الآية: 6.

ما هو مدرك بالعقل كقوله جل شأنه (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا)[10]. وقد يختلف مفهوم الجمال عند بعض مفكري الإسلام اختلافا يسيرا، وذلك باختلاف مدارسهم، لكنهم يتفقون جميعا أن الجمال ليس محصورا في الصورة المدركة بالحواس فقط بل يتعداها إلى آفاق أرحب، فالإمام الغزالي رحمه الله يقول في بيان معنى الحسن والجمال:(اعلم أن المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون، وكون البياض مشرباً بالحمرة، وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان، فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبصار، وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص، فيظن أن ما ليس مبصراً ولا متخيلاً ولا متشكلاً ولا ملوناً مقدر فلا يتصور حسنه، وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لذة فلم يكن محبوباً، وهذا خطأ ظاهر، فإن الحسن ليس مقصوراً على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة)[11] ويقول أيضا:(كل شيء فجمالُه وحُسنُه في أن يحضر كماله اللائق به، الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة، فهو في غاية الجمال وإن كان الحاضر بعضها، فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر، فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس، من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه، والخط الحسن كل ما جمع كل ما يليق بالخط من تناسب الحروف، وتوازيها، واستقامة ترتيبها، وحسن انتظامها، ولكل شيء كمال يليق بهوقد يليق بغير ضد، فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به، فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت، ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب، وكذلك سائر الأشياء)[12]ويقول أيضا:(فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال: هذا خلق حسن، وهذا علم حسن، وهذه سيرة حسنة، وهذه أخلاق جميلة، وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة، وسائر خلال الخير ـ وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة، وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة، والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته، وآية ذلك وأن الأمر كذلك أن الطباع مجبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم، وعلى حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، مع أنهم لم يُشَاهَدوا بل حب أرباب المذاهب مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وغيرهم)[13]. وبهذا يتضح أن الإمام الغزالي ينفي كون الجمال محصورا في الصور والمحسوسات، ولكن يتعداها إلى المعاني التي لا تدرك إلا عقلا، فهو يرى الجمال حضور كمال كل شيء فيه، وبقدر ما يكون فيه من الكمال يكون جماله.

أما الإمام القرطبي يقول في بيان ما يكون فيه الجمال:(الجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال. فأما جمال الخلقة: فهو أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائمًا، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر، وأما جمال الأخلاق: فكونها على الصفات المحمودة، من العلم والحكمة، وكظم الغيظ، وإرادة الخير لكل أحد، وأما جمال الأفعال فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق، وقاضية لجلب المنافع فيهم وصرف الشر عنهم)14.

ويقول ابن القيم (الْجمال فِي الصُّورَة واللباس والهيأة ثَلَاثَة أَنْوَاع مِنْهُ مَا يحمد، وَمِنْه مَا يذم، وَمِنْه مَالا يتَعَلَّق بِهِ مدح، وَلَا ذمّ فالمحمود مِنْهُ مَا كَانَ لله وأعان على طَاعَة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة لَهُ، كَمَا كَانَ النَّبِي يتجمّل للوفود، وَهُوَ نَظِير لِبَاس آلَة الْحَرْب لِلْقِتَالِ، ولباس الْحَرِير فِي الْحَرْب وَالْخُيَلَاء فِيهِ، فَإِن ذَلِك مَحْمُود إِذا تضمّن إعلاء كلمة الله وَنصر دينه وغيظ عدوّه، والمذموم مِنْهُ مَا كَانَ للدنيا والرياسة وَالْفَخْر وَالْخُيَلَاء والتوسل إِلَى الشَّهَوَات، وَأَن يكون هُوَ غَايَة العَبْد وأقصى مطلبه، فَإِن كثيرا من النُّفُوس لَيْسَ لَهَا همّة فِي سوى ذَلِك، وَأما مَالا يحمد وَلَا يذم هُوَ مَا خلا عَن هذَيْن

---

10 سورة المعارج، الآية: 5.

11. إحياء علوم الدين ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة – بيروت، 4 / 299

12. المرجع السابق 4 / 299

13. المرجع السابق، 4 / 299.

14. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا ط3، 1424 هـ - 2003 م، دار الكتب العلمية، بيروت، 2 / 118

القصدين وتجرّد عَن الوصفين)15 كما يرى ابن القيم أن الجمال في الهيئة والأقوال والأفعال والصفات وأن الله تعالى يعبد بالجمال الذي يحبه، فيحب من عَبده أَن يجمل لِسَانه بِالصّدقِ وَقَلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل وجوارحه بِالطَّاعَةِ وبدنه بِإِظْهَار نعمه عَلَيْهِ فِي لِبَاسه وتطهيره لَهُ من الأنجاس والأحداث والأوساخ16

المبحث الثاني
مفهوم الجمال من خلال دلالاته في السنة النبوية

المتدبر في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم حول الجمال، وكل ما هو موصوف بالحسن، يجدها متعددة الدلالات، فمنها ما يدل على الهيئة والصورة، ومنها ما يدل قيم ثابتة، ومنها ما يدل على خلق مكتسب، أو عمل مستحسن. كما نجد مترادفات عديدة للجمال في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولكي نخلص إلى مفهوم للجمال من خلال السنة النبوية علينا أن نتناول الروايات التي تناولت الجمال سواء بلفظه أو مترادفاته مثل الحسن والزينة ويلاحظ تعدد دلالات الجمال الواردة في السنة النبوية وأنه لا ينحصر فيما تدركه الحواس كالصورة والصوت والرائحة، بل يتعداه إلى أذواق تدرك بالعقل والقلب.

المطلب الأول: مفهوم الجمال من خلال دلالته على حسن الصورة والصوت والرائحة:

من دلالات الجمال الواردة في السنة النبوية دلالته على حسن الصورة والصوت وطيب الرائحة، ولما كانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم متوافقة مع القرآن الكريم في دلالاتها إذ هي المبينة له، لما جاء فيه كما في قول الله تعالى:(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[17]. فقد جاء في القرآن الكريم عن بعض ما امتن الله تعالى به على خلقه، حسن الصورة والهيئة فقال تعالى:(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)[18]، فحسن الصورة نعمة من الله مَنَّ بها على خلقه، ولما كان الإنسان بفطرته يستشعر الجمال المتعلق بالصورة والهيئة والصوت والرائحة، وأن النفوس تتفق عليه مهما اختلفت مذاهبها. دل ذلك على أن الجمال قيمة من القيم الإنسانية يتفق حولها الناس مهما تباينت مشاربهم. ولما كانت النفوس مفطورة على حب الجمال، جاء الأمر في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم بطلب الجمال وإظهاره متى ما كان في ظهوره صلاح للدين والدنيا.

الأحاديث والآثار الواردة في طلب الجمال هيئة وذوقا وسماعا وعبقا كثيرة، ولكن نكتفي ببعض الشواهد التي جاءت بها السنة النبوية، ففيها من الأحاديث ما يدل جمال الهيئة وحسن الصورة، وكذلك ما يدل طيب بعض الروائح واستحباب التجمل بها تطيبا، كذلك التجمل بالأصوات الندية الرائعة.

1 – دلالة الجمال على حسن الصورة والهيئة:

من الجمال في السنة النبوية ما يفهم منه جمال الصورة المنظورة، الذي تدركه النفس السوية بالعين الباصرة، روى ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ). فَقَالَ رَجُلٌ: *يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَيُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي غَسِيلًا، وَرَأْسِي دَهِينًا، وَشِرَاكُ نَعْلِي جَدِيدًا*، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ، حَتَّى ذَكَرَ عِلَاقَةَ سَوْطِهِ، أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، ذَاكَ الْجَمَالُ، إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ، وَازْدَرَى النَّاسَ)[19].هذا الحديث يعرض صور وهيئات عديدة للجمال فإنه يُرى في الثوب الغسيل، والرأس الدهين، والحذاء الجديد، بل حتى مكملات المظهر مثل

---

15. الفوائد، محمد بن أبي بكر، شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط2، 1393 هـ - 1973 ن دار الكتب العلمية – بيروت، ص: 186.
16. المرجع السابق، ص: 186.
17. سورة النحل، جزء من الآية: 44.
18. سورة غافر، الآية: 64.
19. الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، 1 /93، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت واللفظ أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، 6 / 338. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1 1421 ه ـــ 2001 م، مؤسسة الرسالة.

علاقة السوط وغيرها، هذه صور يُبين أحد أصحابه رضوان الله عليهم أنه يُحبها، وأنها تقع في نفسه محل إعجاب ويخشى أن يكون في طلبه لهذه الأشياء نوع من التعدي والإثم، ولذا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أفمن الكبر ذاك؟، فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:(ذاك الجمال)كما ورد في رواية أحمد، أي أن ما تطلبه هو الجمال، والجمال أبعد ما يكون من الإثم والتعدي، فالله تعالى هو الجميل ولا يصدر عنه إلا كل جميل، وهو يحب هذه الهيئة الجميلة ما لم تؤذِ الآخرين بتحقيرهم، فإذا صاحب هذا الجمال الظاهر جمال الباطن ازداد الجمال جمالاً، وحقق مقاصده وانتفع به صاحبه، وتذوق الآخرون حسنه، وألفوه واستأنسوا به، أما جميل الظاهر قبيح الباطن، فإن قبح باطنه يطمس جمال ظاهره، فتنفر منه النفوس وتستوحش. وكذلك جمال الباطن وحده لا يكفي، فجاء التوجيه النبوي على استحباب الهيئة الجميلة، فيبين الحديث أن الجمال في الثوب الغسيل النظيف، فالغسل يعطي الأشياء نضارة، وصفاء ورونقا، فمجملات الثياب كثيرة فمنها نظافته ونضارته، وكذلك الجمال في الرأس والشعر الذي يشع نضارة ويكون ذلك بسبب الاعتناء به ومن ذلك دهنه، وليس ذاك في الصور التي عرضها الرجل، بل في كل صورة حسنة تجلب السرور للنفس من خلال النظر إليها. ثم يبين النبي صلى الله عليه وسلم مكانة الجمال بقوله (إن الله جميل يحب الجمال) فالجمال من أوصاف الكمالات فهو واجب في حق ذاته تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكونه يحب الجمال، دلالة على ضرورة التجمل والتحلي به، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلبه ويحث عليه كما كان عليه الصلاة والسلام يبدل الصور القبيحة إلى جميلة، فعَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ الْجُشَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَآنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيَّ أَطْمَارٌ[20]، فَقَالَ:هَلْ لَكَ مَالٌ؟ " قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: " مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟ " قُلْتُ: مِنْ كُلِّ الْمَالِ، قَدْ آتَانِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الشَّاءِ، وَالْإِبِلِ، قَالَ: " فَلْتُرَ نِعَمُ اللهِ، وَكَرَامَتُهُ عَلَيْكَ)[21].
وهنا ينكر النبي صلى الله عليه وسلم الصور القبيحة التي رآها على صاحبه، ويدعوه إلى استبدالها بالصور الجميلة، وكذلك روى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ: «أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ، وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ»[22]وهذا كله يدل على استحباب التجمل والأخذ منه.

2 ـ دلالة الجمال على حسن الصوت:

وكما يطلب الِجمال في الصورة والهيئة فيما تراه العين، يُطلب كذلك فيما تسمعه الآذان، فهناك جملة من الأحاديث النبوية تتناول جمال الصوت، بل حثت على التجمل بالأصوات العذبة الندية. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ»23. وقال الشيخ محمد فؤاد في تحقيقه لصحيح مسلم(يتغنى بالقرآن) معناه عند الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفتوى (يحسن صوته به وقال الشافعي وموافقوه معناه تحزين القراءة وترقيقها...)[24]

وكذلك الاستمتاع بالجمال الصوتي أبرزته بعض الأحاديث فعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي مُوسَى: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ)[25]فقوله صلى الله عليه وسلم:(لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة) دلالة انشراح صدره صلى الله عليه وسلم وارتياحه لذاك الصوت الجميل، ثم عبر عن إعجابه بقوله

---

20. الأطمار: جمع طمر، وهو الثوب البالي الخلق(انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط 1 2001 م، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 13 / 233).

[21]. أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم:(15887)، 25 / 222.تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م

[22]. أخرجه أبو داود في السنن، في كتاب اللباس، باب في غسل الثوب والخلقان 4 / 51، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

.[23] أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، 1 / 545.

[24]. المرجع السابق، 1 / 545.

[25]. متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، 6 / 195، (لجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ن للبخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ)وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، 1/ 546.

له (لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ). وثبت أن عقبة بن عامر كان حسن الصوت بالقرآن، فقال له عمر ابن الخطاب: اقرأ سورة كذا، فقرأها عليه، فبكى عمر وقال: ما كنت أظن أنها نزلت. فدل ذلك على أن الغاية من تحسين الصوت بالقرآن هو أن يعظم وقعه في القلوب، وتستميل مواعظه النفوس، ولا ينكر أن يكون القرآن يزين صوت من أدمن قراءته، وآثره على حديث الناس، غير أن جلالة موقعه من القلوب، والتذاذ السامعين به لا يكون إلا مع تحسين الصوت به [26]. وللصوت الحسن أثر إيجابي على النفس فيبعث فيها النشاط، ويزيل عنها الكدر، بل حتى الحيوان يحثه الصوت الحسن على النشاط، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ الْبَرَاءَ بْنَ مَالِكٍ كَانَ يَحْدُو بِالرِّجَالِ، وَكَانَ أَنْجَشَةُ يَحْدُو بِالنِّسَاءِ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ)[27].فالصوت الحسن بتلاوة القرآن يعين على العبادة، ويعمق الفكر، ويدعو للتدبر ويزيد من الخشوع في الصلاة، ولذا كان التغني بالقرآن مطلوبا.

3- دلالة الجمال على طيب الرائحة:

الجمال عميق في الحس، ومما أنعم الله به على الناس، أن منحهم الحواس التي هي ليس للإدراك فقط، ولكن لأجل المتعة، ومن هذا النعم نعمة الشم، والتي يستطيع بها الإنسان التمييز بين الطيب والخبيث من الأشياء، والجمال يكون في الرائحة الطيبة. ويعد الطِيب وأصناف العطور من صور الزينة التي يتجمل بها الناس عند اجتماعهم، فطيب الرائحة أصل في كمال الجمال، ولذا حثت السنة النبوية على التجمل بالطيب والتطيب عند اجتماع الناس خاصة في الجمعة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَا: سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاسْتَنَّ وَمَسَّ مِنَ الطِّيبِ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَلَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ، ثُمَّ رَكَعَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْكَعَ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّى يُصَلِّيَ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا». يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ زِيَادَةً، إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا[28] فكمال ثواب الجمعة لا يتم إلا بالتجمل لها من اغتسال وسواك ومس طيب وحسن هيئة.

حتى يتسق جمال الظاهر الذي يكون في الهيئة واللباس والطيب مع جمال الباطن حيث تزكو النفوس بالموعظة والاستماع للذكر، ويلاحظ تكامل صور الجمال في الهيئة النظيفة ذات الرائحة الطيبة، حيث يجمع بين الصورة الحسنة، فالعين تهنأ بالمنظر الحسن النظيف، فإذا كان معه طيب الرائحة كان ذلك أكمل في الجمال، ولذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم عندما يأمر ببناء مسجد يحث على تنظيفه وتطييبه، عن عائشة قالت: أَمَرَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ببناء المَساجِدِ في الدُّورِ وأن تُنَظَّفَ وتُطَيبَ[29]. فالطيب والرائحة الذكية من صور الجمال والزينة المطلوبة، وقد صور النبي صلى الله عليه وسلم من يجالس الصالحين كمن يجالس العطار لما يجمع بينهما من جمال، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً[30]

---

26. شرح صحيح البخارى، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط 2، 1423هـ - 2003م، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، 10 / 546.

27. أخرجه البخاري في الأدب المفرد، في باب الحداء بالنساء، ص: 422، الأدب المفرد محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط:3، 1409 – 1989، دار البشائر الإسلامية – بيروت. قال الألباني: صحيح.

28. أخرجه بن خزيمة في صحيحه، في كتاب الجمعة، بَابُ فَضِيلَةِ التَّطَيُّبِ، وَالتَّسَوُّكِ، وَلُبْسِ أَحْسَنَ مَا يَجِدُ الْمَرْءُ مِنَ الثِّيَابِ بَعْدَ الِاغْتِسَالِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَتَرْكِ تَخَطِّي رِقَابِ النَّاسِ، وَالتَّطَوُّعِ بِالصَّلَاةِ بِمَا قَضَى اللَّهُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَطَوَّعَ بِهَا قَبْلَ الْجُمُعَةِ، وَالْإِنْصَاتِ عِنْدَ خُرُوجِ الْإِمَامِ حَتَّى تُقْضَى الصَّلَاةُ، 3 / 130، (تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت. (الحديث إسناده حسن)

29. أخرجه أبو داود في السنن، في كتاب الصلاة، باب: اتخاذ المساجد في الدور، حديث رقم (455)، 1 / 342. وأخرجه الترمذي وابن ماجه من طرق عن هشام بن عروة، بهذا الإسناد. وهو في مسند أحمد (26386)، وصحيح ابن حبان (1634) وهو صحيح..

30. أخرجه البخاري، في الجامع الصحيح، في كتاب البيوع، باب: في العطار وبيع المسك، 3 / 63.

ومما سبق يتضح لنا أن الجمال في السنة النبوية منه ما يدرك بالحس، وأن من وسائل تذوقه الحواس الخمس، فمنه جمال الصورة، وجمال الصوت وجمال الرائحة. غير أن صور الجمال لا تنحصر فيما يمكن إدراكه بالحواس فقط، بل هناك جمال أعمق، لا يدرك بالحس وإنما يكون إدراكه بالعقل.

المطلب الثاني: مفهوم الجمال ودلالته على حسن المضمون والجوهر:

السنة النبوية حفلت بكثير من الروايات التي تبين مفهوم الجمال ودلالته على الأمور الغير حسية، جمال راسخ في الجوهر والمضمون، وأنه لا ينحصر في الصور والمحسوسات فقط، بل يتعداه إلى كثير مما لا يدرك حسا، هو جمال تدركه العقول وتميزه بكونه جميلا، فأحياناً يوصف العمل بالجمال، فيقال هذا عمل جميل، أو توصف خصلة من الخصال بأنها جميلة، أو يطلق على كثير من الصفات التي يستحسنها العقل. ومن دلالات الجمال إطلاقه على بعض الأعمال الممدوحة شرعا.

دلالة الجمال على بعض الأعمال الظاهرة:

وصفت السنة النبوية بعض الأعمال الممدوحة شرعا بالجمال، وقد أعطت بهذا الوصف بعدا جديدا للجمال عندما أطلقته على غير الصور المحسوسة، وهو وصف يتعدى المحسوس من الأشياء، لكنه يتوافق مع مفهوم الجمال الذي هو صفة تلحظ في الأشياء فتبعث في النفس السرور والرضا، وهذا يلاحظ في بعض الأعمال التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالجمال، ومن الأعمال التي وصفت بأنها جميلة ما جاء في الحديث الذي رواه أنس بن مالك – رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَحَكَّتْهَا، وَجَعَلَتْ مَكَانَهَا خَلُوقًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(مَا أَحْسَنَ هَذَا)[31]والمعنى ما أجمل صنيعها الذي قامت به، فالنخامة في قبلة المسجد مشهد قبيح فلما أزالت المرأة القبح كان صنيعها جمالا. وقد استخدم الصحابة رضوان الله عليهم لفظ الحسن والجمال للدلالة على بعض صور التعبد، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ النَّجَّارِيِّ، أَنَّهُ سَأَلَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ – رضي الله عنه -عَنِ الْوِتْرِ، قَالَ: أَمْرٌ حَسَنٌ جَمِيلٌ عَمِلَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ[32]. ففي هذا الحديث وصف لصلاة الوتر بأنه أمر حسن وجميل، وقد أخذ حسنه وجماله من كونه عملُ النبي صلى الله عليه وسلم، وعملُ المسلمين من بعده، ويدل هذا على أن الجمال في السنة النبوية يكون قرين ما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم من أعمال وقرين ما سار عليه المسلمون، فما وصف شيء بالجمال إلا وكان موافقا لما شرعه الله تعالى من أنواع العبادات والمعاملات التي تحقق مصالح العباد في الدنيا والآخرة. ومن ذلك أيضا ما جاء في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنَّا الصَّائِمُ، وَمِنَّا الْمُفْطِرُ، فَلاَ يَجِدُ الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ، وَلاَ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مَنْ وَجَدَ قُوَّةً فَصَامَ فَحَسَنٌ، وَمَنْ وَجَدَ ضَعْفًا فَأَفْطَرَ فَحَسَنٌ[33]. يدل على أن الحسن والجمال في العبادة هو ما يكون في الوسع والقدرة، وعدم تكلف المشاق التي لا تطاق، فالمشقة في الشريعة غير مقصودة لذاتها، فيكون جمال الشريعة في يسرها وفي وسع المكلفين بها وهذا هو جمال الشريعة يقول الله تعالى (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى) [34]

---

[31]. أخرجه: ابن ماجه، في سـننه، في أبواب المسـاجد والجماعات، باب كراهة النخامة في المسـجد، 1 / 489 حديث رقم:(762)، (انظر سنن: ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط 1، دار الرسالة العالمية، 1430 هـ - 2009 م). الحديث إسناده حسن فيه: عائذ بن حبيب صدوق حسن الحديث

[32]. أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، في كتاب الصيام، بَابُ: اسْتِحْبَابِ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ لِمَنْ قَوِيَ عَلَيْهِ وَالْفِطْرِ لِمَنْ ضَعُفَ عَنْهُ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، تحقيق:محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت 3 / 260. وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الصيام، باب:جَوَازِ الصَّوْمِ وَالْفِطْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِلْمُسَافِرِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ إِذَا كَانَ سَفَرُهُ مَرْحَلَتَيْنِ فَأَكْثَرَ، وَأَنَّ الْأَفْضَلَ لِمَنْ أَطَاقَهُ بِلَا ضَرَرٍ أَنْ يَصُومَ، وَلِمَنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ أَنْ يُفْطِرَ، بلفظ:(فإن ذلك حسن)، 2 / 787.

[33]. أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الصيام، باب ما جاء في الرخصة في الصوم في السفر. 2/ 83. حديث رقم:(713) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

[34]. سورة البقرة، الآية: 185

دلالة الجمال على أعمال القلوب

وصفت السنة النبوية بعض أعمال القلوب مثل الصبر والرفق والخلق، بالجمال فيقال صبر جميل، وخلق حسن. ففي حَدِيثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا فَبَرَّأَهَا اللَّهُ قالت: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ»، قُلْت)إِنِّي وَاللَّهِ لاَ أَجِدُ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)[35]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ)[36] العَشْرَ الآيَاتِ[37]. فيوصف الصبر بالجمال إذا لم يكن فيه جزع أو تبرم أو شكوى لغير الله. فمن صبر على هذا الوجه فصبره جميل وجاء في السنة أيضا أن الأعمال التي يصاحبها الرفق تصبح جميلة بتلك المصاحبة، وتصير زينة لها تتجمل بها، فعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)[38]، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الرفق هو الذي يهب الأشياء جمالها وحسنها، بل هو ركن في حسنها وبهائها، فإذا فقد الرفق فقدت الأشياء جمالها وبهائها.

دلالة الجمال على الخلق الحسن:

وصف النبي صلى الله عليه وسلم الخلق الذي يدعو للفضائل ومكارم الأخلاق وينأى بصاحبة عن كل ما هو دنيء ومذموم، بالخلق الحسن، وهذا الخلق الحسن هو من أجمل ما تتزين به النفوس، فإن تحلت بزينته رُفِعتْ لأعلى المقامات، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ – رضي الله عنه - أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ)[39]، فحسن الخلق اسم جامع لكل مكارم الأخلاق، وهو من الأمور التي نالت حظا وافرا من العناية في السنة النبوية، وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق ورغب فيه وبين مقام أهله في الآخرة، وهو أنبل ما يتجمل به المرء، وبه يتحقق كمال الإيمان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ)[40]، قال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه[41]. وقال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل، والبشر، والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم، والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلط والغضب والمؤاخذة[42]، وقال ابن حجر: (وحسن الخلق: اختيار الفضائل، وترك الرذائل)[43].

فالتجمل بحسن الخلق هو أفضل ما تتجمل به النفوس، لكثرة ما في حسن الخلق من صور الجمال المتمثل في لباس الفضائل ونزع الرذائل، وبذل المعروف، وبسط اليد وطلاقة الوجه، وحسن العشرة. ولذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم إذا نظر في المرآة أن: يقول اللهم كما حسنت خَلقي فحسن خُلقي أو فأحسن خلقي، فعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اللهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَأَحْسِنْ خُلُقِي)[44]، وجاء في دعا استفتاح الصلاة (واهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا

---

35. سورة يوسف، الآية: 83 (جزء من الآية)
36. سورة النور، الآية: 11 (جزء من الآية)
37. أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب تفسير القرآن، باب: قوله (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) 76/6. حديث رقم: (4690)
38. أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة والأدب، باب: فضل الرفق، حديث رقم:(2594)، 4/ 204.
39. أخرجه الترمذي في السنن، في أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في حسن الخلق، 4/ 362. حديث رقم:(2002)، وقال الترمذي وَفِي البَابِ عَنْ عَائِشَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنَسٍ، وَأُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ
40. أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، 3/ 458. وَفِي البَاب عَنْ عَائِشَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ.: «حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»
41. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، 12 / 286.
42. المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، النووي: دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1392، - بيروت، 15 / 79
43. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، 1379- بيروت، 6 / 575
44. أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، 42 / 125، حديث رقم:(25221)، قال العراقي إسناده جيد(انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار، الحافظ العراقي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، ص838.)

إِلَّا أَنْتَ)[45] وكلاهما دعاء للتجمل بالأخلاق الحسنة، والله تعالى جعل نبيه صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقا وأكملهم فيه، وهكذا وصفه أصحابه الكرام رضوان الله عليهم، فعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، ... الحديث46، فينال المتجمل بالأخلاق الحسنة علو المنزلة ويصطف مع خيار الناس، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما يحَدِّثُنا، إِذْ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا)[47]، فحقَ أن يكون حسن الخلق أجمل ما تتزين به النفوس.

المطلب الثالث: دلالة الجمال على التناسق والتوازن والاعتدال

لا يكمل الجمال في صورة أو صوت أو غيره، إلا إذا كان متناسقا ومتزنا ومعتدلا. فلا يحسن أن يكون الثوب حسنا والرائحة كريهة، كما لا يحسن طيب الرائحة مع شعر ثائر وأظافر طويلة وثياب بالية، فالجمال يكمل بالتناسق، وقد جاء في السنة النبوية المطهرة ما يفيد ذلك عندما وصف النبي صلى الله عليه وسلم الجنة وتحدث عن جمال بناءها فقال (لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ)[48]، ليس جمال بناء الجنة كونها من ذهب أو فضة فحسب، ولكن تلك الصورة المتناسقة من كون لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وكون حصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وما يحدثه هذا الترتيب من مزيد جمال وعمق في الحس، وكذلك نجد دلالة الجمال وتكامله في حديث الرجل الذي قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَيُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي غَسِيلًا، وَرَأْسِي دَهِينًا، وَشِرَاكُ نَعْلِي جَدِيدًا، فإن التناسق بين ما يعجب الرجل من صور الجمال واضح في صورة الثوب الغسيل والرأس الدهين، والنعل الجديد، وهذا يعني أن الجميل، لا يناسبه إلا الجميل، فصورة الجمال تذهب إن كان الثوب متسخا، والرأس دهينا، أو الرأس ثائر متسخ، والثوب غسيلا، فالصورة إذا افتقدت التناسق لم تكن من الجمال في شيء، فعدم التناسق يذهب الجمال، أو يفقده معناه. وكما يدل الجمال على التناسق كذلك يدل على التوازن والاعتدال والذي هو خاصية من خصائص السنة النبوية، فالتوسط والاعتدال مبدأ أساس في الدين، ومن تَدَيُنْ المسلمِ أخذُهُ للزينة والتجمُلِ بالصورة الحسنةِ، ولكن مع اتزان واعتدال، توازن بحيث لا يتعارض مع مقتضيات التدين، فالزينة والأخذ بأسباب الجمال لشهود الصلوات في المساجد أمر مطلوب، ولكن إذا اقتضي التزين فوات صلاة الجماعة، فتترك الزينة، أو يُكتفي بالحد الأدنى منها، وهذا يفسر لنا ما جاء في حديث أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلَا تَسْمَعُونَ، أَلَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ الْبَذَاذَةَ[49]مِنَ الْإِيمَانِ، إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ)[50]، فالمراد بالبذاذة هنا عدم الإفراط في الزينة، كما ذكر بعض أهل العلم في شرح هذا الحديث، أنه يرَادَ بِهِ إِطِّرَاحَ الشَّهْوَةِ فِي الْمَلْبَسِ وَالْإِسْرَافَ فِيهِ، الدَّاعِيَ إِلَى التَّبَخْتُرِ وَالْبَطَرِ[51]، أو لزوم البذاذة في بعض الأوقات التي تتعارض مع القيام بالواجبات، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بلزومها في جميع الأحوال وقد أمر الله تعالى بأخذ

---

[45]. أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم:(771)، 1/ 534.

[46]. أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب: الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، 45/8.

[47]. أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، 13/8، حديث رقم: (6035)

[48]. جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها، 4/ 672، حديث رقم:(2526)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2، 1395 هـ - 1975 م، مصر.

[49]. البذاذة: هو أن يكون الرجل رث الهيئة أو في هيئة رثة (غريب الحديثي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الأولى، 1384 هـ - 1964 م، حيدر آباد- الدكن، 1 / 145.

[50]. أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الترجل، حديث رقم (4161)، 4 /75

[51]. الاستذكار ابن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1421 – 2000، بيروت، 1/ 330

الزينة عند كل مسجد، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم باتخاذ الطيب، وحسن الهيئة واللباس في الجُمع وما شاكل ذلك من المحافل[52].

خاتمة:

ألخص في خاتمة هذا البحث أهم النتائج وأذكر بعض التوصيات:

أهم النتائج:

1 -مفهوم الجمال في السنة النبوية أشمل وأعمق يتناول كل ما يدرك بالحواس من صورة وصوت ورائحة وغيره، ويتناول غير ذلك مما لا يدرك بالحواس كالقيم النبيلة مثل الصبر والرفق وحسن الخلق.

2 – ورد في السنة النبوية كثير من الأحاديث التي تتناول الجمال. والدعوة للتجمل وأخذ الزينة.

3 – بينت السنة النبوية أن حب الجمال ينبع من الفطرة السليمة، وأن الله جميل يحب الجمال.

4 – لم تجعل السنة النبوية الجمال غاية في ذاته، ولكنه وسيلة لعبادة الله تعالى.

5– أن الجمال لا يكمل إلا إذا كان متناسقا متزنا.

6– أن الجمال يكون في الأفعال الظاهرة والباطنة وأنه يكون قرين الخير والنفع والصلاح.

أهمم التوصيات:

1 – المزيد من الاعتناء بالدراسات الموضوعية في السنة النبوية المطهرة.

2 – إبراز القيم الجمالية في السنة النبوية، وحث المجتمع الإسلامي إلى ترسيخ هذه القيم.

3 – دعوة الهيئات والمؤسسات الدعوية إلى عرض دعوة بالأساليب الجميلة، وترسيخ الوسطية والاعتدال.

4 – أن تقوم المؤسسات والهيئات التنفيذية بتنزيل الهدي النبوي على حياة الناس من ناحية الاعتناء بالجماليات.

المصادر المراجع:

1 – القرآن الكريم.

2 - الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الثالثة، 1409هـ – 1989م

3 - أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م

4 - إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، دار المعرفة - بيروت

5 - الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت
الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م

6 -بحثي في فلسفة الجمال، أبو خالد عوض، الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)، ملتقى أهل الحديث،

7 - تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م

8 - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ

[52]. شرح صحيح البخاري، لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م، الرياض، 9/ 164.

9 - الجراثيم، ينسب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، تحقيق، محمد جاسم الحميدي، وزارة الثقافة، دمشق
10 - جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987.
11 - سنن ابن ماجه، ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ ــ 2009 م
12 - سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت
13 - شرح صحيح البخارى لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م
14 - العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
15 - عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1415 هـ.
16 - غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، 1384 هـ - 1964 م.
17 - الغريب المصنف، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: جـ 1: السنة السادسة والعشرون، العددان (101، 102) 1415/1414هـ جـ 2: السنة السابعة والعشرون، العددان (104، 103) 1416 / 1417هـ.
18 - فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ
19 - الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973 م.
20 - لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
21 - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
22 - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت
23 - معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م
24 - مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي، د. جميل علي السورجي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 20، رمضان 1433هـ ــ 2012 م.
25 - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392.

أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 8، العدد 27 (2017). ص ص 31-40

هدي المصطفى ﷺ في الرحمة بالحيوان

شيخه بنت عبد الله الشيباني(*)

الملخص: لقد خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان في هذه الأرض واستخلفه فيها، وخلق معه مخلوقات أخرى كالحيوانات لتعاونه في عمارة الأرض واستمرار الحياة، كما نظم -سبحانه وتعالى -العلاقة بين الإنسان والحيوان بحيث تقوم على الرفق والرحمة به، لهذا نجد في سيرة النبي محمد ﷺ وهو الرحمة المهداة لجميع من على الأرض، كما قال الله عز وجل (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**) [الأنبياء: 107] صور من رحمته ﷺ بهذه الحيوانات، وتمتاز هذه الرحمة بالجمع بين منفعة الناس الغذائية والمعيشية، وبين الرحمة والرفق، وفي هذا البحث ركزت الدراسة على جوانب الرحمة في سيرة النبي ﷺ للحيوانات والطيور، سواء في حياتها بالرفق بها والإحسان إليها فيما تسخر له من أعمال أو في إطعامها ومشربها، أو عند ذبحها بالرأفة بها والإحسان إليها، ثم سوف تعقد مقارنة بين الذبح حسب التوجيهات النبوية وبين التدويخ والصعق الكهربائي وهي من وسائل الذبح الحديثة التي نتجت عن مناداة جمعيات الرفق بالحيوان بها زعماً منهم أنها ارحم بالحيوان من عملية الذبح الإسلامي، وهو ما سوف تبين هذه الدراسة أنها مزاعم باطلة.

الكلمات المفتاحية : الرحمة بالحيوان ، سيرة النبي ﷺ ، الذبح الحلال ، حقوق الحيوان .

Prophet Mohammad's Guidance About Prevention Of Cruelty To Animals

Shaykhah Abdullah Alshaibani

Abstract: The almighty God created the human and appointed him as a successor on the earth, and created with him others creatures such as the animal to collaborate with him in build the earth and keep the life continue. God almighty also organized the relationship between humans and animals to go by kindness and compassion, and for this we find in the biography of the prophet Mohammad (PBUH), a soothing mercy for all on the world, as God said (and we have sent thee but as a mercy to the world) [the prophet:107], a form of his mercy to these animal, this kind of mercy distinguishes with a combination between the benefit for people's food and living conditions, and between the mercy and compassion. This study will concentrate on the mercy's aspects at the biography of the prophet (PBUH) with animals and birds, even in their life (by forbearance with them) or in their food, drink, or when slaughtered them kindly. Then, the study will make comparison between the slaughtering according to the directive of the prophet and between the slaughtering by electrocution or dizziness which consider means of modern slaughter which resulted from the societies' calling for the prevention of cruelty to animals by their pretense that these ways more merciful to animals than the Islamic slaughter, which this study will show that these claims are false.

Keywords: the mercy on the animal . Biography of the prophite mohammed peace be upon him , Halal slaughter , Animals rights.

(*) أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم والدراسات الإنسانية بثادق – جامعة شقراء،

المقدمة

لقد خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان في هذه الأرض واستخلفه فيها، وخلق معه مخلوقات أخرى كالحيوانات لتعاونه في عمارة الأرض واستمرار الحياة، كما نظم -سبحانه وتعالى -العلاقة بين الإنسان والحيوان بحيث تقوم على الرفق والرحمة به، لهذا نجد في سيرة النبي محمد ﷺوهو الرحمة المهداة لجميع من على الأرض، كما قال الله عز وجل **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)** [الأنبياء: 107] صور من رحمته ﷺبهذه الحيوانات، وتمتاز هذه الرحمة بالجمع بين منفعة الناس الغذائية والمعيشية، وبين الرحمة والرفق، حيث نجده ﷺ يأمر برحمة الحيوان وعدم القسوة معه، فلا يسمح بالعبث بالحيوانات أو إيذائها أو تكليفها ما يشق عليها، ويأمر بالإحسان إليها عند ذبحها فدم الحيوان مصان إلا ما أحل الله ذبحه لأكله، أو قتله لأذيته.

لهذا امتاز دين الإسلام بتعاليمه السمحة بتشكيل نظرة الحضارة الإسلامية عبر العصور إلى الحيوان، وإلى رعاية شؤونه وحقوقه وهي نظرة فريدة، تُرجمت – بلا ضجيج إعلامي صاخب- إلى سلوكيات تلقائية ونظم اجتماعية تقرب بها المسلمون إلى ربهم، ودخلت في نسيج عباداتهم [1].

وفي هذا البحث سوف تركز الدراسة على جوانب الرحمة في سيرة النبي ﷺ للحيوانات والطيور، سواء في حياتها بالرفق بها والإحسان إليها فيما تسخر له من أعمال أوفي إطعامها ومشربها، أو عند ذبحها بالرأفة بها والإحسان إليها، ثم سوف تعقد مقارنة بين الذبح حسب التوجيهات النبوية وبين التدويخ والصعق الكهربائي وهي من وسائل الذبح الحديثة التي نتجت عن مناداة جمعيات الرفق بالحيوان بها زعماً منهم أنها ارحم بالحيوان من عملية الذبح الإسلامي، وهو ما سوف تبين هذه الدراسة أنها مزاعم باطلة.

المبحث الأول: صور من رحمته ﷺ بالحيوانات والطيور.

المطلب: رحمته ﷺبالحيوانات.

1-رحمته بالإبل

كان رسول الله ﷺيحرص على حقوق الحيوان، بحيث جعل النفقة على الحيوان واجبة على صاحبه، ونهى عن إجاعته وتعريضه للهزال والضعف، ولقد آلم مشاعره ﷺ مشاهدته لبعير جائع، فقد روى سهل بن الحنظلية قال: " مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: اتقوا الله في هذه البهائم المعجمه فأركبوها صالحة وكلوها صالحة " [1]. كما قوّم ﷺ سلوكاً سيئاً لفتى من الأنصار كان يجيع بعيره ويحمله فوق طاقته، فالرسول ﷺ لم ينهى فقط عن عدم أطعام الحيوان بل أيضا نهى عن تحميله ما لا يطيق من عمل، فقد روى عبد الله بن جعفر قال: " اردفني رسول الله ﷺخلفه ذات يوم، فأسر إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفاً[2]أو حائش نخل [3]، قال: فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه. قال: فأتاه النبي ﷺ فمسح سرته –وصوابه –سراته إلى سنامه وذفراه[4]، فسكن فقال: من رب

---

[1] د. راغب السرجاني، الإسلام وحقوق الحيوان، مقال منشور بموقع قصة الإسلام islamstory.com.

[1] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، 23/3. قال الألباني عن هذا الحديث: "صحيح "، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 2000م، 110/2

[2] الهدف: كل بناء مرتفع مشرف. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت630هـ)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، (د.ت). مادة (هدف) 346/9.

[3] حائش النخل هو النخل الملتف المجتمع كأنه لالتفافه يحوش بعضه إلى بعض. ابن منظور، لسان العرب، مادة(حاش)، 291/6.

[4] ذفرى البعير أصل أذنه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذفر) 307/4.

هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله. قال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه " [5].

وهنا يبرز بالإضافة إلى عمق رحمة وشفقة نبي الهدى والرحمة بالحيوان، دليل على نبوته المتمثل في كلام البهائم الخرس معه ﷺ، فإنه إذا كان الإعجاز خارقا للعادة لم يمتنع فيه ظهور ما خالفها، وإذا كانت البهائم مسلوبة الإفهام مفقودة الكلام فليس بمستنكر إذا أراد الله تعالى بها إظهار معجز أن يعطيها من المعرفة أن تنطق بما ألهمها وتخبر بما أعلمها ثم سلبها ذلك فتعود إلى طبعها [1].

وقد شملت رحمته ﷺ الرفق بالإبل في حال السفر، فإذا كانت الأرض في طريق السفر خصبة كثيرة العشب، فلتعطى الإبل حظها من الطعام والشراب، وتقليل السير بها لترعى، حيث قال ﷺ: " إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض "[2].

كما نهىﷺ عن الجلوس طويلاً على ظهر البعير وهو واقف، لأنه اعتداء على بهيمة تحس ولا تنطق، فربما كانت الدابة المركوبة عند الله خير من راكبها. حيث روي عنه ﷺ: " أنه مر قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل، فقال لهم: اركبوها سالمة ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله تبارك وتعالى منه " [3].

ومن رحمته ﷺأنه حرم الإيذاء المعنوي للحيوان، المتمثل في اللعن، وهذه ميزة عظيمة امتاز بها دين الإسلام. فقد روى أبو برزة الأسلمي قال: " بينما جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم إذ بصرت بالنبي ﷺ، وتضايق بهم الجبل فقالت: حل اللهم العنها. قال: فقال النبي ﷺ لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة "[4].

قال النووي: وقوله: (حل) بفتح الحاء المهملة، وإسكان اللام: وهي كلمة لزجر الإبل، والمراد من هذا الحديث: النهي أن تصاحبهم تلك الناقة، وليس فيه نهي عن بيعها وذبحها وركوبها في غير صحبة الرسول ﷺ، بل كل ذلك وما سواه من التصرفات جائز لا منع منه، إلا من مصاحبة النبي ﷺ بها [1].

2- رحمته بالخيل

أن النبي ﷺ جعل من الإحسان إليها اختيار طعامها وشرابها وفي كل ذلك أجر، حيث روي أن روح بن زنباع[5] زار تميم الداري[6] فوجده ينقي شعيراً لفرسه، قال: وحوله أهله. فقال له روح: أما كان

---

[5]مسلم بن الحجاج القشيري، (ت261هـ)، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت)، كتاب: الحيض، باب: مايستتر به لقضاء الحاجة، (رواه مختصرا) 268/1؛ ورواه المقدسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد، (ت643هـ)، الأحاديث المختارة، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط1، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1410هـ، 158/9.

[1] الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد (ت429هـ) أعلام النبوة، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م. 185/1.

[2] مسلم، الصحيح، كتاب: الإمارة، باب: مراعاة مصلحة الدواب في السير والنهي عن التعريس في الطريق، 1525/3.

[3] أحمد بن حنبل الشيباني، (ت241هـ)، المسند، علق على أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، وناصر الدين الألباني، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م، 439/3، صححه ابن خزيمة وقال شعيب: " حسن دون آخره ".

[4] مسلم، الصحيح، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها. 2005/4.

[1] محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي(ت676هـ) رياض الصالحين، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 2007م، ص202.

[5] روح بن زنباع الجذامي، من أهل فلسطين وكان عابداً غازياً من سادات أهل الشام، وروى عنه أهل الشام. ابن حبان، محمد بن حبان البستي (ت354هـ) الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط1، 1975م.

[6] تميم بن أوس بن خارجة الداري، صاحب رسول الله ﷺ، سكن الشام ومات بها سنة 40هـ. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ، 442/2-448.

في هؤلاء من يكفيك؟ قال تميم: بلى، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما من امرئ مسلم ينقي لفرسه شعيرا، ثم يعلقه عليه إلا كتب له بكل حبة حسنة "[6].

كما نهىﷺ عن قطع نسل الحيوانات وحرمانها من حقها الفطري في التناسل والتكاثر والبقاء، فعن ابن عمر –رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ نهى عن خصاء الخيل والبهائم "، وقال ابن عمر: " فيه نماء الخلق "[1].

3-رحمته بالبقر

من رحمته ﷺ بها أن لا تستعمل في غير ما خلقت له لما في ذلك من الإيذاء لها، فقد روى أبو هريرة ﷺقال: صلى رسول الله ﷺصلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: " بينا رجل يسوق بقرة، إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث..." [2].

قال ابن حجر: " استدل به على أن الدواب لا تستعمل إلا فيما جرت العادة باستعمالها فيه، ويحتمل أن يكون قولها: إنما خلقنا للحرث. للإشارة إلى معظم ما خلقت له، ولم ترد الحصر في ذلك، لأنه غير مراد اتفاقاً لأن من أجل ما خلقت له أنها تذبح وتؤكل باتفاق "[3].

4-رحمته بالحمار

من رحمته ﷺ أنه نهى عن الإيذاء الجسدي، روى جابر ﷺ: "أن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وسم في وجهه فقال: " لعن الله الذي وسمه "[4].

فوسم الوجه فيه تعذيب وتشويه للحيوان، كما أن هذا الوسم ربما أذى بعض الحواس [5]، وهذا ليس من الرحمة والإحسان للحيوان. فما أعظم رفقه ﷺوعنايته بحقوق الحيوان.

5-رحمته بالكلب

جعل النبي ﷺ الرحمة بالحيوان باباً من أبواب الأجر ومغفرة الذنوب ودخول الجنة، حيث قال ﷺ لصحابته رضوان الله عليهم وهو يحثهم على الرحمة بالحيوان: " بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من شدة العطش فقال: لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له ". قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال " " في كل كبد رطبة أجر " [1].

وروي عنهﷺأنه قال: " بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به " [2].

هكذا غرس ﷺ خلق الرحمة في نفوس أصحابة، بحيث لا يحقرون من المعروف شيئاً وأن لا تقتصر الرحمة على الإنسان بل تشمل أيضاً الحيوان.

---

(6) أحمد بن حنبل، المسند، 103/4.
(1) أحمد بن حنبل، المسند، 24/2.
(2) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256هـ) الصحيح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1987م. الصحيح، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الغار، 1280/3.
(3) أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ) فتح الباري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، 518/6.
(4) مسلم، الصحيح، كتاب: اللباس والزينة، باب: النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه. 1673/3.
(5) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت676هـ)، شرح النووي على صحيح مسلم، ط2، دار إحياء التراث، بيروت، 1392هـ. 97/14.
(1) البخاري، الصحيح، كتاب: المساقاة الشرب، باب: فضل سقي الماء، 833/2.
(2) البخاري، الصحيح، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الغار، 1279/3.

6-رحمته بالقطط.

حث ﷺ على الرفق بها، وأن تعذيبها بحرمانها من الأكل والشرب سببا في دخول النار، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبيﷺقال: " عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا، فدخلت فيها النار، قال: فقال والله اعلم: لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها، ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض "[3].

ما أعظم هذا الدين، فو الله ما وحد الموحدون، وما زكى المزكون، وما حج الحاجون، وما قام القائمون، ولا ابتعد عن الحرام المبتعدون، إلا من أجل أن يفوزوا بالجنة، ومن أجل أن ينجيهم الله من النار، فتختزل هذه القضية العظيمة بهذه البساطة والسهولة في الرحمة، بغي ترحم كلبا؛ فيدخلها الله الجنة ويغفر لها الذنب، وامرأة تقسو على قطة وتعذبها، وتحرمها من الطعام والشراب حتى ماتت، فتدخل النار.

المطلب الثاني: رحمته ﷺبالطيور.

فقد نهى ﷺ عن ترويع الطيور وهو نوع من الإيذاء المعنوي لها، روى عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيهﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: " من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها، ..." [4].لقد أحس رسول الله ﷺ بما أحست به تلك الحمرة من حرقة ولوعة لفقدها ولدها وهذا من رحمته ورفقه ﷺ.

كما نهى ﷺ عن ذبح العصفور بلا حاجة، روى عبد الله عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: " ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عز وجل عنها يوم القيامة " قيل: يا رسول الله وما حقها؟ قال: " حقها أن يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها فيرمي به " [5].

وقال ﷺ: " من قتل عصفورا عبثا، عج إلى الله عز وجل يوم القيامة منه، يقول: يارب، إن فلانا قتلني عبثا، ولم يقتلني لمنفعة "[1].

وقد أجاز النبي ﷺ تربية الطيور للتسلي بها وملاعبتها، حيث جاء في حديث أنس بن مالك ﷺقال: إن النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير[2]"[3].

قال بعض العلماء تعليقاً على هذا الحديث: أنه رخص للصبي إمساك الطير ليلتهي به، وأما تمكينه من تعذيبه ولا سيما حتى يموت فلم يبح قط [4].

كما حث على الرفق بها وعدم تعذيبه ابأن تجعل هدف للرمي، فقد روي أنأنس ﷺرأى غلماناً أو فتياناً نصبوا دجاجة يرمونها فقال أنس: نهى النبي ﷺ أن تصبر[5] البهائم "[6].

هذه هي حقوق الحيوان التي أمر بها دين الإسلام وأرشدنا إليها رسول الله ﷺ، ولا بد أن يعلم العالم كله أن محمدا ﷺ هو أول من أصَّل وأسس قضية الرفق بالحيوان، حيث وجه الأمة الإسلامية لسماحة الدين الإسلامي سواء مع الإنسان أو الحيوان.

---

[3] البخاري، الصحيح، كتاب: المساقاة الشرب، باب: فضل سقي الماء، 833/2.

[4] أبو داود، السنن، 367/4.

[5] الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت405هـ) المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه "، 261/4.

[1] أحمد بن حنبل، المسند، 389/4.

[2]النغير: طائر يشبه العصفور. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نغر)، 223/5.

[3] البخاري، الصحيح، كتاب: الأدب، باب: الانبساط إلى الناس، 2270/5.

[4] ابن حجر، فتح الباري، 586/10.

[5] أصل الصبر الحبس، وهو أن يمسك الطائر أو غيره من ذوات الروح يصبر حيا ثم يرمى بشيء حتى يقتل. ابن منظور، لسان العرب، مادة (صبر)، 437/4.

[6] البخاري، الصحيح، كتاب: الذبائح والصيد، باب: ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة، 2100/5.

المبحث الثاني: الرحمة في إزهاق الذبيحة في الذبح مقارنة بالتدويخ والصعق.

المطلب الأول: توجيهاتﷺ بآلية الذبح.

لم تكن رحمة ورفق النبي ﷺ بالحيوان مقتصـــرة عليه وهو على قيد الحياة، بل امتدت هذه الرحمة النبوية لتشمله عند ذبحه، واتضح ذلك في التوجيهات النبوية بآلية ذبح الحيوان، التي لم تقتصر على شروط الذبح فقط، بل تضمنت مراعاة صحة الإنسان، وتحقيق الرفق والرحمة بالحيوان؛ حيث بين ﷺالشروط الواجب توفرها في الذابح، وفي أداة الذبح، والشروط في المذبوح، نجملها فيما يلي:

شـروط الذابح هي: أن يكون عاقلا مميزا، وأن يكون ذا دين سماوي مسلماً أو من أهل الكتاب، أن ينوي المسلم ويسمي، وقد اشترط العلماء في صحة الذكاة[1] أن يقول الذابح: " باسم الله، لقوله تعالى **(وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْـمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ..)** [الأنعام:121]، وقال ابن القيم رحمه الله: لا ريب أن ذكر اســم الله على الذبيحة يُطيبها، ويطرد الشــيطان عن الذابح والمذبوح، فإذا أخل به لابس الشــيطان الذابح والمذبوح، فأثر خبثاً في الحيوان، فكان النبي ﷺ إذا ذبح سمى، فدلت الآية على أن الذبيحة لا تحل إذا لم يذكر اسم الله عليها، وإن كان الذابح مسلما "[2]. وللعلماء تفصيل في هذه المسألة، وفي التفريق بين الناسي والمتعمد[3].

أما شـروط آلة الذبح فهي: أن تكون محددة أي ذات حد، وألا تكون الأداة سناً أو ظفراً لقوله ﷺ: " كل ما أنهر الدم إلا السن والظفر" [4]، وقال أيضاً ﷺ"إن الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، ثم ليرح ذبيحته "[2]، ومن السنن التي تتضمنها عملية الذبح، هو عدم ذبح بهيمة أمام الأخرى، وألا ترى السكين حتى لاتخاف، وهذا ما جاء في حديث الرسول ﷺ حين رأى رجلا يحد شفرته وهو يضع رجله على صفحة الشاة التي ينوي ذبحها فقال: " أتريد أن تميتها موتات؟ هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها "[3].

أما شروط المذبوح فهي: أن يكون مما يحل أكله، كبهيمة الأنعام من غنم وبقر وإبل، أو من الطيور كالدجاج والبط والوز، أن يقطع منه ما يجب قطعه في الذكاة بذبح في الحلقوم أو طعن في اللبة، ولا تجوز الذكاة في غيرهما بالإجماع، وقال الشافعي كمال الذكاة بأربع الحلقوم والمريء والودجين[4]، وأقل ما يكفي من الذكاة اثنان الحلقوم والمريء[5].ويكره التمادي في الذبح حتى يقطع النخاع، وهو مذهب الجمهور لأن فيه زيادة إيلام للحيوان بدون فائدة، وقد نهى عمر بن الخطاب ﷺ عن النخع[6] وأن تعجل الأنفس أن تزهق، ويُستحب أن يستقبل الذابح القبلة عند الذبح والذبيحة كذلك، وهي ليست من الشروط الواجبة بل المستحبة [7].

المطلب الثاني: مقارنة بين الذبح حسب الشريعة الإسلامية وبين التدويخ والصعق.

بعد اســتعراض توجيهات النبي ﷺ بآلية الذبح في الإســلام، نســتعرض بعض الدراســات العلمية الحديثة التي أثبتت أن الذبح الإسلامي (الذكاة الشرعية) هي الأفضل صحياً، فيما لو ذبح الحيوان بطريقة غير ها، فهذه الطريقة تهيئ خروج الدم من الحيوان المذبوح من القلب والدماغ، بخلاف

---

(1) يقول الشافعي: " الذكاة أن يجتمع قطع الحلقوم والمريء لاشيء دون ذلك وتمامها الودجين ولو قطع الودجان ولم يقطع الحلقوم والمريء لم تكن ذكاة ". محمد بن إدريس (ت204هـ)، الأم، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1393م، 124/2.

(2) محمد بن أبي بكر الزرعي (ت571هـ)أعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية، ط1، 1991م.118/2.

(3) الشــافعي، الأم، 239/2؛ وخالد بن عبد الرحمن الشــايع، (الذكاة الشــرعية وآثار ها الصــحية) بحث منشــور بموقع صــيد الفوائدwww.saaid.com، وموقعfatwa.islamweb.net

(4) البخاري، الصحيح، كتاب: الذبائح والصيد، باب: لا يذكى بالسن والعظم والظفر. 2097/5.

(2) أحمد بن حنبل، المسند، 123/4.

(3) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، وقال: " هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه "؟257/4.

(4)الحلقوم: وهو مجرى النفس دخولا وخروجا، المريء: وهو مجرى الطعام والشراب، الودجان: وهما عرقان قد يسيلان من الإنسان ثم يحيا. الشافعي، الأم 237/2.

(5) الشافعي، الأم، 236/2.

(6) النخع: أن يذبح الشاة ثم يكسر قفاها من موضع الذبح لنخعه ولمكان الكسر فيه. الشافعي، الأم 239/2.

(7) البخاري، الصحيح، كتاب: الذبائح والصيد، باب: النحر والذبح...2098/5؛ الشافعي، الأم 239/2-240؛ وموقع fatwa.islamweb.net.

عمليات القتل الأخرى، حيث تؤدي إلى صدمة للحيوان فيتجمد الدم ويدخل في أعضاء الحيوان، وما يسببه هذا من ضرر فيما لو أكلت بهذه الطريقة وهذه شهادة حديثة بعظمة تعاليم الإسلام الصحية، وما توفره من أجواء آمنة وصحية.

ومع هذا نجد بعض المغرضين يشنُّ هجوماً شرساً على طريقة الذبح الإسلامي، ويرون أن هذا الذبح بقطع عنق الحيوان بسكين حادٍّ يؤدي إلى تعذيب الحيوان والقسوة عليه، لذا فهم يرون أن يحلَّ محل هذه الطريقة الطرق الحديثة المتمثلة في إحدى الطرق التالية:

أولاً. التدويخ الكهربائي: وتتلخص هذه الطريقة بتمرير تيار كهربائي، بفولت منخفض خلال مخ الحيوان، ووردت في القانون البريطاني عام 1958، وشاع استعمالها في ذبح الخنازير والأبقار والعجول والأغنام وإذا لم تتم عملية التدويخ الكهربائي بالدقة المطلوبة فإنها تنقلب من إنسانيةٍ مدَّعاة إلى وحشية متناهية، إذ تسبب الصدمة الكهربائية شللاً كاملاً للذبيحة مع وجود الوعي على حالته. وتعرف علميا بالصدمة الضائعة أو التائهة، وتكمن ديناميكية هذه الطريقة في تنبيه خلايا المخ بصورة غير طبيعية، ولا متفقة، مما ينجم عنه تشوه في خلايا المخ، وحالة من عدم التمييز، ويلاحظ أن اللحم الناتج من عدم إتقان الصدمة الكهربائية عادة ما يكون مبقعا وغامق اللون، كما أنه تختلف استجابة الحيوانات بأنواعها للصدمة الكهربائية [1].

ثانيا. التخدير بثاني أكسيد الكربون: يستخدم هنا خليط من غاز ثاني أكسيد الكربون (70-65 %) والهواء ولمدة 45 ثانية لعملية خنق الحيوان وتتطلب ضرورة بدء النزف خلال 30 ثانية لا أكثر وبالتالي فهناك صعوبة في الوصول إلى ذلك عمليا. وطبقت بداية على الأغنام والطيور والخنازير ونظرا لرداءة اللحوم الناتجة عن طريقة القتل هذه فقد توقفت لعدم ملائمتها للحيوانات الكبيرة أو الطيور واستقر الاستخدام في عملية قتل الخنازير. ومهما كانت الوسيلة أو الحيوان المستخدم عليها فحكمها حكم الميتة والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، ناهيك عن رداءة نوعية اللحوم لبقاء الدم في الجسم وهي أيضا طريقة غير إنسانية للحيوان [1].

ثالثاً. المسدس الواقذ ذو الطلقة المسترجعة: توجه هذه الآلة إلى جبهة الحيوان في موضع محدد يختلف تبعا لنوع الحيوان. وعند الضغط على الزناد تنطلق خرطوشة فارغة من المسدس لتوجه مسماراً غليظاً إلى داخل الجمجمة ونسيج المخ، وبهذا لا يدوخ الحيوان فقط، بل يموت أيضاً. ويظل المسمار الغليظ المدبب من الأمام متصلاً بالمسدس يعود إليه آليا بواسطة نابض مرتبط طرفه الأول بالمسدس، والثاني بالمسمار، بحيث يسمح هذا الوضع باستعماله دائما. وباستخدام هذه الطريقة يستمر القلب في الخفقان لفترة يسيرة، وتنتهك أنسجة المخ[2].

رابعا: المغطس المكهرب: وهو خاص بالدواجن، إذ تعلق من أرجلها بشريط آلي متحرك يجعل رؤوسها وأعناقها تمر بحوض مائي مكهرب، فتصعق، ثم يمر بها ذلك الشريط على سكين آلية تذبحها وهي على هذه الحالة. ويتم في بعض المذابح ذبحها يدوياً بعد الصعق المذكور، ثم يمر بها على حوض كبير مملوء بالماء المغلي لتسهيل نتف الريش، ثم تخرج منه لمتابعة المراحل الأخرى. وتؤدي هذه الطريقة إلى تثبيط عمل المخ وعمل القلب فيبقى الدم في الجسم دون التخلص منه، وتؤدي إلى نزيف داخلي بالأوردة والشعيرات الدموية وقد تؤدي إلى الموت قبل النزف كما أنها مؤلمة جدا فلا هي رحيمة بالحيوان ولا هي صحية للإنسان [1].

---

[1] د. محمد فؤاد البرازي، الذبح الإسلامي ومزاياه والذبح الغربي وخفاياه، بحث مقدم إلى مؤتمر الخليج الأول لصناعة الحلال وخدماته، الكويت، بتاريخ 1-9 /2011/11م، منشور بموقع: صيد الفوائد www.saaid.com

[1] د. جواد الهدمي، " الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ما بين الذبح الإسلامي (الذبح الحلال) وصحة الإنسان، بحث منشور بموقع quran-m.com.

[2] د. محمد فؤاد البرازي، مرجع سابق.

[1] د. جواد الهدمي، مرجع سابق، ود.محمد فؤاد البرازي، مرجع سابق.

محاسن الذبح الإسلامي، ومساوئ التدويخ والصعق الكهربائي:

تناول عدد من الباحثين بالدراسة محاسن الذبح الإسلامي ومساوئ التدويخ والصعق الكهربائي، واعتمدت دراستهم على نتائج دراسات علمية قام بها أكاديميون مسلمون وغير مسلمين، وتجارب وزيارات وبحوث ميدانية قاموا بها.

أولاً: محاسن الذبح الإسلامي:

1. الإسراع بموت الحيوان، وخروج روحه، وذلك بإحداث نزيف شديد عن طريق القطع الحاد في مقدمة الرقبة. وقد أكدت الدراسات أن هذه الوسيلة أفضل الوسائل وأسرعها لخروج روح الحيوان. ولن يتوفر هذان العنصران معاً بدون هذه الطريقة.
2. إن الطريقة الإسلامية في الذبح إذا أجريت بالطريقة الصحيحة تقطع الدم والهواء فوراً عن الدماغ فيصاب الحيوان بإغماء كامل ويفقد الحس تماماً والاختلاجات التي تحدث هي عبارة عن أفعال انعكاسية لها أهمية كبيرة في تخليص الذبيحة تماماً مما بها من دم. لذا يعتبر الذبح الإسلامي أقل ألماً للحيوان من أي وسيلة أخرى، لسرعة إزهاقة للروح، ولسلامته من المعاناة النفسية للذبيحة[1].
3. أن الفكرة الأساسية للذبح تعتمد على نزف أكبر كمية من الدم قد تصل إلى ثلثي دم الذبيحة، وهو ما يحسن من كفاءة اللحم ومذاقه، ويقلل النمو البكتيري الضار به، ففي طريقة الذبح وآلته يتحقق جرح قطعي بالحيوان، وتكتمل صورة الفصد بحركة الحيوان بعد الذبح كدليل معتمد على وجود الحياة بها، وكوسيلة لانقباضات العضلات، لمساعدة الدم على خروج من الشعيرات الدموية الداخلية، وقد ثبت علمياً أن مقدرة العضلات على الانقباض لها دور كبير من الناحية العلمية على جودة لحم الذبيحة، وزيادة القدرة على حفظه وتجميده.[2]
4. أنه بالإضافة إلى كون اللحوم المذبوحة بالطريقة الإسلامية أفضل مذاقاً، فإن تركيب الأنسجة فيها يجعل اللحم أفضل قواما، يضاف إلى ذلك أن درجة التعادل (Ph) تكون في هذا اللحم عند درجتها المثلى، وهي ما بين 5,5 إلى 5,8.[3]

ثانياً -مساوئ التدويخ والصعق الكهربائي:

1. إن الصعق يؤدي إلى موت نسبة عالية من الحيوانات قبل ذبحها، لاسيما الأبقار المصعوقة بالمسدس الواقذ، إذ يؤدي استعماله إلى قتل الحيوان باعتراف مصنعيه أنفسهم، وكذلك الحال في الدواجن التي تصعق بحوض مائي مكهرب، وتتفاوت نسبة وفيات الدواجن بحسب قوة الصعق الكهربائي وضعفه من ناحية، وبحسب ضعف الحيوان وقوته من ناحية أخرى [1].
2. أن استخدام هذه الطرق والتي تسمى اليوم بطرق قتل الحيوان الإنسانية هي مجرد عرض لآلية مميكنة وشكل من أشكال القتل لضمان نتائج عالية الأرقام في عدد الحيوانات المذبوحة لتصنيع اللحوم ولسرعة التعبئة والتغليف [2].
3. ينجم عن التدويخ أو استعمال المسدس احتقان جزء من الدم في الذبيحة لأن هذه الطريقة أقل كفاءة في استنزاف دم الحيوان، وهذا ضار بصحة الإنسان، لأن الدم مسرح للميكروبات والجراثيم، وبعضُ هذه الكائنات الدقيقة لا تموت بالغلي فتضر في صحة متناولي هذه اللحوم. وكثيراً ما يحدث التبقع الدموي نتيجة لتدويخ الحيوان بأي وسيلة من هذه الوسائل الحديثة،

---

[1] د. جواد الهدمي، الذبح في الإسلام وقاية للإنسان وغاية في الرفق بالحيوان، بحث منشور بموقع: المعهد العالمي للإعجاز العلمي www.iiquran.com.

[2] خالد بن عبد الرحمن الشايع، مرجع سابق، ود.محمد فؤاد البرازي، مرجع سابق.

[3] د.محمد فؤاد البرازي، مرجع سابق.

[1] د.محمد فؤاد البرازي، مرجع سابق.

[2] د. جواد الهدمي، الإعجاز العلمي، مرجع سابق.

وتظهر أوضح ما تكون في الحيوانات المقتولة بالمسدس، وتتميز بخروج الدم من أوعيته الدموية، وظهوره كنقط نزفية، أو بقع، أو خطوط في أجزاء مختلفة من عضلات الذبيحة [3].

4. التلف الذي يحدثه المسدس في المخ، والشلل في كثير من الأحيان إثر التدويخ الكهربائي، وإذا لم يذبح الحيوان بعد تدويخه فقد يسترد وعيه على الرغم من بقائه مشلولاً، أو تتعطل بعض حواسه فتبيض عيناه، ويفقد بصره في بعض الأحيان [4].
5. إن هذه الطرق في الذبح لا تريح الحيوان بل تزيده ألما و عذابا. فقد أثبتت التجارب العلمية والأجهزة الخاصة أن فقد الوعي بهذه الطرق يجيء متأخراً بالمقارنة بالطريقة الإسلامية [5].
6. يؤدي تدويخ الحيوانات إلى سرعة تعفن هذه اللحوم لعدم استنزاف دمائها بشكل كامل بعد ذبحها، وهذا بخلاف الحيوان المستنزف فإن لحمه يبقى صالحاً لفترة أطول، زد على ذلك أن طعم هذه اللحوم ليس بمستوى اللحوم المستنزفة من الدماء[6].
7. استحالة التمييز بين النزيف في اللحم الناتج عن اختلاجات الصدمة، والنزيف المتسبب عن المرض، وفي حالة عدم التمييز بينهما يؤدي ذلك إلى تناول لحوم مريضة يصعب اكتشاف مرضها إذا كان في بدايته، خاصة وأن الدم الخارج بسبب نزيف مرضي يعتبر خادعاً لصعوبة تمييزه عن الدم الخارج بسبب اختلاجات الصدمة [7].

الخاتمة

بعد استعراض صور من رحمة النبي ﷺ بالحيوان سواء حياً أو ميت، نلخص ابرز نتائج البحث فيما يلي:

1. عظم خلق النبي ﷺ القائم على مبدأ الرحمة، بحيث بلغت الأمة الإسلامية مستوى عالي من الرفق والرحمة بالحيوان.
2. أن الدين الإسلامي هو أول من وضع حقوق الحيوان لذا كانت الرحمة بالحيوان من أسس الحضارة الإسلامية.
3. أن مفهوم الرحمة بالحيوان في المنهج النبوي تجمع بين منفعة الإنسان بالحيوان من الناحية الغذائية والمعيشية وبين الرحمة والرأفة فهو لا يسمح بالقسوة أو العبث به.
4. للحيوان حق الرحمة كحق الإنسان، وذلك لما له من خصائص وطبائع وشعور لا تقل عما لدى الإنسان، لذا كانت الرحمة به موجبة لمغفرة الذنوب، والقسوة عليه موجبة لعذاب الله.
5. أن طريقة الذبح الإسلامية بشروطها وآدابها هي الأمثل، رحمة بالحيوان وإحسانا لذبحته وتقليلا من معاناته.
6. أثبتت الدراسات العلمية التي قام بها باحثين من المسلمين وغير المسلمين محاسن الذبح الإسلامي للحيوان ومساوئ التدويخ والصعق الذي يخلوا من الرحمة والإحسان للحيوان.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر.

- أحمد بن حنبل الشيباني، (ت241هـ)

1- المسند، علق على أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، وناصر الدين الألباني، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م، 3.

---

[3]) د. جواد الهدمي، الإعجاز العلمي، مرجع سابق؛ود.محمد فؤاد البرازي، مرجع سابق.

[4]د.محمد فؤاد البرازي، بحث سابق.

[5] د. جواد الهدمي، الإعجاز العلمي، مرجع سابق؛ود.محمد فؤاد البرازي، مرجع سابق.

[6]د.محمد فؤاد البرازي، مرجع سابق.

[7] د.محمد فؤاد البرازي، مرجع سابق.

- البخاري، محمد بن إسماعيل (256هـ)

2-الصحيح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1987م.

- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت405هـ).

3-المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

- ابن حبان، محمد بن حبان البستي (ت354هـ)

4-الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط1، 1975م.

- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)

5-فتح الباري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)،

6-سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)

7-سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ

- الشافعي، محمد بن إدريس (ت204هـ).

6- الأم، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1393م.

- الألباني، محمد ناصر الدين

8- صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 2000م.

- مسلم بن الحجاج القشيري، (ت261هـ)

9-الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت).

- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد، (ت643هـ)،

10-الأحاديث المختارة، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط1، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي (ت571هـ).

11-أعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية، ط1، 1991م.

ثانياً: أبحاث ومقالات منشورة بمواقع الانترنت.

- د. جواد الهدمي.

1-الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ما بين الذبح الإسلامي (الذبح الحلال) وصحة الإنسان. بحث منشور بموقع quran-m.com

2- الذبح في الإسلام وقاية للإنسان وغاية في الرفق بالحيوان، بحث منشور بموقع: المعهد العالمي للإعجاز العلمي www.iiquran.com

- خالد بن عبد الرحمن الشايع.

3-الذكاة الشرعية وآثارها الصحية، بحث منشور بموقع صيد الفوائدwww.saaid.com

- د. راغب السرجاني.

4-الإسلام وحقوق الحيوان، مقال منشور بموقع قصة الإسلام islamstory.com

- د.محمد فؤاد البرازي.

5- الذبح الإسلامي ومزاياه والذبح الغربي وخفاياه، بحث مقدم إلى مؤتمر الخليج الأول لصناعة الحلال وخدماته، الكويت، بتاريخ 1-9 /2011/11م، منشور بموقع: صيد الفوائد www.saaid.com

- موقع فتاوى الإسلام fatwa.islamweb.net

أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 8، العدد 27 (2017). ص ص 41-60

أدوات التمويل المصرفي الإسلامي ودورها في تطوير خدمات التمويل الأصغر: تجربة السودان خلال الفترة 2009-2015م

مصطفى محمد مسند*

الملخص: تتلخص مشكلة البحث في عدم التنسيق بين المؤسسات التي تعمل في مجال التمويل الأصغر، مما يضعف من دورها في تقديم خدماتها للفقراء، كما تتعرض هذه المؤسسات- في ذات الوقت - لعدد من المعوقات والتحديات، ولذلك يبرز سؤال أساسي وهو هل بالإمكان تجميع موارد هذه المؤسسات في محفظة واحدة باستخدام أدوات التمويل المصرفي الإسلامي حتى يتمكن المستفيد من الحصول على التمويل من جهة واحدة (محفظة) تتجمع فيها هذه الموارد بدلاً من تشتيت الموارد والجهود؟ والسؤال الآخر ماهي آلية عمل هذه المحفظة لتحقق أهدافها؟ ولاختبار الفرضيات التي تمت صياغتها فلقد اشتمل البحث على أربعة محاور، تناول المحور الأول ملاءمة أدوات التمويل الإسلامي للتمويل الأصغر، وجاء المحور الثاني مستعرضاً للمعوقات والتحديات التي تواجه التمويل الأصغر، أما المحور الثالث فهو بعنوان دور أدوات التمويل الإسلامي في تشبيك خدمات التمويل الأصغر، وفي المحور الرابع تم التركيز على أهم النتائج والتوصيات. من أهم التوصيات التي توصل إليها البحث ضرورة تبني الدولة لمشروع محفظة التمويل الأصغر الإسلامي والمشاركة فيها عبر مؤسساتها المختلفة التي تعمل في مجال مكافحة الفقر، وأن تحول للمحفظة نسبة الـــ 12% التي ألزم بها البنك المركزي المصارف العاملة لتمويل قطاع التمويل الأصغر، وضرورة احتفاظ كل مؤسسة مشاركة في المحفظة بحساب مستقل، وحث المؤسسات والأفراد والمجتمع على أهمية التبرع والتصدق لصالح الفقراء.

الكلمات المفتاحية: التمويل المصرفي الاسلامي، التمويل الأصغر، السودان.

Islamic Finance Tools and its role in the development of Microfinance Services Sudan Experience during the Period (2009-2015)

Mustafa Mohamed Musnad

Abstract: The area of concern of this research is to solve the problem related to the lack of coordination among microfinance institutions which leads to a lot of weaknesses, obstacles and challenges facing these institutions, In response to this problem, our study proposes to investigate the possibility of collecting the resource of all these institutions in one portfolio by using Islamic finance tools to help the customer (beneficiary) to obtain his finance from one place instead of dispersing resources and efforts. To test the research hypothesis and answering its question the research is divided to four sections, section one explain the basic concepts related to the suitability of Islamic finance tools to microfinance, section two examines the obstacles and challenges facing microfinance, section three discusses the role of Islamic tools in linking possibilities of microfinance services and section four present the main findings and recommendations. The research recommended that the government of Sudan has to support this idea and to participate in the suggested Islamic microfinance portfolio through its various institutions which work in the field of poverty alleviation, transferring of the amount which has been determined by the central bank of Sudan (12% out of the bank**s'** portfolio) from the banking sector to the suggested portfolio, each partner in the suggested portfolio must have its own account and encouragement of institutions, individuals and society to participate in poverty alleviation.

Keywords: Islamic Finance, Microfinance, Sudan.

* جامعة القصيم، السعودية، mmusnad@yahoo.com

مقدمة البحث:

تهتم دول العالم المختلفة (المتقدمة والنامية) ومنذ فترة طويلة بالتمويل الأصغر الذي يشكل نسبة كبيرة من إجمالي ناتجها المحلي الإجمالي، فعلى سبيل المثال فإنه يشكل نسبة 93% من الناتج المحلي الإجمالي بأمريكا، ويتم تمويل هذا القطاع عبر سعر الفائدة في النظام المصرفي التقليدي، ولعل ما يميز النظام المصرفي الإسلامي عن النظام التقليدي هو عدم استخدامه لسعر الفائدة وكذلك تعدد وتنوع أدواته التمويلية مما يجعله قادراً على تطوير وتفعيل صناعة التمويل الأصغر، والتخفيف من حدة الفقر من خلال استخدامه لهذه الأدوات.

هذا البحث لا يتناول الأدوات الإسلامية بمعنى الصيغ الإسلامية التي يستخدمها النظام المصرفي الإسلامي كعقود المشاركات والمعاوضات فقط، وإنما يضيف اليها أدوات أخرى تتمثل في الزكاة التي تقدم من خلال مؤسسات الزكاة بالدول الإسلامية، والوقف الذي يقدم من خلال مؤسسات الوقف الاسلامي بالبلاد الإسلامية، والتبرعات التي تقدم من خلال المؤسسات المختلفة والأفراد، وستتم دراسة حالة التجربة السودانية خلال الفترة 2009-2015م، حيث إن كل المؤسسات المصرفية والمالية بالسودان تتعامل وفق النظام الإسلامي منذ العام 1984م، والإضافة العلمية التي يقدمها هذا البحث تتمثل في تطوير خدمات هذه المؤسسات من خلال إنشاء محفظة تمويل مشتركة باستخدام أدوات التمويل المصرفي الإسلامي، وبذلك يكون قد ساهم في ابتكار خدمة جديدة للتمويل الأصغر قابلة للتطبيق والتطوير.

أهمية موضوع البحث:

تنبع أهمية هذا الموضوع من أهمية صناعة التمويل الأصغر واهتمام الجهات المختلفة (قطاع عام وخاص وأفراد) بتقديم خدماتها في هذا المجال، ومحاولة البحث لإيجاد آلية يتم من خلالها التنسيق بين مؤسسات وقطاعات وأدوات التمويل الأصغر لتطوير هذه الخدمات.

مشكلة البحث:

تهتم الدول الإسلامية بتخفيف حدة الفقر من خلال أجهزتها المتعددة المتمثلة في مؤسسات التمويل الأصغر، ومؤسسات الزكاة والوقف، وتكمن المشكلة في أن كل مؤسسة من هذه المؤسسات تعمل وفق آلياتها وأدواتها الخاصة بها بمعزل عن المؤسسات الأخرى، مما يضعف من دور هذه المؤسسات في تقديم خدماتها للفقراء، كما تتعرض في ذات الوقت لعدد من المعوقات والتحديات، ولذلك يبرز سؤال أساسي وهو هل بالإمكان تجميع موارد هذه المؤسسات في محفظة واحدة باستخدام أدوات التمويل المصرفي الإسلامي حتى يتمكن المستفيد من الحصول على التمويل من جهة واحدة (محفظة) تتجمع فيها هذه الموارد بدلاً من تشتيت الموارد والجهود؟ والسؤال الآخر ماهي آلية عمل هذه المحفظة لتحقق أهدافها؟

فروض البحث:

يفترض هذا البحث الآتي:

أ/ غزارة موارد الزكاة (أكبر المؤسسات الداعمة لمكافحة الفقر في السودان) المخصصة للفقراء والمساكين مقارنة بحجم التمويل الأصغر بالقطاع المصرفي السوداني.

ب/ على الرغم من اختلاف المنطلق (الفلسفة) الذي يحكم عمل المؤسسات وأعمال البر الإسلامية التي تعمل في مجال التمويل الأصغر ومكافحة الفقر، إلا إنه لا توجد عقبات فقهية تحول دون استخدام أدوات التمويل المصرفي الإسلامي لتطوير خدمات هذه المؤسسات من خلال إنشاء محفظة مشتركة بينها.

منهج البحث:
استخدم الباحث مناهج البحث التالية:
أ/ المنهج الاستنباطي لتحديد أنماط المشاكل المرتبطة بالبحث ووضع الفروض.
ب/ المنهج الاستقرائي لاختبار مدى صحة فروض البحث.
ج/ المنهج التاريخي لتسجيل ودراسة الأنشطة والبيانات الماضية وتحليلها.
د/ منهج دراسة الحالة حيث تم اختيار المصارف، وديوان الزكاة، ووزارة الإرشاد والأوقاف بالسودان لدراسة مدى إمكانية إنشاء محفظة موحدة من موارد هذه المؤسسات.

وسيلة جمع البيانات:
اعتمد الباحث على الكتب والدوريات والتقارير في الحصول على البيانات اللازمة لإجراء هذا البحث.

تنظيم البحث:
يشتمل هذا البحث على أربعة محاور وهي كما يلي:
المحور الأول: ملاءمة أدوات التمويل الإسلامي للتمويل الأصغر.
المحور الثاني: المعوقات والتحديات التي تواجه التمويل الأصغر.
المحور الثالث: دور أدوات التمويل الإسلامي في تشبيك خدمات التمويل الأصغر
المحور الرابع: النتائج والتوصيات.

المحور الأول: ملاءمة أدوات التمويل الإسلامي للتمويل الأصغر

تختلف الأدوات التي تستخدمها المؤسسات لتقديم خدمات التمويل الأصغر، علماً بأن هذه المؤسسات قد تكون مصرفية أو غير مصرفية، لذلك يجيء هذا المحور متناولاً لأدوات التمويل الإسلامي ومدى ملاءمتها للتمويل الأصغر حيث تم تقسيمها إلى نوعين:
النوع الأول: أدوات التمويل المصرفية وهي تشمل:
أ/ عقود المشاركات
ب/ عقود المعاوضات
ج/ عقود التبرعات
النوع الثاني: أدوات التمويل غير المصرفية وهي تشمل الزكاة والوقف والتبرعات.

1-1 أدوات التمويل الإسلامي المصرفية ومدى ملاءمتها للتمويل الأصغر:
سيتم في هذا الجزء من البحث تناول أدوات التمويل الأصغر بالمصارف الإسلامية من خلال استعراض الجوانب التالية:
1/ المبادئ الأساسية للتمويل الإسلامي.
2/ مدى ملاءمة أدوات التمويل الإسلامي للتمويل الأصغر.
3/ تجربة المصارف السودانية في التمويل الأصغر.

1-1-1المبادئ الأساسية للتمويل المصرفي الإسلامي[1]:
لقد وضع الشرع مبادئ عامة تحكم عمليات التمويل الإسلامي وتشتمل هذه المبادئ على الآتي:
أ/ الالتزام بالضوابط الشرعية للمعاملات في الإسلام, ومن أهم هذه الضوابط تحريم الربا،تحريم الاكتناز، استثمار المال في الطيبات والابتعاد عن المحرمات، الالتزام بالقيم والأخلاق الإسلامية في المعاملات.

1د. سليمان ناصر، تطوير صيغ التمويل قصير الأجل للبنوك الإسلامية، ط1، غرداية المطبعة العربية، 2002م، ص ص 41، 58.

ب/ الالتزام بقاعدة الغُنم بالغُرم أو الخراج بالضمان ويقصد من ذلك أن مقابل المشاركة في أخذ الغُنم، إذا حصل، لابد أن يكون تحمل الغُرم أو الخسارة إذا حدثت وهذا هو معني الحديث الشريف (الخراج بالضمان).

ج/ ارتباط التمويل بالإنتاج الحقيقي، وهذا يعني أن التمويل الإسلامي يرتبط بإضافة شيء جديد للمجتمع خاصة وإنه (أي التمويل الإسلامي) يرتبط بالغرض منه وكيفية استخدامه ومدته ومدى جدواه للمجتمع.

2-1-1 مدى ملاءمة الأدوات الإسلامية للتمويل الأصغر:

تقسم عقود التمويل الإسلامي إلى ثلاث مجموعات كما ذكر سابقاً وهي كما يلي:

أ/ عقود شركات كالمضاربة والمشاركة والمزارعة والمساقاة.

ب/ عقود معاوضات مالية مثل بيع المرابحة والمرابحة للآمر بالشراء وبيع السلم والاستصناع والمقاولة والإجارة.

ج/ عقود التبرعات

1-2-1-1 عقود الشركات:

يقصد بها اشتراك أثنين أو أكثر في عملية استثمارية، وتشتمل هذه العقود على عدد من الصيغ منها المضاربة والمشاركة والمزارعة والمساقاة والمغارسة، وسيتم في هذا البحث التركيز على المضاربة والمشاركة لارتفاع نسبة التمويل بهما مقارنة بصيغ المشاركات الأخرى.

أولاً: المضاربة:

1- تعريف وأنواع المضاربة:

المضـــاربة هي عقد بين رب المال والمضـــارب على أن يأتي المال من طرف (رب المال) والعمل من طرف آخر (المضارب) على أن لا يكون نصيب أي من الطرفين مبلغاً محدداً من الربح وإنما نسبة مئوية أو كسر (جزءاً مشاعاً)، أما الخسارة (إذا كانت دون تعدٍ أو تقصير) فإنها تكون على رأس المال[2].

تنقسم المضاربة إلى قسمين هما المضاربة المطلقة والمضاربة المقيدة[3]، فالمضاربة المطلقة هي المضـــاربة التي تتم دون قيود، أي أن يقدم صـــاحب رأس المال ماله لطرف آخر (المضـــارب) دون تعيين لطبيعة وزمن ومكان ومواصفات العمل الذي سوف يستثمر فيه المال المضارب به، إلا أن المصارف لا تتعامل بهذا النوع من المضاربة حرصا على أموالها من الضياع ولصعوبة متابعة استثمارها بهذه الطريقة. أما المضاربة المقيدة فهي المضاربة المقيدة بشروط وأحكام محددة بحيث يحدد صاحب رأس المال طبيعة وزمن ومدة العمل، بالإضافة لتحديده للأطراف التي سوف يتم التعامل معها، أو أي شروط أخرى يراها رب المال طالما كان ذلك في إطار الشرع, والمضـــاربة المقيدة هي السائدة الآن في المصـــارف الإســـلامية لأنها أكثر انضـــباطا وتتيح للمصـــارف أكبر قدر من الرقابة على استثماراتها.

2- علاقة المضاربة بالتمويل الأصغر:

تتمثل علاقة المضاربة بالتمويل الأصغر في الآتي[4]:

- تقوم المضاربة على التقاء أصحاب المال وأصحاب الخبرات الذين لا يمتلكون مالاً(يمكن أن يكون هؤلاء هم الفقراء)، وهذا الأسلوب يعني تحقيق التعاون والمصلحة لكلا الطرفين.
- لا ضمان على المضارب في عقد المضاربة إلا في حالة التفريط والتعدي لأنه أمين على ما بيده من مال، ويجوز أخذ رهن من المضارب للاستيفاء في حالة التعدي والتقصير أو مخالفة الشروط،

---

[2] د. قتيبة عبد الرحمن العاني، التمويل ووظائفه في البنوك الإسلامية والتجارية (دراسة مقارنة)، ط1،عمان، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 2013، ص 116.

[3] د. غسان السبلاتي، المصارف الإسلامية نظام عادل ومستقر، ط1، بيروت، دار المنهل اللبناني، 2012م، ص 151.

[4] د. عز الدين محمد خوجة، أدوات الاستثمار الإسلامي، بنك البركة الإسلامي، مجموعة دلة البركة، إدارة التطوير والبحوث، ص ص 121، 130.

وهذا الرهن لا يجوز أن يكون لضمان رأس المال أو الربح لأنه لا يجوز أن يكون أحدهما مضموناً على الآخر، وهذا الشرط يساعد على حل مشكلة الضمانات التي تطلبها المصارف من المستفيدين من التمويل الأصغر.

- تكون الخسارة على رب المال وحده في حالة عدم التعدي والتقصير لأن الخسارة عبارة عن نقصان رأس المال ورأس المال مختص بملك صاحبه وهو رب المال وتكمن العدالة في هذه الحالة في أن رب المال يتحمل الخسارة المادية بينما يتحمل المضارب (المستفيد من التمويل الأصغر) خسارة وقته وجهده ولا يطالب بتعويض رب المال عن الخسارة.

ثانياً: المشاركة:

1- تعريف وأنواع المشاركة:

المشاركة هي عقد بين طرفين أو أكثر على الاشتراك في رأس المال للقيام بأعمال وأنشطة محددة ومعرّفة بغرض تحقيق الربح، ولا يشترط المساواة في حصص الأموال أو العمل كما لا يشترط التساوي في نسب الأرباح، أما الخسارة إذا حدثت دون تعدٍ أو تقصير فهي تكون حسب حصة كل شريك في رأس المال[5].

تتعدد أنواع المشاركة في الواقع العملي فمن حيث استمرار رأس المال تصنف إلى دائمة ومؤقتة، أي إنها ترتبط باستمرار الملكية أو عدمه، ويمكن تلخيص مفهوم هذين النوعين في الآتي:[6]

النوع الأول المشاركة الدائمة (المستمرة)، وهي التي يقوم فيها المصرف بالاشتراك مع طرف آخر في تمويل مشروع معين بهدف الربح، وبذلك يصبح شريكاً في ملكية وإدارة وأرباح هذا المشروع دون تحديد أجل محدد لانتهائه، ومثال لذلك مشاركة المصرف في إنشاء شركة أو مؤسسة.

النوع الثاني المشـــاركة المؤقتة (المتناقصـــة أو المنتهية بالتمليك)، وهذا النوع من المشـــاركة تتاح فيه الفرصـــة للشـــريك بأن يحل محل المصـــرف، وأن ينفرد بملكية المشـــروع إما دفعة واحدة أو على دفعات حســـبما تقتضـــي طبيعة العملية والشـــروط المتفق عليها، فمن وجهة نظر الشـــريك تســـمى بالمشـــاركة المنتهية بالتمليك لأنه سـيتملك المشـروع بعد سـداده لمسـاهمة المصـرف، أما من وجهة نظر المصـرف فهي مشـاركة متناقصـة لأن مشـاركته تتناقص كلما اسـترد من الشـريك جزءاً من تمويله.

وقد أقر مؤتمر المصرف الإسلامي بدبي صوراً ثلاث لهذه المشاركة وهي:

الصورة الأولي، أن يتفق البنك مع الشريك علي أن يبيعه حصته في المشاركة بعقد مستقل بعد إكمال عقد المشاركة الأساسي، ويكون لأي من الشريكين أن يبيع حصته للشريك الآخر أو لشخص أجنبي عن المشاركة وللبنك أن يبيع حصته بربح.

الصورة الثانية، أن يقسّم صافي العائد بعد خصم هامش الإدارة إلى ثلاثة أقسام:

1/ حصة البنك كعائد لتمويله (مساهمته).

2/ حصة الشريك كعائد لمساهمته.

3/ حصة ثالثة لرد مساهمة البنك.

الصـورة الثالثة، أن يحدد نصـيب كل شـريك في رأس مال المشـاركة في شـكل أسـهم متسـاوية القيمة يمثل إجمالها أسـهم المشـروع وللشـريك أن يشـتري في كل مرة بعض الأسـهم المملوكة للبنك بحيث تتناقص أسـهم البنك بمقدار ما تزيد به أسـهم الشـريك إلى أن يمتلك كامل الأسـهم التي تمثل رأسـمال

---

[5] د. محمد محمود العجلوني، البنوك الإسلامية أحكامها مبادئها – تطبيقاتها المصرفية، ط3، عمان، دار المسيرة،2012،، ص ص 223-224

[6]
- د. أحمد عبد العزيز النجار وآخرون، 100 سؤال و100 جواب عن المصارف الاسلامية – القاهرة الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية.
- أ. محمد الطاهر الهاشمي، المصارف الإسلامية والمصارف التقليدية الأساس الفكري والممارسات الواقعية، مصراتة، جامعة 7 أكتوبر، 2010م، ص ص 181- 182.

المشروع.

2- تطبيقات المشاركة في عمليات التمويل الأصغر:

أ/ المشـاركة هي إحدى وسـائل توظيف الأموال بالمصـارف الإسـلامية وهى من أكثر الصـيغ مرونة وملاءمة وشمولاً، ويمكن تطبيقها في التمويل الأصغر في مجالات الصناعة والزراعة بشقيها النباتي والحيواني والأنشطة الحرفية والمهنية للأفراد والمجموعات.

ب/ المشاركة من الصيغ التي يمكن تطبيقها بسهولة في عمليات التمويل الأصغر عبر تجمعات صـــغار المنتجين في النشـــاطات الإنتاجية والخدمية على حدٍ ســـواء. مثال لذلك الجمعيات التعاونية والاتحادات المهنية، حيث تضـــم الجمعية أو الاتحادات عدداً من صـــغار المنتجين والمهنيين الذين يرغبون في التمويل.

ج/ في حال حدوث الخسارة فيتحملها المشاركون وبشكل يتناسب مع حصة كل منهم في رأس المال، وبذلك يحدث امتصاص لهذه الخسارة من قبل كل المشاركين فلا يقع عبئها على فرد أو مجموعة بعينها وهذا يمثل مشـهداً آخر من العدالة مما يشـجع المسـتفيدين على طلب التمويل عبر هذه الصيغة.

د/ إنها صيغة تناسب إنشاء المشاريع الإنتاجية متوسطة وطويلة الأجل وبالتالي فإن الموارد يتم توجيهها في المجالات الاستثمارية المنتجة بدلاً من استخدامها في الأعمال الهامشية.

2-1-1-2: عقود المعاوضات المالية:

يطلق عليها أيضاً صيغ البيوع، وهي أساليب بديلة عن المشاركات يلجأ إليها الشخص في حال عدم رغبته بالمشاركة في النشاط الاستثماري، ومن أنواعها:

أولاً بيع المرابحة:

بيع المرابحة نوعان هما بيع المرابحة البسيطة وبيع المرابحة للآمر بالشراء، ويعرف بيع المرابحة البسيطة[7] بأنه بيع بمثل رأسمال المبيع مع زيادة ربح معلوم، أي هو البيع الذي يدفع فيه المشتري مبلغاً زائداً على ما قامت به السلة (أي ثمن الشراء) وأي مصروفات يتحملها البائع. وبيع المرابحة وفق هذا يرد علي السلعة المملوكة للبائع وقت التفاوض. أما بيع المرابحة للآمر بالشراء فهو[8] البيع الذي يتفاوض ويتفق فيه شخصان أو أكثر ثم يتواعدان على تنفيذ الاتفاق الذي يطلب بمقتضاه الآمر من المأمور شراء سلعة معينة أو موصوفة لنفسه، ويعده بشراء السلعة منه وتربيحه فيها على أن يعقدا على ذلك بيعاً جديداً بعد تملك المأمور للسلعة، إذا اختار الآمر إمضاء الاتفاق، وعلي إثر ذلك يقوم المأمور بشراء السلعة من السوق المحلي أو يستوردها وفقاً للمواصفات المطلوبة ثم يعرضها علي طالبها بتكلفتها وربح مسمي، وذلك وفقاً للآتي:

1/ أن يطلب أحد المتعاقدين (ويسمي الآمر بالشراء) من الآخر (ويعرف بالمأمور) أن يشتري منه سلعة مسماة وموصوفة.

2/ يعد الآمر بالشراء المأمور بأنه متى ما اشترى السلعة فانه (أي الآمر):

- سيقوم بشرائها منه
- وسيربحه فيها

3/ إذا قبل المأمور الطلب فعليه أن يقوم أولاً بشراء السلعة المطلوبة ويتملكها ملكاً تاماً.

4/ علي المأمور أن يعرض السـلعة عندئذ مجدداً علي الآمر بالشراء وفقاً لشروط الاتفاق الأول.

5/ عند عرض السلعة علي الآمر

- يكون له: علي الصحيح الخيار في أن يعقد عليها بيعاً بنـاء علي وعده الأول، أو يعدل عن

---

[7]بنك الخرطوم, هيئة الرقابة الشرعية، البرنامج التأصيلي لتدريب العاملين ببنك الخرطوم، المستوي الأول.

[8] بنك السودان المركزي، توثيق تجربة السودان في مجال المصارف والمؤسسات المالية الاسلامية – مخطط هيئات الرقابة الشرعية-، المراشد الفقهية الصادرة عن الهيئة العليا للرقابة الشرعية للجهاز المصرفي والمؤسسات المالية، الطبعة الأولى، دار السداد للطباعة، الخرطوم،2006، ص ص 1-2

شرائها.

- هنالك رأي لبعض الفقهاء المحدثين بأن يلتزم الآمر بالشراء بوعده ولا تتاح له فرصة الخيار.

وتجدر الإشارة إلى أن المصارف الإسلامية اعتمدت منذ قيامها وحتى الآن على صيغة المرابحة للآمر بالشراء في تمويلها لأصحاب المشروعات الصغيرة والمتوسطة[9].

أما علاقة المرابحة والمرابحة للآمر بالشراء بالتمويل الأصغر فتكمن في أن المستفيد من التمويل الأصغر يستطيع من خلالهما أن يحصل على سلعته التي يرغب فيها ودفع قيمتها على أقساط للبنك، لاسيما وأن عملاء التمويل الأصغر لاتتوفر لديهم موارد كافية تمكنهم من شراء ما يرغبون فيه من سلع وخدمات نقداً.

ثانياً بيع السلم:

السلم هو بيع يتم فيه الاتفاق على تعجيل دفع ثمن السلعة مع تأجيل تسليمها، وهو جائز بالكتاب والسنة والإجماع[10]، أي أن السلم هو بيع آجل بعاجل.

تكمن علاقة السلم بالتمويل الأصغر في الآتي:

1/ يمكن للمصرف الإسلامي أن يقوم بتطوير المنتجات الزراعية الصغيرة بتوسيعها وتحديثها وزيادة إنتاجيتها، وبناءً عليه فان بيع السلم يحقق المنفعة للمصرف وللعملاء وللمجتمع.

2/ يلبى حاجيات كل من المسلم (البنك) والمسلم إليه (البائع) فالعميل (المزارع الصغير، المهني، الحرفي) يحصل على تمويل السلعة مقدماً قبل الزراعة أو الصناعة والبنك يشتري السلعة من العميل بمقدار رأسمال السلم بالسعر الذي تم الاتفاق عليه وهو سعر يحقق العدالة لكلا الطرفين (السعر العادل).

3/ يساهم السلم في رفع مستوى المعيشة ومعالجة مشكلة البطالة، وذلك من خلال مساهمته في تخفيف التفاوت في الدخول عن طريق إتاحة فرصة لذوى الدخول المحدودة للمساهمة في الإنتاج (كالمزارعين وصغار المنتجين).

ثالثاً الاستصناع والمقاولة:

الاستصناع هو طلب الصنع، وهو عقد بيع بين المستصنع " المشترى "والصانع" البائع" بحيث يقوم الثاني– بناء على طلب من الأول، بصناعة سلعة موصوفة تسمى المصنوع – أو الحصول عليها عند أجل التسليم على أن تكون مادة الصنع وتكلفة العمل من الصانع. وذلك مقابل ثمن يدفع نقداً أو مؤجلاً كله أو مقسطاً، وإذا لم يشترط المستصنع على الصانع أن يصنع بنفسه، فيجوز له - الصانع - أن ينشئ عقد استصناع ثان مع طرف ثانٍ بغرض تنفيذ التزامه في العقد الأول من غير ارتباط جوهري بالعقد الأول[11].

أما المقاولة فلقد تم تعريفها في قانون المعاملات المدنية السوداني لسنة 1984م في المادة 378 والتي تقرأ (المقاولة عقد يتعهد أحد الطرفين بمقتضاه بأن يصنع شيئاً أو يؤدي عملاً لقاء مقابل يتعهد به الطرف الآخر). كما أجاز ذات القانون للمقاول أن يتعهد بتقديم المواد والعمل معاً، وفي هذه الحالة تعتبر المقاولة استصناع ووفقاً لهذه الصورة فإن عقد الاستصناع يستجيب لمتطلبات المقاولة بمفهومها الحديث.

إن صيغة عقد المقاولة بهذا المفهوم شبيهة في بعض مجالاتها بصيغة المرابحة للآمر بالشراء حيث إن المصرف يكون وسيطاً في تمليك خدمة أو عمل لزبونه بتكلفته وربح مسمى دون أن يكون هو المنجز والمنفذ الفعلي لهذا العمل كما هو الحال في بيع المرابحة للآمر بالشراء.

بناءً على ما ورد سابقاً فإن صيغتا الاستصناع والمقاولة يصلحا للتطبيق في المجالات المختلفة للتمويل الأصغر الفردي والجماعي، ومن أمثلة ذلك تشييد المباني ونقل السلع والبضائع

---

[9] شهاب أحمد سعيد، إدارة البنوك الإسلامية، عمان دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص 3.

[10] د. أحمد طه العجلوني، مقدمة في نظرية التمويل الإسلامي وأدواته- مدخل مالي معاصر، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2014، ص 176.

[11] بنك السودان المركزي، توثيق تجربة السودان في مجال المصارف والمؤسسات المالية الاسلامية، مرجع سبق ذكره، ص63.

وتصنيع الأثاث المنزلي وحفر الآبار وغيرها.

رابعاً عقد الإجارة المنتهية بالتمليك:

الإجارة المنتهية بالتمليك هي أن يرغب طرف في بيع بعض ممتلكاته من معدات وعقارات وغيرها ولكنه لا يود أن ينقل ملكيتها للطرف الثاني من أجل ضمان حقوقه وعدم تصرفه (الطرف الثاني) فيها، فيقوم بتأجيرها له لمدة معينة ثم بيعها له بعد ذلك، ونظراً لتعدد صور هذه الصيغة والشبهات التي تكتنف بعضها فلقد قرر مجمع الفقه الاسلامي في مؤتمره الخامس بالكويت 1409هـ الاكتفاء عن صور الإيجار المنتهي بالتمليك ببدائل أخرى منها[12]:

i - البيع بالأقساط مع الحصول على الضمانات الكافية.

ii- عقد إجارة مع إعطاء المالك الخيار للمستأجر بعد الانتهاء من وفاء جميع أقساط الإيجار المستحقة خلال المدة في واحد من الآتي:

- إنهاء عقد الإجارة ورد العين المأجورة إلى صاحبها.
- شراء العين المأجورة بسعر السوق عند انتهاء مدة الإجارة.

تكمن علاقة الإجارة المنتهية بالتمليك بالتمويل الأصغر في أنها توفر للمستأجر استخدام العين المؤجرة خاصة تلك التي لا يستطيع تملكها بسبب ارتفاع أسعارها مثل آلة الحراثة، وآلة الحصاد وغيرها من المعدات والآليات، وتحقق هذه الصيغة فائدة أكبر في مشروعات التمويل الأصغر الجماعية والتي تحتاج لآليات ضخمة يصعب توفيرها عبر الأفراد أو المجموعات.

3-2-1-1 عقود التبرعات بالمصارف:

عقود التبرعات هي عبارة عن عقود تنظم كل أنواع معاملات الإحسان المالية التي يجريها المتبرع بإرادته الحرة، تقربا إلى الله، وطلبا لمرضاته ونيل ثوابه، وهي ملزمة للمتبرع بعد انعقادها، ومن أنواعها:

أولاً القرض الحسن:

القرض هو ما يعطيه المقرض من المال إرفاقاً بالمقترض ليرد إليه مثله دون اشتراط زيادة، ويطلق هذا اللفظ كما جاء في القرآن على المال الذي ينفق على المحتاجين طلباً لثواب الآخرة.[13]

تتمثل فكرة القرض الحسن في إتاحة البنك الإسلامي لمبلغ من المال لعميله، على أن يرد العميل في نهاية المدة المتفق عليها أصل المبلغ، دون مطالبته بأي مبلغ زيادة على أصل القرض، ولكن يجوز للبنك أن يأخذ مقابل للتكاليف الإدارية والمصروفات التي أنفقها مقابل القرض ولكن بشرط أن لا يزيد هذا المقابل عن التكاليف والمصروفات الفعلية[14]، وإلا سيكون شكل من أشكال الربا لأن كل قرض جر منفعة فهو رباً. وتجدر الإشارة إلى أن القرض الحسن يمثل نسبة ضعيفة جداً من إجمالي التمويل المصرفي.

ثانياً التبرعات النقدية غير المستردة:

التبرعات النقدية تعتبر أيضاً من ضمن الوسائل المتاحة للمصارف لتقديم الخدمات الاجتماعية إلا أنها تشكل نسبة ضعيفة من إجمالي المصروفات.

يعتبر كل من القرض الحسن والتبرعات النقدية من الأدوات المناسبة للتمويل الأصغر لأنهما لا يترتب عليهما عبئاً مالياً إضافياً للعميل، ولكن، كما ذكر سابقاً فإن المصارف لا تلجأ إليهما بحكم طبيعتها التجارية والربحية.

مما سبق يتضح أن كل صيغ التمويل الإسلامي التي ذكرت مناسبة للتمويل الأصغر، وما يحكم تمويل العميل بصيغة دون الأخرى هو إمكانياته المالية ورغبته في مشاركة المصرف من

---

[12] وزارة التعليم، جامعة القصيم، كلية الاقتصاد والإدارة، راشد بن أحمد العليوي، أدوات التمويل والاستثمار الإسلامية،2012م، د ن، ص 240

[13] http://www.yaqob.com/web2/index.php/maqalat/maqal/74 مقال للشيخ أبو العلاء محمد بن حسين بن يعقوب السلفي المصريJuly .2010

[14] د. محمد محمود العجلوني، مرجع سبق ذكره، ص ص 345-346.

عدمها، ولكن يبقى السؤال هل أدت هذه الصيغ دورها في مجال التمويل الأصغر أم أن المصارف في الجانب الآخر تفضل التمويل ببعض الصيغ دون الأخرى. هذا ما نحاول الإجابة عليه في الجزء التالي من البحث آخذين في الاعتبار التجربة السودانية.

3-1-1 تجربة المصارف السودانية في التمويل الأصغر :

لقد استحدث بنك السودان المركزي في العام 1991م ما يعرف بالتمويل الريفي ويقصد من ذلك مراعاة أن لا تقل نسبة التمويل الممنوح بأي من فروع المصارف العاملة بالمناطق الريفية المختلفة عن 50% من جملة ودائع الفرع في أي وقت من الأوقات، إلا أن هذا القرار لم يستمر طويلاً، وفي ذات العام (أكتوبر 1991م) أشارت السياسة التمويلية الصادرة من البنك المركزي إلى أن يكون التمويل الزراعي بنسبة لا تقل عن 40% من السقف المقرر لكل بنك على أن يشمل ذلك صغار المنتجين والمهنيين والعاملين في مجال الزراعة بنسبة لا تقل عن 3%، أما القطاعات الأخرى ذات الأولوية غير القطاع الزراعي فقد حددت لها السياسة التمويلية نسبة 40% على أن تخصص نسبة 3% من السقف الكلي لصغار المنتجين والمهنيين العاملين في هذه القطاعات.

وفي العام 1999م حدد البنك المركزي نسبة لا تقل عن 5% من السقف التمويلي لأي مصرف لتمويل شريحة صغار المنتجين والمهنيين، كما وجه المصارف بأن تمتد فترة تمويل هذه الشريحة لمدة سنتين كحد أقصى، وشهدت هذه النسبة بعد ذلك زيادة خلال السنوات اللاحقة، وذلك وفقاً لما يلي:

جدول رقم (1)

النسب المحددة للتمويل الأصغر من قبل بنك السودان المركزي[15]

العام	1999	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007
نسبة التمويل الأصغر (للأسر المنتجة وصغار المنتجين والحرفيين)	%5	%7	%10	%10	%10	%10	%10	%10	%12 حتى الآن

ولكن في الواقع العملي هل التزمت المصارف بتنفيذ هذه النسبة، أم كان تمويلها لهذا القطاع ضعيفاً مقارنة بحجم مواردها؟ الجدول التالي يوضح نسب التمويل الفعلي خلال الفترة 2009 - 2015م.

جدول رقم (2)

النسب الفعلية لتمويل قطاع التمويل الأصغر[16]

العام	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015
النسبة	%3	%2.9	%3.2	%4.9	%5.0	%4.6	%5.0

من الجدول رقم (2) يلاحظ ضعف تمويل المصارف لقطاع التمويل الأصغر على الرغم من توجيه البنك المركزي لها وتحديده للنسب الواردة بالجدول رقم (1)، ويعزى السبب في ذلك لعدم توفر الضمانات الكافية لهذا القطاع، ولضعف الأرباح التي تحققها المصارف منه. وتجدر الإشارة إلى أن المصارف لم تفعِّل كل الصيغ للتمويل الأصغر بل ركزت في تمويله على المعاوضات وفي مقدمتها المرابحة التي تراوحت نسبة التمويل بها ما بين 50 و60% من إجمالي حجم التمويل المصرفي، أما التمويل بالمشاركات فلقد انحصر في المضاربة والمشاركة علماً بأن نسبة التمويل بهما (في أحسن حالاتها) 16.5% من إجمالي التمويل[17].كما اتضح من خلال إحصائيات البنك المركزي الضعف

---

[15] بنك السودان المركزي، السياسات التمويلية والنقدية خلال الفترة 1999-2009

[16] بنك السودان المركزي، التقارير السنوية للأعوام 2009 – 2015 م

[17] بنك السودان المركزي، التقارير السنوية، 2009- 2015م.

الشديد في التمويل عبر القرض الحسن حيث تراوحت نسبته بين 0 و0.5%[18].

2-1أدوات التمويل غير المصرفية ومدى ملاءمتها للتمويل الأصغر:

يتم في هذا الجزء من البحث تناول أهم الأدوات غير المصرفية (مثل الزكاة والوقف) التي يتحصل من خلالها الفقراء على الموارد المالية.

1-2-1 الزكاة:

1-1-2-1 تعريف الزكاة وعلاقتها بالتمويل الأصغر

الزكاة فريضة من الله سبحانه وتعالى وهي ليست اختيارية ولا صدقة تطوع متروكة لحرية الفرد، والغرض منها هو إصلاح أحوال المجتمع وتكافله ماديًا ومعنويًا, وتطهير النفوس من الشح والبخل, يقول تعالى: (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز, الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة)(الحج 40, 41), ويقول تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)(التوبة 71), ويقول تعالى (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة 60)

دليلها من الحديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله, وأن محمدًا رسول الله , وإقام الصلاة, وإيتاء الزكاة, وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا, وصوم رمضان.) أخرجه البخاري ومسلم.

إن علاقة الزكاة بالتمويل الأصغر هي علاقة مباشرة، حيث إنها تعمل، على سبيل المثال، على تشييد المؤسسات الخدمية وتقوم بمد الفقراء والمساكين بالكميات المناسبة من الغذاء والكساء والأدوات الإنتاجية والعلاج ضد الأمراض، كما تصرف على الغارمين وابن السبيل مما يساعد على استقرارهما وزيادة إنتاجهما.

2-1-2-1: تجربة الزكاة في السودان:

أولاً: مراحل تطور نظام الزكاة في السودان:

بدأ التطبيق المؤسسي للزكاة في السودان منذ العام 1980م حيث مرت بخمس مراحل يمكن إجمالها في الآتي[19]:

المرحلة الأولى قانون الزكاة للعام 1980م، أنشئ بموجب هذا القانون صندوق الزكاة الطوعي والذي يقوم بدوره بتوزيع الزكاة على مستحقيها، ولقد كانت الحصيلة المدفوعة للصندوق ضعيفة لأنها كانت تدفع طوعاً، وباتت الحاجة واضحة للانتقال من طور التطوع والمسئولية الشخصية الى طور الإلزام والمسؤولية الرسمية.

المرحلة الثانية قانون الزكاة والضرائب لسنة 1984م، تمثلت أهم سمات هذا القانون في الآتي:

- ولاية الدولة على الزكاة، وهذه تعتبر المرة الأولى التي تتولى فيها الدولة على أمر الزكاة منذ نهاية الثورة المهدية في العام 1889م.
- ازدواجية العمل بين الزكاة والضرائب.
- تعيين الأمين العام للضرائب والزكاة بواسطة رئيس الجمهورية.

المرحلة الثالثة قانون الزكاة لسنة 1986م، اشتملت أهم سمات هذا القانون على الآتي :

- إلزامية الزكاة.
- فصل الزكاة عن الضرائب وإنشاء جهاز قائم بذاته للزكاة على رأسه أميناً عاماً يعينه مجلس الوزراء.

---

[18]المرجع السابق.

[19]د. در الدين طه أحمد، الاقتصاد الاسلامي البديل المرتقب، خطوط رئيسة، الخرطوم، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة،2009م،ص ص289،279

- جواز استثمار أموال الزكاة.
- قبول الزكاة من بيوت الزكاة والأفراد في العالم الإسلامي.
- تطبيق الزكاة في كل أقاليم السودان.
- ربط منح المستندات أو التسهيلات التي تخول حقوقاً أو امتيازات مالية بإبراز شهادة أداء الزكاة.

المرحلة الرابعة قانون الزكاة للعام 1991م ، تمثلت أهم ملامح هذا القانون في الآتي:
- توسيع مفهوم المال الخاضع للزكاة حيث تم إدخال المرتبات والأجور والمهن والمستغلات ضمن أوعية الزكاة.
- تطبيق قانون الزكاة على كل سوداني يملك مالاً (داخل أو خارج السودان) تجب فيه الزكاة، مع مراعاة عدم الازدواجية في دفع الزكاة.
- تخصيص نسبة 20% من مال الزكاة المستحقة لدافع الزكاة ليوزعها بنفسه.

المرحلة الخامسة قانون الزكاة للعام 2001م، إن أبرز سمات هذا القانون تمثلت في إدخاله لاستثمارات الدولة المباشرة وغير المباشرة ضمن الأموال الخاضعة للزكاة بما في ذلك استثمارات الدولة في مجال النفط.

ثانياً: الجباية والصرف بديوان الزكاة:

يعمل ديوان الزكاة على تلقى وجباية وإدارة وتوزيع الزكاة بما يحقق التراحم والتكافل الاجتماعي. الجدول التالي يوضح نشاط ديوان الزكاة بالسودان فيما يختص بجباية وتوزيع أموال الزكاة:

جدول رقم (3)

الجباية والصرف بديوان الزكاة[20](المبالغ بالمليون جنيه سوداني)

العام	الجباية	الصرف الفعلي على مستحقي الزكاة	عدد الاسر المستفيدة	الصرف على الفقراء والمساكين	نسبة الصرف على الفقراء والمساكين
2009	445,3	405.4	1517122	293.8	% 72.5
2010	497.4	460.1	2207937	330.5	% 72.0
2011	592.6	574.2	2471767	434.1	% 73.3
2012	807.8	683.1	3111996	504.1	% 73.3
2013	1200	1169.5	3037255	835	% 71.6
2014	1555.3	1337.4	1920920	952	% 71.2
2015	2100	1790.1	2411086	1326.9	% 74.0

من خلال الجدول رقم(3) يلاحظ الآتي:

1/ استطاع ديوان الزكاة خلال الفترة 2009- 2015م أن يصرف على نحو 31% من إجمالي عدد سكان السودان وذلك باعتبار أن متوسط عدد أفراد الأسرة 5.

2/ إن معظم الموارد التي تتم جبايتها توجه لصالح الفقراء والمساكين، ولقد تراوحت نسبة الصرف عليهما ما بين 72 و74% خلال فترة الدراسة، ولقد درج ديوان الزكاة على تصنيف الصرف على الفقراء والمساكين إلي نوعين[21] النوع الأول هو الصرف المباشر ويقصد به الدعم المادي المباشر الذي يقدم للفقراء والمساكين لمقابلة احتياجاتهم الضرورية للحياة من مأكل ومشرب وملبس وعلاج، أما النوع الثاني فهو الصرف الرأسي ويشمل هذا النوع الصرف على المشروعات الخدمية والإنتاجية الصغيرة، ويتم ذلك من خلال تحويل أصل المال المجبى إلى

[20]التقارير السنوية لديوان الزكاة خلال الفترة 2009-2015م
[21]مطبوعات ديوان الزكاة - السودان.

أصل آخر عيني أو نقدي أكثر تحقيقاً لمصلحة الفقراء مثل حفر الآبار، وتوفير الأجهزة والمعدات الطبية أو المساهمة في توفير خدمة التعليم و إقامة المشروعات الإنتاجية بمختلف أشكالها وأنواعها.

ثالثاً: مقارنة بين موارد ديوان الزكاة وتمويل المصارف لقطاع التمويل الأصغر:

الجدول التالي يوضح الصرف الفعلي على مستحقي الزكاة مقارناً بحجم التمويل الأصغر بالمصارف، ويأتي وجه الشبه بين المؤسستين (الزكاة والمصارف) من أن صرف الزكاة في معظمه، كما ذكر سابقاً، على الفقراء والمساكين كما إن التمويل الموجه من المصارف لقطاع التمويل الأصغر يستهدف أيضاً شريحة الفقراء، مع الأخذ في الاعتبار أن الصرف على الفقراء في ديوان الزكاة موجه للفقراء القادرين والعاجزين عن العمل بينما التمويل الأصغر في المصارف موجه للفقراء القادرين على العمل.

جدول رقم (4)

الصرف على مستحقي الزكاة بديوان الزكاة مقارناً بتمويل المصارف لقطاع التمويل الأصغر[22]

(المبالغ بالمليون جنيه سوداني)

العام	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015
الصرف الفعلي على مستحقي الزكاة	405.4	460.1	574.2	688.1	1169.5	1337.4	1790.1
حجم التمويل الأصغر بالمصارف	470	616.2	582.2	1181	1691.2	1779.2	2709.7
النسبة	% 86.3	%74.6	%98.6	%58.3	%69.2	%75.2	%66.1

من الجدول رقم (4) يلاحظ أن ما يصرفه ديوان الزكاة على الفقراء والمساكين يشكل نسباً مرتفعة عند مقارنته بإجمالي التمويل الأصغر بالقطاع المصرفي حيث بلغت أقصى نسبة له (98.6 %) في العام 2011م، **وهذا يتثبت صحة الفرضية الأولى** التي أشارت إلى غزارة موارد الزكاة (أكبر المؤسسات الداعمة لمكافحة الفقر في السودان) المخصصة للفقراء والمساكين مقارنة بحجم التمويل الأصغر بالقطاع المصرفي.

1-2-1 الوقف:

إن الفقراء هم أحوج ما يكون لمثل هذا النوع من العقود لأنه لا يشكل عليهم أعباءً مالية، وسيتم في هذا البحث، التركيز على تعريف الوقف ومشروعيته وأهدافه ومجالاته في التمويل الأصغر، وبعد ذلك يتم استعراض لبعض أمثلة الوقف بالسودان.

أولاً تعريف الوقف ومشروعيته:

الوقف هو منع التصرف في رقبة العين التي يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير[23]، ويعرف أيضاً بأنه عبارة عن عقد تبرع بمنفعة عين لجهة ما في الحياة على وجه التأبيد، وللوقف علاقة مباشرة بالبر والإحسان ومكافحة الفقر وبالتالي التمويل الأصغر.

إن الوقف الخيري مشروع ومستحب ومن الدلائل على ذلك :

- قوله تعالى: {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون} آل عمران الآية (92)، ولما سمعها أبو طلحة بادر إلى وقف أحب أمواله إليه وهو بستان كبير كثير النخل اسمه (بيرحاء)[24].
- قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"، والصدقة الجارية محمولة على الوقف عند

---

[22]
- 2015م التقارير السنوية لبنك السودان المركزي خلال الفترة 2009-2015م.
- التقارير السنوية لبنك السودان المركزي خلال الفترة 2009-2015م.

[23] *awgaf.org.sd/?cat=26January 2017*

[24] www.alwqf.com/topics/item/327-2013-09-24-09-36-11*January 2017*

العلماء.

ثانياً: أهداف الوقف:

تتعدد أهداف الوقف وهي كالتالي :

- امتثال أوامر الله عز وجل بالبذل والإنفاق.
- تحقيق مبدأ التكافل بين أفراد الأمة والتوازن الاجتماعي حتى تسود المحبة والأخوة ويعم الاستقرار.
- تحقيق أهداف تنمية المجتمع ومكافحة الفقر في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والصحية وغيرها.
- صلة الرحم وضمان مستقبل ذوي القربى وذوي الحاجة حتى لا يكونوا عالة يتكففون الناس.

ثالثاً: مجالات الوقف في التمويل الأصغر :

للوقف مجالات كثيرة ومتعددة في التمويل الأصغر منها :

- وقف المباني ليعود ريعها للفقراء.
- بناء مراكز الأيتام ورعايتهم.
- إنشاء المدارس والمكتبات العامة التي تكفل مجانية التعليم.
- الوقف على توزيع الكسوة للفقراء والأرامل والمحتاجين.
- حفر الآبار.

رابعاً الوقف الإسلامي في السودان :

يدار الوقف في السودان عبر ديوان الأوقاف القومية الإسلامية وهو ديوان له شخصية اعتبارية وخاتم عام وله حق التقاضي باسمه ويجوز له إنشاء فروع أو إدارات خارج السودان بموافقة الوزير المختص (وزير الإرشاد والأوقاف).انشئ هذا الديوان بغرض تحقيقا لأهداف التالية :

i) وضع السياسات الكلية لإدارة ونظارة واستثمار وتطوير الأموال الموقوفة لجهات البر داخل السودان وخارجه.
ii) المساهمة في مناهضة الفقر والجهل والمرض.
iii) إجراء الدراسات والبحوث العلمية حول الوقف وفقهه.
iv) التخطيط العلمي لتوسيع مجالات الوقف.

ومن الأمثلة للأوقاف في السودان ذات العلاقة بتخفيف وطأة الفقر:

i) وقف المرحوم /عبد المنعم محمد عبد المنعم[25]:

أوقف المرحوم عبد المنعم محمد عقارات ضخمة بمدينة الخرطوم بالإضافة لمبالغ نقدية، ولقد اشترط صرف الريع على مسجده ومراكزه الصحية بأمدرمان، والفقراء والمساكين وطلبة العلم والخلاوي والمسافرين وعلى أعمال البر والإحسان ومساعدة حفظة القرآن الكريم وقد حدد رحمه الله نسب توزيع ريع وقفه.

ii)وقف المرحوم عبد العزيز عبد الله شروني[26]:

أوقف المرحوم عبد العزيز عبد الله شروني بموجب إشهاد شرعي عقارات ضخمة اشتملت على عدد من قطع الأراضي بمدينة الخرطوم، ولقد ساهمت في التعليم وتشييد ثلاثة مراكز صحية بولاية الخرطوم.

مما سبق تتضح أهمية الوقف ودوره في مكافحة الفقر واهتمام رجال البر والإحسان به ووقفهم لعقارات ضخمة على أن يصرف ريعها في أعمال البر والإحسان المختلفة، وما يسعى إلى تحقيقه هذا البحث هو استثمار وتطوير أموال الوقف من خلال مشاركة أمواله ضمن أموال أخرى في صناعة التمويل الأصغر، وهذا ما سيتم استعراضه في المحور الثالث من هذا البحث.

---

[25] http://www.sudaress.com/akhirlahza/156356 *January 2017*

[26] http://awgaf.org.sd/?page_id=509 February 2017

المحور الثاني: المعوقات والتحديات التي تواجه التمويل الأصغر[27]

إن قطاع الأعمال الصغيرة يشكل نسبة كبيرة من جملة المنشآت في القطاع الصناعي السوداني تصل إلى 93%، وعادة ما يلجأ هذا القطاع للجهاز المصرفي للحصول على الأموال التي تمكنه من تنفيذ مشروعاته المختلفة، إلا أن نشاطه يواجه بكثير من المعوقات والتحديات ومن أهمها:

أولاً: المعوقات التي تواجه صناعة التمويل الأصغر:

1) معوقات تتعلق بالدولة، تتمثل أهم معوقات التمويل الأصغر ذات العلاقة بالدولة في الآتي:

أ/ضعف متابعة تنفيذ قرارات البنك المركزي المتعلقة بإلزامه للمصارف بتمويل 12% من سقفها التمويلي لقطاع التمويل الأصغر.

ب/المعوقات المرتبطة بنقص المعلومات، فمؤسسات التمويل الأصغر أو الإدارات أو الوحدات ذات الصلة بالتمويل الأصغر بحاجة إلى قطاع يدير ويسيطر على تدفق المعلومات حتى تتمكن من التطوير وكشف الاحتيال.

2) معوقات تتعلق بالمصارف، تتمثل أهم معوقات التمويل الأصغر ذات العلاقة بالقطاع المصرفي في الآتي:

أ/ اشتراط المصارف لرخصة عمل سارية المفعول، علماً بأن معظم الذين يتقدمون للتمويل الأصغر لا توجد لديهم رخص تجارية.

ب/ تفضيل المصارف للتمويل عبر صيغة المرابحة يدفع بالعملاء لتحديد فترة قصيرة للتمويل تفادياً لارتفاع تكلفة الإنتاج، مما قد يؤدي بدوره إلى فشل السداد بسبب ارتفاع قيمة الأقساط.

ج/ ضعف المتابعة لمشروعات التمويل الأصغر بسبب قلة عدد الموظفين، وضعف المبالغ التي يتم تمويلها.

د/ عزوف المصارف عن تمويل هذا القطاع بسبب ارتفاع تكلفة التمويل.

هـ/ اشتراط المصارف لتوفير ضمانات كافية عند التمويل يحول دون إمكانية حصول أصحاب الحرف والصناعات الصغيرة على الأموال اللازمة لتنفيذ مشروعاتهم، وهذا ما يشكل تهديداً لاستمرارية المشروعات التي يتم تمويلها.

ز/ تمركز معظم فروع المصارف بالمدن الكبرى، في حين أن قطاع الأعمال الصغيرة يتواجد في الريف.

ح/اشتراط المصارف لعقد إيجار أو شهادة بحث للأرض التي يعمل عليها قطاع الأعمال الصغيرة يحول دون حصول هذا القطاع على تمويل من المصارف لأنه غالباً ما يعمل في محلات مؤقتة أو في المنازل.

ط/ ضعف المبالغ التي توفرها المصارف للمشروعات يساهم في فشلها، مما يضعفمن إمكانية تسديد العميل لما عليه من التزامات.

3) معوقات تتعلق بقطاع الأعمال الصغيرة، أحياناً قد تواجه قطاع التمويل الأصغر بعض المشاكل والمعوقات التي تتعلق بقطاع الأعمال الصغيرة نفسه منها:

أ/ لجوء أصحاب الأعمال الصغيرة في كثير من الأحيان إلى توسيع نشاطهم دون دراسة جدوى كافية، مما يدخلهم في التزامات وتعقيدات تؤدي إلى مزيد من الاختناقات المالية.

ب/ عجز المنتجين عن التسويق بسبب منافسة الصناعات البديلة لمنتجاتهم، والتي غالباً ما تتميز بتكلفة إنتاج منخفضة وجودة عالية.

ج/عدم الخبرة في الجوانب الإدارية لدى معظم المتقدمين للتمويل الأصغر.

د/ ارتفاع تكلفة المواد الخام التي يستخدمها قطاع الأعمال الصغيرة بسبب ارتفاع الرسوم

---

[27] د. مصطفى محمد مسند، استراتيجية إدارة مخاطر التمويل الأصغر بالمصارف السودانية، بحث مقدم لكلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير جامعة حسيبة بن بو على ومخبر العولمة واقتصاديات شمال إفريقيا، الملتقى الدولي الثالث حول: "استراتيجية إدارة المخاطر في المؤسسات: الآفاق والتحديات" يومي 25- 26 نوفمبر 2008 – بالشلف.

الجمركية.

هـــ / الاتجاه المستمر من قبل المنتجين نحو تخفيض التكاليف يكون أحيانا على حساب الرقابة والإشراف.

ثانياً: التحديات التي تواجه صناعة التمويل الأصغر:

مع الأخذ في الاعتبار تجربة الســودان في التمويل الأصــغر فإن هذا القطاع يواجه عدداً من التحديات من أهمها:

1) عدم مقدرة قطاع الأعمال الصــغيرة على الخلق والإبداع حيث إن معظم منتجاته متشابهة وتقليدية ومتنافسة فيما بينها مما يصعِّب من عملية تسويقها.
2) تطبيق إدارة الجمارك لتشـريع لا يميز بين نشـاط المؤسـسـات الصـغيرة وغيرها من المؤسسات الأخرى الكبيرة يشكل تحدياً كبيرا للنهوض بهذا القطاع بسبب ارتفاع تكلفة الإنتاج وبالتالي عدم مقدرته على المنافسة.
3) اعتماد الدولة على المصـارف التجارية لتمويل القطاعات الصـغيرة، وهذه المصـارف بحكم طبيعتها تسعى لتعظيم أرباحها، وبالتالي فهي لا تفضـل تمويل هذا القطاع بسـبب عدم وجود الضمانات ولضعف الأرباح التي تتحصل عليها منه.
4) إن فرصة نجاح قطاع الأعمال الصغيرة أكبر في الريف منه في الحضر بسبب ضعف منافســة منتجاته من قبل المنتجات المســتوردة أو منتجات القطاعات الأخرى كبيرة الحجم التي لاتصـل للريف، ويكمن التحدي في إمكانية رسـم سـياسـات تحفز وتشـجع انتشـار مؤسـسـات التمويل الأصـغر – ومن بينها المصـارف – في الريف آخذين في الاعتبار أن المصارف لا تفضل الانتشار في الريف بسبب ضعف موارده.
5) إن مخاطر المشروعات الصغيرة تحد من قدرة الآليات التقليدية للتأمين لاختراق نشاط هذه الصناعة.

مما سـبق يتضـح أن قطاع الأعمال الصـغيرة يعاني من عدد من المعوقات والتحديات مما يتطلب توحيد الجهود بين المؤسسات التي تعمل في هذا المجال بقطاعيها العام والخاص.

المحور الثالث: دور أدوات التمويل الاسلامي في تشبيك خدمات التمويل الأصغر.

اتضح من خلال استعراض المحورين الأول والثاني عدم التنسيق بين كافة المؤسسات التي تعمل في مجال التمويل الأصــغر، وكذلك وجود عدد من المعوقات والتحديات التي تواجهه، مما اسـتوجب ضـرورة البحث في إيجاد آلية تعمل من خلالها هذه المؤسـسـات والجهات الأخرى ذات العلاقة في تناغم تام لتطوير هذه الصـناعة، لذلك يجيء هذا المحور متناولاً لمفهوم التشـبيك، فكرة محفظة التمويل الأصــغر الإســلامي المقترحة، مبررات إنشــاء المحفظة، ومميزات وتحديات هذه المحفظة.

1-3 مفهوم التشبيك:[28]

تعرف الشبكة بأنها تحالف طوعي بين الأفراد أو المنظمات بغرض تعبئة قدراتها المشـتركة ومواردها وزيادة تأثيرها الخارجي بهدف تحقيق أهداف مشـتركة ومصـالح عامة بشـرط أن تحتفظ كل منظمة أو جمعية باسـتقلاليتها، ويجوز ضــم هيئات من القطاع الحكومي أو الخاص مع القطاع المدني في شبكة.

2-3 محفظة التمويل الاصغر الاسلامي:

يقترح البحث اسـتخدام أدوات التمويل المصـرفي الإسـلامي لتطوير خدمات التمويل الأصـغر بإنشـاء محفظة خاصـة بالمؤسـسـات التي تهتم بالتمويل الأصـغر وتدعم أنشـطته

[28] http://ahmedmokhmer.maktoobblog.comJanuary2017

المختلفة، وفيما يلي سيتم تناول فكرة المحفظة المقترحة وآلية عملها ومبرراتها ومميزاتها والتحديات التي تواجهها. وكما ذكر في مقدمة البحث فإن فكرة هذه المحفظة تصلح للتطبيق في السودان لأن كل مؤسساته ومعاملاته الاقتصادية والمالية تتم وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية.

أولاً فكرة محفظة التمويل الأصغر الإسلامي المقترحة:

إن فكرة هذا البحث تقوم على تضافر الجهود بين الجهات المختلفة التي تقوم على أمر التمويل الأصغر الإسلامي بحيث يتم تقديم خدمات التمويل الأصغر عبر محفظة موحدة تشارك فيها كل من المصارف وديوان الزكاة والأموال التي تجمع عبر عقود التبرع مثل الاوقاف والهبات والقروض الحسنة وغيرها، وتعرف هذه المحفظة باسم محفظة التمويل الأصغر الإسلامي، هذه المحفظة يتم من خلالها التشبيك بين موارد المؤسسات التي تقدم خدمات التمويل الأصغر، بحيث لا يؤثر ذلك على أهداف أي من المؤسسات المشاركة في المحفظة. ولكن يبقى السؤال ماهي الآلية المناسبة لتقديم هذه الخدمات آخذين في الاعتبار ما يلي:

- ضرورة احتفاظ كل مؤسسة مشاركة في هذه المحفظة بحسابات مستقلة، ويقصد من ذلك ضرورة إجراء قيود محاسبية داخلية توضح الموقف المالي لأي مؤسسة من هذه المؤسسات حتى لا يحدث خلطاً محاسبياً لهذه الأموال بحيث لا نستطيع أن نميز مثلاً أموال الزكاة من أموال المصارف أو الوقف.
- إن المصارف تستخدم أموال العملاء بهدف تقديم خدمات اجتماعية وكذلك تحقيق أرباح.
- إن الزكاة هي فريضة تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء، دون مقابل منهم.
- إن الأموال التي تأتي عبر عقود التبرع لا تهدف لتحقيق أرباح للمتبرع، ومثال لذلك الهبة، والقرض الحسن، والوقف.

ثانياً آلية عمل المحفظة:

للاحتفاظ لكل مورد من موارد المحفظة بخصوصيته وأهدافه فإن آلية عمل المحفظة تفترض الآتي:

1- أن تحتفظ كل مؤسسة مشاركة في المحفظة بحسابات مستقلة بغرض تسوية حساباتها (كما ذكر سابقاً).

2- إن الموارد المالية للمحفظة تتكون من موارد المصارف والزكاة والوقف والتبرعات النقدية، أي أنها تتكون من موارد مؤسسات ذات أهداف مختلفة، وهذا يعني الآتي:

أ- إن بعض أموال المحفظة هي أموال استثمارية يتم توظيفها بغرض خدمة قطاع التمويل الأصغر وكذلك تحقيق أرباح (ويطلق عليها الأموال المستردة)وهي موارد كل من المصارف والزكاة *والوقف الاستثمارية، ويتم تمويلها باستخدام أدوات التمويل المصرفي الإسلامي.

ب - البعض الآخر من أموال المحفظة هو أموال عقود التبرعات (ويطلق عليها الأموال غير المستردة) وهي أموال الزكاة التي تخصص لمستحقيها، وعوائد الأوقاف المخصصة للفقراء إذا كانت نقدية أو عينية، وكذلك التبرعات النقدية التي تقدمها المصارف والجهات الخيرية الأخرى.

مع الأخذ في الاعتبار الافتراضات السابقة فإن العميل الذي يستوفي شروط التمويل الأصغر يتم تمويله من مصدرين أحدهما من الأموال غير المستردة باعتبارها أموال مملوكة له، والمصدر الآخر هو الموارد الاستثمارية للمحفظة وهي الأموال التي يتعين على المستفيد أن يقوم بسدادها، وتتوقف طريقة السداد على نوع الأداة (الصيغة) الإسلامية التي يتم استخدامها، ومنها على سبيل المثال:

1/ المشاركة المنتهية بالتمليك:

*إن قانون الزكاة في السودان يسمح لديوان الزكاة باستثمار جزء من موارده بغرض تحقيق عائد.

بعد أن يقوم العميل (الشـريك في خدمات المحفظة) بتحديد المشـروع الذي يرغب في تملكه، وموافقة إدارة المحفظة على طلبه فإن رأسمال المشروع يكون شراكة بين المحفظة والعميل وفقاً للضـوابط الشـرعية للمشـاركة، بحيث تكون مشـاركة العميل باسـتحقاقه من الأموال غير المسـترددة (أموال الزكاة غير الاسـتثمارية، والوقف، والتبرعات النقدية) بينما تكون مشاركة المحفظة بالأموال المستردة (أموال المصارف والزكاة الاستثمارية)، ويمكن أن يقوم العميل بإدارة المشروع وفقاً للعقد المبرم بين الطرفين، وتجدر الإشارة إلى إنه يمكن أن يشارك في المشروع أكثر من عميل على أن تؤول ملكيته لهم بعد سداد نصيب المحفظة.

2/ المرابحة للآمر بالشراء:

يقوم العميل (المستفيد من خدمات المحفظة) بتحديد السلعة التي يرغب في تملكها، وبعد الموافقة على طلبه، وشـراء المحفظة للسـلعة وتوقيع عقد بيعها مع العميل، فإنه يقوم بدفع جزء من قيمتها من اسـتحقاقاته طرف المحفظة (أموال الزكاة غير الاسـتثمارية، والوقف، والتبرعات النقدية)، بينما تقوم المحفظة بتمويل الجزء المتبقي على أن يسـدد على أقسـاط وفقاً للاتفاق الذي تم في عقد البيع.

3/ السلم:

بعد أن يحدد العميل المبلغ النقدي الذي يرغب فيه، فإن المحفظة تسلمه استحقاقه من الأموال غير المسـترددة، والجزء المتبقي من المبلغ (الأموال المسـترددة) يعتبر رأسـمال السـلم، ويتم بموجبه إبرام العقد بحيث يُسلِم العميل السلعة المتفق عليها في نهاية الفترة وفقاً للاتفاق.

ثالثاً مبررات المحفظة:

المبررات المذكورة أدناه تجعل البيئة مناسـبة ومهيأة تماماً لتطوير خدمات التمويل الأصـغر التي تقدمها المؤسـسـات المصـرفية ومؤسـسـات الزكاة والأوقاف من خلال إنشـاء هذه المحفظة والتشـبيك بين خدماتها المختلفة عبر اسـتخدام أدوات التمويل المصـرفي الإسـلامي، ومن أهم هذه المبررات ما يلي:

أ/ في ظل عدم اهتمام المصـارف بتنفيذ النسـبة التي يحددها البنك المركزي للتمويل الأصـغر، فإن إنشاء هذه المحفظة يساعد على أن تودع بها هذه النسبة.

ب/ فتح المجال للمؤسسات التي ترغب في التبرع للفقراء أن تودع تبرعاتها بهذه المحفظة.

ج/ إمكانية حصـول الفقير القادر على العمل على مسـتحقاته غير المسـترددة (الزكاة والتبرعات والصـدقات) من المحفظة بدلاً عن اللجوء للمؤسـسـات التي تصـرف هذه الأموال كل على حدة، وبالإضـافة لذلك فإنه يحصـل على مبلغ التمويل الذي يرغب فيه من ذات المحفظة (الأموال المستردة).

د/ في اطار جهود مجلس مجمع الفقه الإسـلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسـلامي لتفعيل دور الزكاة في مكافحة الفقر، وتنظيم جمعها وصـرفها بالاسـتفادة من الاجتهادات الفقهية فلقد قرر في دورته الثامنة عشـرة التي عقدت في بوتراجايا (ماليزيا) خلال الفترة 24 - 29 جمادى الآخرة 1428هـ، الموافق 9-14 تموز (يوليو) 2007م ما يلي[29]:

- يصـرف للفقراء والمساكين ما يسد حاجتهم، ويحقق لهم الكفاية ولمن يعولون ما أمكن، وذلك وفقاً لما تراه الجهات المسؤولة عن الزكاة.
- يصـرف للفقير –إذا كان عادته الاحتراف- ما يشـتري به أدوات حرفته، وإن كان فقيراً يُحسن التجارة أُعطي ما يتجر به، وإن كان فقيراً يُحسن الزراعة أُعطي مزرعة تكفيه غلته على الدوام. واستئناساً بذلك يمكن توظيف أموال الزكاة في مشروعات صغيرة

[29] مجمع الفقه الإسلامي الدولي http://www.iifa-aifi.org/2261.html

كوحدات النسيج والخياطة المنزلية والورش المهنية الصغيرة بحيث تكون مملوكة للفقراء والمساكين.

-يجوز إقامة مشروعات إنتاجية أو خدمية من مال الزكاة وفقاً لقرار المجمع 15(3/3)

هـ/أشارت بعض قوانين الوقف الى إمكانية إدارة الأموال الموقوفة قومياً وتخصيصها للاستغلال على أسس تجارية أو اقتصادية بما يزيد من ريعها وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية[30].وهذا يؤكد ما ذهب اليه البحث من خلط لأموال الوقف بأموال كل من المصارف والزكاة بغرض تمويل الفقراء.

هذه المبررات تؤكد عدم وجود عقبات فقهية تحول دون توحيد جهود المؤسسات المتعددة والمتنوعة التي تعمل في مجال مكافحة الفقر من خلال التشبيك بينها لخدمة قطاع التمويل الأصغر، وهذا يثبت صحة **الفرضية الثانية والتي تقرأ** (على الرغم من اختلاف المنطلق (الفلسفة) الذي يحكم عمل المؤسسات وأعمال البر الإسلامية التي تعمل في مجال التمويل الأصغر ومكافحة الفقر، إلا إنه لا توجد عقبات فقهية تحول دون تطوير خدمات هذه المؤسسات بإنشاء محفظة مشتركة بينها من خلال استخدام أدوات التمويل المصرفي الإسلامي).

رابعاً: مميزات وتحديات المحفظة:

إن فكرة إنشاء المحفظة التي تم استعراضها في هذا المحور لها كثيراً من المميزات والتحديات، حيث إن استعراض هذه المميزات والتحديات يجعل القائمين على الأمر يعظمون الاستفادة من المميزات ويحتاطون لمواجهة التحديات.

1/ مميزات المحفظة:

من أهم مميزات هذه المحفظة:

أ/ حصول المستفيد من المحفظة على عدد من الخدمات في آن واحد وفي عملية واحدة، فيحصل منها على استحقاقه من الزكاة والتبرعات والصدقات (الأموال غير المستردة)، وكذلك على التمويل باستخدام أحد أدوات التمويل الإسلامية.

ب/ إن تجميع موارد عدد من المؤسسات في محفظة واحدة يوسع نطاق الدعم والتمويل لقطاع التمويل الأصغر، كما يعضد من العمل الجماعي المشترك بدلاً من أن تعمل كل مؤسسة بصورة منفردة عن بقية المؤسسات الأخرى.

ج/ إتاحة الفرصة للمؤسسات والأفراد لتوسيع نطاق المشاركة (من خلال المحفظة) ومن ثم توسيع نطاق أعمالها وأنشطتها، مع احتفاظها باستقلاليتها.

د/ إمكانية تطبيقها بسهولة في الدول التي تطبق النظام الإسلامي في كل معاملاتها الإقتصادية والمالية.

هـ/ تتيح فرصة التشبيك بين موارد عدد من المؤسسات بحيث تحتفظ كل مؤسسة منها بخصوصيتها.

2/التحديات التي تواجه المحفظة:

قد تواجه المحفظة عدد من التحديات منها:

أ/ تشتيت جهود واهتمام المؤسسات التي تعمل في مجال التمويل الأصغر بشكل أو بآخر.

ب/ إمكانية فصل حسابات المؤسسات المشاركة في المحفظة.

ج/ إن مساهمة المؤسسات في المحفظة يقلل من مواردها الداخلية وبالتالي قد تعجز عن تلبية احتياجات الأفراد الذين يقصدونها بغرض التمويل أو التبرع لهم.

د/ قد يفضل كثير من المؤسسات والأفراد التبرع بأموالهم لأفراد أو جهات بعينها وليس للمحفظة.

هـ/ عدم التناغم بين الأعضاء والمؤسسات المكونة للمحفظة يجعل كل جهة تعمل على إبراز أهدافها

---

[30] قانون ديوان الأوقاف لسنة2008،الفصل الثاني، المادة 6 الفقرة (و).

الخاصة بها بمعزل عن الأهداف الكلية للمحفظة.

النتائج والتوصيات

أولاً النتائج:

خلص هذا البحث إلى النتائج التالية:

1. يتفرد النظام المصرفي الإسلامي بتعدد صيغ التمويل الإسلامي التي تتميز بملاءمتها لصناعة التمويل الأصغر.
2. تركز المصارف العاملة على التمويل بصيغ المعاوضات وعلى رأسها صيغة المرابحة التي زاد التمويل بها خلال الفترة 2009 – 2015م عن 50% من إجمالي حجم التمويل المصرفي.
3. ضعف التمويل بصيغ المشاركات حيث إنه انحصر في صيغة المضاربة والمشاركة.
4. عدم لجوء المصارف لعقود التبرعات (القرض الحسن) حيث لم تتعد نسبته خلال فترة الدراسة 0.5% في أحسن حالاتها.
5. تدني نسبة تمويل المصارف السودانية للتمويل الأصغر مقارنة بالقطاعات الأخرى، إذ لم تتعد في أحسن حالاتها خلال فترة الدراسة الـ 5% من إجمالي التمويل المصرفي.
6. اهتمام ديوان الزكاة السوداني بجمع الزكاة وصرفها حيث استطاع أن يغطي سنوياً خلال الفترة 2009 -2015م نحو 31 %من سكان السودان، وتحصل الفقراء والمساكين على معظم الأموال التي تمت جبايتها (تحصلوا على أكثر من 70% من إجمالي الموارد التي تمت جبايتها).
7. تشكل أموال الزكاة نسبة كبيرة عند مقارنتها بأموال المصارف (البنوك) التي تخصصها للتمويل الأصغر.
8. اهتمام الأوقاف الإسلامية في السودان بمكافحة الفقر من خلال وصية عدد من الواقفين بتوزيع نسبة من استثمارات أوقافهم على الفقراء والمساكين وأعمال البر المختلفة.
9. تواجه صناعة التمويل الأصغر، في الوقت الراهن، عدداً من المعوقات والتحديات ويعود السبب في ذلك لعدم التنسيق بين الجهات المقدمة لخدماته (مؤسسات أو أفراد).
10. على الرغم من اختلاف المنطلق (الفلسفة) الذي يحكم عمل المؤسسات وأعمال البر الإسلامية التي تعمل في مجال التمويل الأصغر ومكافحة الفقر، إلا إنه لاتوجد عقبات فقهية تحول دون تطوير خدمات هذه المؤسسات بإنشاء محفظة مشتركة بينها من خلال استخدام أدوات التمويل المصرفي الإسلامي.

ثانياً التوصيات:

أهم التوصيات التي خرج بها البحث تتمثل في الآتي:

1. ضرورة تبني الدولة لمشروع محفظة التمويل الأصغر الإسلامي والمشاركة فيها عبر مؤسساتها المختلفة التي تعمل في مجال مكافحة الفقر.
2. أن تحّول للمحفظة نسبة الـــــ 12% التي ألزم بها البنك المركزي المصارف العاملة لتمويل قطاع التمويل الأصغر.
3. ضرورة احتفاظ كل مؤسسة مشاركة في المحفظة بحساب مستقل خاص بها
4. تكون مساهمات المؤسسات في المحفظة بالقدر الذي لا يحدث خللاً في أداء مهامها.
5. حصر الفقراء المستفيدين من خدمات التمويل الأصغر بالمحفظة حتى تتم متابعة نشاطهم بسهولة ويسر.
6. حث المؤسسات والأفراد والمجتمع على أهمية التبرع والتصدق لصالح الفقراء.

قائمة المراجع

أولاً القرآن الكريم:

ثانياً الكتب:

1. د. أحمد طه العجلوني، مقدمة في نظرية التمويل الإسلامي وأدواته- مدخل مالي معاصر، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2014م.
2. د. أحمد عبد العزيز النجار وآخرون، 100 سؤال و100 جواب عن المصارف الاسلامية – القاهرة الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية.
3. د. بدر الدين طه أحمد، الاقتصاد الاسلامي البديل المرتقب، خطوط رئيسة، الخرطوم، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة،2009م.
4. بنك السودان المركزي، توثيق تجربة السودان في مجال المصارف والمؤسسات المالية الاسلامية – مخطط هيئات الرقابة الشرعية-، المراشد الفقهية الصادرة عن الهيئة العليا للرقابة الشرعية للجهاز المصرفي والمؤسسات المالية، الطبعة الأولى، دار السداد للطباعة، الخرطوم،2006.
5. بنك الخرطوم, هيئة الرقابة الشرعية، البرنامج التأصيلي لتدريب العاملين ببنك الخرطوم، المستوي الأول، 2005م.
6. د. سليمان ناصر، تطوير صيغ التمويل قصير الأجل للبنوك الإسلامية، ط1، غرداية المطبعة العربية، 2002م.
7. د. شهاب أحمد سعيد، إدارة البنوك الإسلامية، عمان دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 2012م.
8. د. عز الدين محمد خوجه، أدوات الاستثمار الإسلامي، بنك البركة الإسلامي، مجموعة دلة البركة، إدارة التطوير والبحوث.
9. د. غسان السبلاتي، المصارف الإسلامية نظام عادل ومستقر، ط1، بيروت، دار المنهل اللبناني، 2012م.
10. د. قتيبة عبد الرحمن العاني، التمويل ووظائفه في البنوك الإسلامية والتجارية (دراسة مقارنة)، ط1،عمان، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 2013م.
11. محمد الطاهر الهاشمي، المصارف الإسلامية والمصارف التقليدية الأساس الفكري والممارسات الواقعية، مصراتة، جامعة 7 أكتوبر، 2010م.
12. د. محمد محمود العجلوني، البنوك الإسلامية أحكامها مبادئها – تطبيقاتها المصرفية، ط3، عمان، دار المسيرة،2012.
13. وزارة التعليم، جامعة القصيم، كلية الاقتصاد والإدارة، راشد بن أحمد العليوي، أدوات التمويل والاستثمار الإسلامية، د ن، 2012م.

ثالثاً البحوث:

1. د. مصطفى محمد مسند، استراتيجية إدارة مخاطر التمويل الأصغر بالمصارف السودانية، بحث مقدم لكلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير جامعة حسيبة بن بو على ومخبر العولمة واقتصاديات شمال إفريقيا، الملتقى الدولي الثالث حول: "استراتيجية إدارة المخاطر في المؤسسات: الآفاق والتحديات "يومي 25- 26 نوفمبر 2008 – بالشلف.
2. مقال للشيخ أبو العلاء محمد بن حسين بن يعقوب السلفي المصري
July**2010**http://www.yaqob.com/web2/index.php/maqalat/maqal/74.

رابعاً القوانين والقرارات والوثائق:

1. قانون ديوان الأوقاف لسنة2008، الفصل الثاني، المادة 6 الفقرة (و).
2. **http://islamtoday.net/bohooth/artshow-32-107255.htm**

قرار رقم 165(3/ 18)بشأن تفعيل دور الزكاة في مكافحة الفقر وتنظيم جمعها وصرفها بالاستفادة من الاجتهادات الفقهية.

خامساً التقارير السنوية والمطبوعات:

1. بنك الخرطوم, هيئة الرقابة الشرعية، البرنامج التأصيلي لتدريب العاملين ببنك الخرطوم، المستوي الأول، 2005.
2. بنك السودان المركزي، التقارير السنوية 2009 – 2015م.
3. ديوان الزكاة، التقارير السنوية، خلال الفترة 2009-2015م.
4. مطبوعات ديوان الزكاة.

سادساً مصادر أخرى على الشبكة العنكبوتية:

1. awgaf.org.sd/?cat=26January 2017
2. www.alwqf.com/topics/item/327-2013-09-24-09-36-11January 2017
3. http://www.sudaress.com/akhirlahza/156356january 2017
4. http://awgaf.org.sd/?page_id=509February 2017
5. http://ahmedmokhmer.maktoobblog.com**january 2017**
6. http://www.iifa-aifi.org/2261.htmlمجمع الفقه الإسلامي الدولي

أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 8، العدد 27 (2017). ص ص 61-78

الحريّة مشروعا أمريكيّا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (2002- 2008): بحث في الأهداف والوسائل

فوزية الفرجاني(*)

الملخّص: اهتممنا في هذا البحث بمشروع الحريّة الذي عزمت الولايات المتّحدة على تنفيذه في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بين السنتين 2002 و2008، وركّزنا على إشكاليّة مجالها البحث في أهداف مشروع الحريّة الأمريكيّ ووسائله ومدى نجاحه في المنطقة في الفترة المعنيّة. ويعود اهتمامنا بهذا المشروع إلى أهميّته وتداعياته على البلدان العربيّة وإلى دور دراسته في المساعدة على النظر في السياسات الأمريكيّة وتقييمها. وقسّمناه إلى ثلاثة محاور: الحريّة مشروعا أمريكيّا أوّلا، وأهداف مشروع الحريّة الأمريكيّ ثانيا، ووسائل تنفيذه ثالثا. وسعينا، باعتماد التفكيك والمقارنة، إلى بيان أهدافه ووسائله التي أعلنتها الوثائق الرسميّة الأمريكيّة وتقييم مدى نجاح القائمين على تنفيذه في تحقيق أهدافه. فتبيّن لنا أنّ طبيعة المشروع غير واضحة وأنّ الولايات المتّحدة لم تنجح في إحداث انتقال ديمقراطيّ فعليّ في بلدان المنطقة في الفترة المعنيّة ولم تثبت قدرتها على إقرار السلام العالميّ عبر عولمة اقتصاد السوق، ولم تكن الوسائل التي اعتمدتها في تنفيذ المشروع ناجعة ومتلائمة مع أهدافه.

الكلمات المفتاحيّة: أمريكا- الشرق الأوسط- الحريّة- الديمقراطيّة- الإصلاح- النيوليبراليّة.

Freedom as American Project in the Middle East and North Africa (2002- 2008): A Research on Goals and Means.

Ferjani Fouzia

Abstract: This paper has dealt with freedom project that the US has tried to implement in the Middle East and North Africa, in the period between 2002 and 2008. This Research has focused on the issue of the American freedom project goals and means and the extent of its success. Our interest in this project is due to its importance and impacts on the Arab World and the key role of its study in the analysis and assessment of the American policy. We have divided this reach paper into three parts: The first studies Freedom as an American Project. The second highlights the project ends. The third focuses on the means of the project. By relying on deconstruction and comparison, we end up by revealing the project goals and means which the American Official Documents have proclaimed and assessing the efficiency of the project. And it was revealed that the nature of the project is unclear and that the US failed to make an effective democratic change in the region up to 2008 and was unable to improve world peace by the globalization of market economy. The means it has implemented were unfit to the goals.

Key Words: America- Middle East- Freedom- Democracy- Reform- Neoliberalism.

(*)fouziaferjani@hotmail.fr

المقدّمة

اخترنا البحث في مشـروع الحريّة في الشـرق الأوسـط وشـمال إفريقيا (2002- 2008) والتركيز على أهدافه ووسـائله نظرا إلى أهميّته. فقد أعلنت إدارة بوش الابن (George Walker Bush)، بعد تفجيرات الحادي عشـر من سـبتمبر سـنة 2001، أنّها بدأت في تنفيذه في المنطقة. ويمكن أن تساعد دراسته على النظر في السياسات الأمريكيّة وتقييمها[1].

ويعود اختيارنا الفترة التاريخيّة إلى عدّة أسـباب. فقد شـهدت سـنة 2002 إصـدار البيت الأبيض تقريرا للأمن القوميّ أشار فيه إلى مشروع الحريّة الذي لم يكن مطروحا قبل ذلك. وشهدت سـنة 2008 انتهاء ولاية بوش الثانية، وبدأت بعدها ولاية باراك أوباما (Barack Obama) الذي وعد بتغيير السـياسـات الأمريكيّة وافتتاح مرحلة جيوسـياسـيّة جديدة في التعامل مع العرب[2]. وبين السـنتين مرّ مشـروع الحريّة بعدّة مراحل، وأطلقت واشـنطن في إطاره جملة من المبادرات والمشاريع. وارتأينا الاكتفاء بالنظر في أهداف المشروع ووسائله دفعا لتشتّت الجهد.

وخيّرنا الانطلاق من بعض الوثائق الرسـميّة الأمريكيّة لأنّنا رأيناها محتوية على مادّة غزيرة تسـاعد الباحث على توضـيح أهداف المشـروع ووسـائله. ويعود اختيارنا هذا كذلك إلى أنّ الكثير من دارسـي السـياسـات الأمريكيّة يعتمدونها مصـادر أسـاسـيّة بسـبب الطابع النصّـي لهذه السياسات[3]. وانتقينا من الوثائق الأمريكيّة تقريريْن للأمن القوميّ يحملان عنوان (The National Security Strategy of The United States)، صدر الأوّل سنة 2002 والثاني سنة 2006. غير أنّنا سنعتمد الثاني أكثر لأنّه احتوى أفكارا ومعلومات متعلّقة بالمشروع أكثر دقّة وتفصيلا ممّا ورد في الأوّل. وخصّ الرئيس بوش المشـروع بخطـاب حمـل عنوان (Remarks on The Freedom Agenda)، ولذلك اعتمدناه مصـدرا أسـاسـيّا، ولم نهمل بعض الخطابات الأخرى التي بثّ فيها توضيحات حول أهداف المشروع ووسائله.

وارتأينا التركيز على الإشكاليّة التالية:

ما هي الحريّة المقصـودة في المشـروع الأمريكيّ؟ وفيم تتمثّل أهدافه ووسـائله؟ وإلى أيّ مدى كان مشروعا ناجحا في المنطقة في الفترة المعنيّة؟

وقسّـمنا البحث إلى ثلاثة محاور كبرى ثنائيّة التركيب. اعتنينا في الأوّل بطبيعة المشـروع ومعنى الحريّة فيه، وحاولنا في الثاني دراسة الأهداف التي تعلنها الوثائق الرسميّة وتقييمها، وسعينا في الثالث إلى توضيح أنواع الوسائل التي وعدت إدارة بوش باستعمالها في تنفيذ المشروع والنظر في مدى نجاعتها ميدانيّا.

ولدراسـة محاور البحث اعتمدنا منهج التفكيك الذي يتيح للباحث قراءة الوثائق وتفكيك محتوياتها والحفر فيما لم يكن معلنا فيها. واسـتعنّا، في تقييم مدى نجاح المشـروع، بالمقارنة بين ما

---

[1] لم تنحصر السياسات الأمريكيّة في المنطقة بين السنتين 2002 و2008 في إطلاق هذا المشروع والعمل على تنفيذه، وإنّما شملت جوانب أخرى كمحاربة الإرهاب والحرب على العراق.

[2] الجزيرة، خطاب باراك أوباما في مصر، 2009/6/4، في: www.algazeera.net

[3] بيّن دفيد كامبال (David Campbell)، أستاذ السياسات الدوليّة الأستراليّ، أنّ الطبيعة النصيّة للسياسات العالميّة والعلاقات الدوليّة تتيح إمكانيّة فهم واقع السياسات وحقائق القوّة من داخل الخطاب. فـ"لا شيء خارج النصّ" كما تبيّن من الدرس النقديّ عند جاك دريدا (Jacques Derrida). وما يمثّل الحقيقة هو حجم التوثيق الذي غالبا ما يقوم عليه المجتمع كما يستفاد من كتابات ميشال فوكو(Michel Foucault). ويذكر كامبال أمثلة من الوثائق والنصوص التي تثبت الطبيعة النصيّة للسياسات العالميّة والعلاقات الدوليّة. وهي: ملخّصات الوزارات (Department summaries) وكتب مجلس الأمن القوميّ (National Security Council papers) ووثائق القرار الرئاسيّ (Presidential Decision documents) والمذكّرات من مختلف الأنواع (memorandaof all Kinds) و (cables from here, there and everywhere) و(aides-memories) و(bouts de papier) و(demarches) وغيرها.

David Campbell, Politics Without Principle: Sovereignty, Ethics and The Narratives of The Gulf War, Laynne Rienner Publishers, The United States of America and The United Kingdom, 1993, p: 9.

بشّـرت به الوثائق الرسـميّة من وعود متعلّقة بأهدافه ووسـائله من جهة والمنجزات الفعليّة التي تمّ تحقيقها على أرض الميدان من جهة أخرى.

1- الحريّة مشروعا أمريكيّا

أ- في المشروع الأمريكيّ

تقدّم الوثائق الرسميّة الأمريكيّة مشروع الحريّة الأمريكيّ في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بوصفه جزءا من مشروع الحريّة الأمريكيّ في العالم الذي بدأ تنفيذه في العالم عامّة وأوروبا خاصّة منذ الحرب الباردة. وتمثّلت أبرز وسائله في مشروع مارشال. ولم يشمل الدول العربيّة والدول ذات الأغلبيّة المسلمة. فقد كان صنّاع القرار الأمريكيّون آنذاك يعملون على الحفاظ على الاستقرار في هذه الدول على حساب الحريّة. وكانوا متأثّرين بفكرة الاستثناء العربيّ في مجالي الحريّة والديمقراطيّة[4]. غير أنّ تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001، التي استهدفت برجي مركز التجارة العالميّ بمنهاتن والبنتاغون مقرّ وزارة الدفاع الأمريكيّة، دفعت الولايات المتحدة إلى تغيير سياساتها في المنطقة. ونتج هذا التغيير عن تفسير إدارة بوش الابن أسباب هذه التفجيرات. فأعلن الرئيس بوش أنّها هجوم على حريّة الأمريكيّين ونمط حياتهم وعلى أمريكا بوصفها المنارة الكبرى للحريّة في العالم[5]. وورد في تقرير الأمن القومي لسنة 2002 أنّ التفجيرات هجوم على النيتو[6]. واللافت أنّ تفسيرات تفجيرات سبتمبر قد تنوّعت. فقد فسّرها الكثير من صنّاع السياسة وعلماء العلاقات الدوليّة والصحفيّين بأسباب تعود إلى فشل دول الشرق الأوسط في التعولم وتوسيع الفرص الاقتصاديّة والحريّات السياسيّة لفائدة شعوبها. وعدّها آخرون عنفا مضادّا للحداثة والقيم العالميّة وأيّدوا أطروحة صدام الحضارات. وردّا على كلّ هذه الآراء بيّن سيمون دالبي (Simon Dalby)، الأستاذ الأيرلندي المختصّ في الجغرافيا والدراسات البيئيّة والاقتصاد السياسيّ، أنّها يمكن أن تُؤوّل بطريقة مغايرة. فتعتبر صراعا داخل "العالم الإسلاميّ" عامة والمملكة العربيّة السعوديّة خاصّة، ومداره على مستقبل المنطقة ونوع الإسلام المنشود فيها[7].

وقرّرت الإدارة الأمريكيّة شنّ "حرب عالميّة على الإرهاب" بناء على التسليم بأنّ هذه التفجيرات عمل حرب. وتبنّت إستراتيجيّة هادفة إلى الانتصار على الإرهابيّين والدول التي تؤويهم وتدعمهم. وهي إستراتيجيّة متعدّدة الوجوه تجمع بين طرق تعطيل المنظّمات الإرهابيّة وتحطيمها من جهة، وتعزيز الأمن القوميّ بإحداث مكتب الأمن الداخليّ (new Department of Homeland Security) من جهة ثانية، وشنّ حرب الأفكار(war of ideas) لهزم إيديولوجيّة الإرهابيّين من جهة ثالثة[8].

---

[4]سادت فكرة الاستثناء العربيّ عند بعض المستشرقين والمتأثّرين بهم. وهي تعني أنّ العرب والمسلمين استثناء في العالم يعيشون خارج التاريخ ويعادون بالفطرة قيم الحريّة والديمقراطيّة. فثقافتهم تبرّر الاستبداد والرضا بالذلّ، والإسلام معاد بطبيعته الحكم الديمقراطيّ.

[5] George Walker Bush, Address to The Nation on The September 11 Attacks, The Oval Office, September 11, 2001, White House, Selected Speeches of President George W. Bush: 2001- 2008, in: https://georgewbush-whitehouse.archives.gov./.../bushrecord/.../Selected_Speeches_Geo...

[6] White House, The National Security Strategy of The United States of America, Washington, September 17, 2002, in: www..state.gov/documents/organization/63562.pdf, p: .25

[7] Simon Dalby, Calling 9/11 : Geopolitics, Security and America's New War, Geopolitics, vol. 1, no. 3, 2003, p: 75.

[8] National Security Strategy, September 2002, op.cit,p:6.

وأعلنت إدارة بوش كذلك عملها على تنفيذ سياسة جديدة سمّتها "أجندة الحريّة" في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا[9]. ودرس عثمان علي حسّان الباحث البريطانيّ من أصل تركيّ[10]هذه الأجندة واعتبرها ترجمة لإستراتيجيّة كبرى[11]. وأشار إلى أنّ هذه الإستراتيجيّة الكبرى لليبراليّة[12] بالمعنى الذي حدّده جون إيكنبيري، منظّر العلاقات الدوليّة والسياسات الخارجيّة الأمريكيّة وأستاذ السياسات والشؤون الدوليّة، عند دراسته السياسة الأمريكيّة القائمة على تعزيز الديمقراطيّة بالخارج عامّة وأوروبا خاصّة بعد الحرب العالميّة الثانية. فقد بيّن إيكنبيري أنّ تلك السياسة كانت جزءا من إستراتيجيّة كبرى لليبراليّة ترتكز على فكرة رئيسيّة مفادها أنّ توفّر الديمقراطيّة في الدول الكبرى يساعد الولايات المتحدة الأمريكيّة على النجاح في ضمان مصالحها وتقليص المخاطر الأمنيّة ويساهم في استقرار العالم[13]. وخالف الأطروحة السائدة في تقييم السياسات الأمريكيّة في الحرب الباردة بوصفها ترجمة لإستراتيجيّة كبرى واقعيّة هي إستراتيجيّة الاحتواء. وبيّن أنّ الولايات المتحدة اعتمدت آنذاك إستراتيجيّة كبرى لليبراليّة بالتوازي مع إستراتيجيّة الاحتواء. وتقوم هذه الإستراتيجيّة الليبراليّة على خمس أفكار مترابطة. أمّا الأولى فمفادها أنّ الديمقراطيّة تؤدّي بالضرورة إلى السلم. فالديمقراطيّات تسعى إلى عقد علاقات سلميّة بينها. وأمّا الثانية فهي أنّ للتجارة الحرّة والانفتاح الاقتصاديّ دورا في دعم الديمقراطيّة وتعزيزها لأنّهما يضعفان البنية الاستبداديّة ويدعمان الأنظمة التعدّديّة. فالتجارة تعزّز النمو الاقتصاديّ الذي يصنع بدوره الرخاء، وبالرخاء تتمكّن الديمقراطيّة من أداء دورها السلميّ. وأمّا الثالثة فهي أنّ التجارة الحرّة والأسواق المفتوحة لا تعزّزان النموّ الاقتصاديّ والديمقراطيّة فحسب، وإنّما تمتّنان العلاقات بين الدول كذلك. وأمّا الرابعة فهي أنّ مأسسة العلاقات الدوليّة تحدّ من النزاعات. فمتى أنشأت الدول مؤسّسات تعدّديّة واحترمت قوانينها تقلّصت حدّة النزاعات. وأمّا الخامسة فهي أنّ وجود هويّة مشتركة بين الدول ييسّر إقامة نظام سلميّ دائم. فإذا كانت القيم المشتركة لليبراليّة وديمقراطيّة فُضّت النزاعات.

ولئن اختار إيكنبيري كلمة "الليبراليّة" فإنّ بعض الأفكار التي أوردها تجعل هذه الإستراتيجيّة أقرب إلى النموذج النيوليبراليّ كما برز مع مدرسة شيكاغو (Chicago School of

---

[9]خصّص الرئيس بوش لهذه الأجندة خطابا مفصّلا. راجع:

Bush, Remarks on The Freedom Agenda, November 6, 2003, Selected Speeches, op.cit.

ورد ذكر هذه السياسة في خطابات بوش بعبارات مختلفة: "أجندة الحريّة" و"سياسة جديدة" و"إستراتيجيّة مستقبليّة للحريّة" و"أجندة جديدة وجريئة لهزم إيديولوجيّة العدوّ عن طريق مساندة قوات الحريّة في الشرق الأوسط وخارجه" و"برنامج الحريّة".

[10]درس هذا الباحث أجندة الحريّة في رسالة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة برمنجهام:

Osman Ali Hassan, George W. Bush, September 11th and the Rise of the Freedom Agenda in US- Middle East Relations: A Constructivist Institutionalist Approach, The University of Birmingham, August 2009, in: etheses.bham.ac.uk/399/1/hassan09phd.pdf

ونعتبر أطروحته مرجعا أساسيّا في المسألة لأنّه أورد فيها مادّة ثريّة. وساعده في ذلك التقاؤه المباشر بأصحاب القرار الأمريكيّين وحصوله على المعلومات من الحوار المباشر معهم ومن الوثائق الرسميّة في الوقت نفسه.

[11]تتعلّق الإستراتيجيّة الكبرى بالسياسات العليا والأهداف الكبرى في السياسة الخارجيّة. وهي عمليّة مركّبة تشمل تحديد المصالح الأمنيّة والحيويّة وضبط تهديداتها المحتملة واختيار الطرق التي تساعد على استخدام الموارد السياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة استخداما جيّدا حماية لتلك المصالح. راجع:

Christofer Layne,From Preponderance to Offshore Balancing, International Security, vol. 22, no. 1, p: 88.

ويرى جون إيكنبيري (John Ikenberry) التفكير في الإستراتيجيّة الكبرى بوصفها مسألة استثمار مهمّا. فهي تتطلّب التفكير في كيفيّة استثمار الموارد وتعزيز القدرة على مواجهة مخاطر المستقبل المجهولة وتتعلّق بتحديد الأولويّات وتفادي المفاجآت.

John Ikenberry, Grand Strategy as Liberal Order Building, in: Barry Eichengreen and Others, To Lead the World: American Strategy after The Bush Doctrine, ed. 1, Oxford University Press, 2008.

ويبيّن الدارسون أنّ الإستراتيجيّة الكبرى تحيل على استخدام كلّ الوسائل العسكريّة والدبلوماسيّة والاقتصاديّة المتاحة للدولة في مواجهة تهديد راهن أو محتمل. وهي، خلافا للإستراتيجيّة العسكريّة، لا ينحصر هدفها في الانتصار في الحرب لأنّها تُعنى بزمني الحرب والسلم.

[12]Hassan, George W. Bush, September 11th and the Rise of the Freedom Agenda, op.cit, p: 21.

[13] John Ikenberry, America's Liberal Grand Strategy : Democracy and National Security in the Post Cold War Era, in: Michael Cox and Others, American Democracy Promotion: Impulses, Strategies and Impacts, Oxford University Press, New York, 2000, p: 103.

(economics)[14]. ويظهر ذلك في إشـــارته إلى تجربة رونالد ريغان (Ronald Regan) وتعويله على دور التجارة الحرّة والأســـواق المفتوحة في تقوية المجتمع وخلق "مجالات من الحكم الذاتيّ تحدّ من تدخّل الدولة" وتقوية الأفراد وتغيير ما يريدون وما يتوقّعون من السياسة[15].

ب- في معنى الحريّة

تكرّرت في الخطـاب الرســميّ الأمريكيّ عبـارة "الحريّـة لا تتجزّأ" (freedom is indivisible)[16]. ومع ذلك يمكن تقسيم مشروع الحريّة إلى مشروعين متداخلين ومتكاملين. وهما مشروع الحريّة الاقتصاديّة ومشروع الحريّة السياسيّة[17]. وهما وجهان لمشروع واحد يهدف إلى "توسيع" الحريّة الاقتصاديّة والحريّة السياسيّة.

أمّا الحريّة الاقتصادية فقد اعتبرها البيت الأبيض ضرورة أخلاقيّة لأنّ الإنسان يميل بطبعه إلى حريّة الإبداع والبناء والبيع والشـراء والملكيّة الخاصّـة، وهي متطلّبات أســاســيّة في المجتمع الحرّ[18]. ومن هذا المنطلق دافع عن اقتصـــاد الســوق المفتوحة الذي تكفّ فيه الدولة عن التدخّل في الشأن الاقتصاديّ وتوجيه الاقتصاد القوميّ وفرض الشروط الحمائيّة. وبرّر ذلك بأنّ "التاريخ أثبت أنّ اقتصـــاد الســوق هو النظام الاقتصـــاديّ الوحيد الأكثر فعاليّة والترياق الأنجع ضـــدّ الفقر"[19]. فبالتجارة الحرّة والأســـواق المفتوحة يمكن إخراج المجتمعات من الفقر عن طريق تعزيز التنمية وتحقيق نموّ اقتصاديّ قادر على توليد مهن جديدة وخلق طبقة وسطى قادرة على المطالبة بحقوقها. وبهذا يتضح أنّ مشروع الحريّة في وجهه الاقتصاديّ يهدف إلى عولمة اقتصاد السوق ودفع بلدان الشـرق الأوسـط وشـمال إفريقيا إلى تبنّيه بديلا للتنمية ومحاربة الفقر. ولا شـكّ في أنّ المضـيّ في تنفيذ هذا المشـروع في المنطقة وفي مناطق أخرى من العالم دليل على أنّ الولايات المتحدة تمارس دورا قياديّا في مجال الاقتصـاد العالميّ ووضـع أسس التجارة العالميّة وتوجيههما الوجهة التي تخدم مصلحتها وتتيح لها مضاعفة حجم صادراتها.

وأمّا الحريّة السياسيّة فتعني الحدّ من قوّة الدولة والجيش، وهو ما يجعل الحكومات تستجيب لإرادة الشعوب وتطبّق القانون تطبيقا غير انتقائيّ وتفتح المجال للمؤسّسات المدنيّة القويّة والأحزاب السياسيّة واتحادات العمّال ووسائل الإعلام المستقلّة وتضمن الحريّة الدينيّة وتعترف بحقوق المرأة ولا تحدّ من حريّة التعبير[20]. ولكن بعد فوز الحركات الإســـلاميّة في الانتخابات في بعض بلدان

---

[14] تُنسب هذه المدرسة إلى قسم الاقتصاد بجامعة شيكاغو. أسّسها فرانك نايت (Frank Knight) الذي عُرف بمناهضة الرأسماليّة الصرفة، ولكنّ الاقتصاديّين اللاحقين أمثال ميلتون فريدمان (Milton Friedman) خالفوا توجّهه وأعلوا من شأن السوق وعادوا إلى الليبراليّة الكلاسيكيّة التي صاغ أسسها آدم سميث (Adam Smith) واعتبر بعضهم دولة الرعاية الاجتماعيّة عائقا يتسبّب في شلّ الاقتصاد وتثبيط النموّ وطالبوا الدولة بالكفّ عن التدخّل في شؤون الأسواق. أولريش شيفر، انهيار الرأسماليّة: أسباب إخفاق اقتصاد السوق المحرّرة من القيود، ترجمة عدنان عبّاس علي، سلسلة عالم المعرفة، 371، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2010، ص ص: 40-41.

[15] النيوليبراليّة (neoliberalismus) مصطلح نحته ألكسندر روستوف (Alexander Rostov) سنة 1932 لوصف الليبراليّة في شكلها الجديد، وإليه تعود عقيدتها الأصليّة. فقد وضّح أهميّة انتهاج طريق وسط بين سياسة "دعه يعمل دعه يمرّ" وسياسة التدخّل الحكوميّ التي انتهجتها الدول الرأسماليّة في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين، ودعا إلى "ضرورة وجود دولة قويّة... فوق الاقتصاد والمصالح الفرديّة". ثمّ انقسم النيوليبراليّون إلى ثلاثة مدارس اختلفت حول مدى قدرة السوق على تحقيق النتائج المطلوبة ودور الدولة في الشأن الاقتصاديّ. وهي مدرسة فرايبورغ ومدرسة شيكاغو والمدرسة النمساويّة. وطبّقت مارغريت تاتشر (Margaret Thatcher) نظريّات فريدمان وهايك (Friedrich Hayek) في بريطانيا في أواخر الثمانينات كما تبنّى ريغان في الولايات المتحدة أفكار "صبيان شيكاغو". المرجع نفسه، ص ص: 38- 42.

[16] Bush, November 6, 2003, op.cit, p: 180.

[17] وردت في تقرير الأمن القوميّ لسنة 2006 عبارة "أجندة الحريّة الاقتصاديّة":

White House, The National Security Strategy of The United States of America, Washington, March 2006, in: https://www.comw.org/qdr/fulltext/nss2006.pdf , p: 25.

[18] Ibid, p: 27.

[19] Ibid, p: 25.

[20] Bush, November 6, 2003, op.cit, p: 184.

المنطقة بين السنتين 2005 و2007[21] أصبح الرئيس بوش يؤكّد أنّ الانتخابات وحدها لا تكفي. فالديمقراطيّة لا تقتصر على صندوق الاقتراع. إنّها تتطلّب إضافة إلى ذلك وجود أحزاب معارضة قويّة ومجتمعا مدنيّا نشيطا وحكومة تطبّق القانون وتستجيب لحاجيات شعبها حتى تضمن البقاء في السلطة[22]. فمشروع الحريّة في وجهه السياسيّ يعكس سعيا إلى نشر الديمقراطيّة في المنطقة. ولذلك اعتبره بعض الدارسين مشروع دمقرطة[23].

ولئن تمّ التشديد في الوثائق الرسميّة الأمريكيّة على أهميّة الحريّة السياسيّة فقد اعتُبرت فيها مشروطة بتوفّر الحريّة الاقتصاديّة. فالحريّة الاقتصاديّة دافع للحريّة السياسيّة وشرط من شروطها. و"الحريّة الاقتصاديّة الكبرى لا تنفصل عن الحريّة السياسيّة. إنّها تقوّي الأفراد، والأفراد الأقوياء يطالبون تدريجيّا بالحريّة السياسيّة الكبرى"[24]. وهي تعزّزها كذلك لأنها "تولّد مراكز قوة وسلطة متنوّعة تحدّ من تأثير الحكومة. إنّها توسّع تدفّق الأفكار حيث تؤدّي التجارة والاستثمار الخارجيّ إلى كشف طرق تفكير وعيش جديدة تجعل المواطنين يتحكّمون في حياتهم الخاصّة"[25].

ولمّا كانت الحريّة، في التصوّر الأمريكيّ، لا تتجزّأ وكانت الحريّة السياسيّة تنتج عن توفّر الحريّة الاقتصاديّة كان للاستبداد معنى خاص في الوثائق الأمريكيّة فيه تشديد على آثاره الاقتصاديّة. فهو "الجمع بين الوحشيّة والفقر والاضطراب والفساد والمعاناة الجاري تحت حكم الطغاة والأنظمة المستبدّة"[26].ولتوضيح هذا المعنى ذُكر في تقرير الأمن القوميّ لسنة 2006 أمثلة من الشعوب التي تكابد الاستبداد بشكل يوميّ في إيران وسوريا وكوبا وبيلاروسيا وبورما وزمبابوي.

وكان لمقوّمات الكرامة الإنسانيّة التي تدافع عنها الولايات المتحدة في العالم كذلك مفهوم جامع بين الجوانب الاقتصاديّة والسياسيّة والشخصيّة. فهذه المقوّمات تتمثّل في سيادة القانون والحدّ من تدخّل الدولة وحريّة التعبير والحريّة الدينيّة والعدل والمساواة وتمكين النساء والتسامح الدينيّ والأخلاقيّ واحترام الملكيّة الخاصّة[27]. واعتبر الرئيس بوش هذه المقوّمات مبادئ أساسيّة مشتركة بين المجتمعات الناجحة في كلّ الثقافات وبيّن أنّ المجتمعات الناجحة تضمن الحريّة الاقتصاديّة والسياسيّة وتتصدّى للفساد وتعاقب عليه وتعتني بصحّة شعوبها وتعليمها وتستجيب لآمالها بدلا من توجيه الكراهية والحقد نحو الآخرين[28].

وهكذا يتبيّن أنّ الحريّة التي أعلنت إدارة بوش أنّها تريد نشرها في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ذات وجهين متكاملين: وجه اقتصاديّ وآخر سياسيّ. ولم يخف الرئيس بوش خلفيّات السياسات التي تبنّتها إدارته والأفكار التي بلورت هذه السياسات. فبيّن أنّ في فكرة مشروع الحريّة تجاوزا لفكرة الاستثناء العربيّ في مجال الحريّة والديمقراطيّة[29]. ويبدو الإيمان بأنّ الحريّة هدف الطبيعة ووجهة التاريخ من الأفكار الرئيسيّة التي توجّه هذه السياسات. ومن الأفكار الأساسيّة الواردة في الوثائق الرسميّة كذلك أنّ الشعوب لا تنالها بناء على بعض جدليّات التاريخ. فنيلها

---

[21] تشمل الحركات الإسلاميّة التي حقّقت نتائج كبيرة في الانتخابات الإخوان المسلمين في سنة 2005 وحماس في فلسطين سنة 2006 والإسلاميّين في العراق والكويت والبحرين سنة 2006 وحزب العدالة والتنمية في تركيا سنة 2007.

[22] Bush, Address to an International Conference on Democracy and Security in Prague, June 5, 2007, Selected Speeches, op.cit, p: 485.

[23] Daniel Neep, Dilemmas of Democratization in The Middle East: The "Forward Strategy of Freedom", Middle East Policy, vol. xi, no. 3, 2004, pp: 73- 84.

[24] The National Security Strategy, March 2006, op.cit, p: 25.

[25] Ibid, p: 27.

[26] Ibid, p: 3.

[27] The National Security Strategy, September 2002, op.cit, p: 3.

[28] Bush, November 6, 2003, op.cit, p: 184.

[29] للنظر في حجج الرئيس بوش في الردّ على هذه الفكرة راجع:

Ibid, p: 181.

يتوقّف على "اختيارات الشعوب الحرّة وشجاعتها واستعدادها للتضحية"[30]. ولذلك تكرّرت في الوثائق الرسميّة فكرة استعداد الأمريكيّين لتحمّل أعباء قضية الحريّة والقيادة في نشرها. وفضلا عن هذا الواجب الأخلاقيّ الذي ندب الأمريكيّون أنفسهم لأدائه في العالم، يقوم مشروع الحريّة على فكرة أساسيّة أخرى، وهي أنّ تشجيع الحريّة والديمقراطيّة في العالم يضمن الأمن العالميّ ويحمي المصالح الأمريكيّة ويمكّن من نشر قيم الأمريكيّين القائمة على الإيمان بأنّ الحريّة هبة إلهيّة ومن حقّ كلّ البشر دون استثناء.

2- أهداف مشروع الحريّة الأمريكيّ

أ- ما تعلنه الوثائق الرسميّة

إنّ الهدف الأساسيّ الذي أعلنت إدارة بوش أنّها تسعى إلى تحقيقه من وراء مشروع الحريّة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا هو تحقيق السلام والأمن في العالم. وهذا ما يجعل هذا المشروع مقاربة جديدة لقضيّة السلام العالميّ. وهي مقاربة مخالفة لأطروحة الحفاظ على الاستقرار في المنطقة. فقد ظلّت الولايات المتحدة طيلة عقود تتعامل مع ما تعتبره استبدادا سياسيّا وركودا اقتصاديّا بوصفه وضعا قائما في المنطقة يجب عدم المساس به مخافة انتشار الفوضى والاضطراب اللذين يمكن أن يخلاّ بمصالحها ومصالح حلفائها. وكان الحفاظ على الوضع القائم يعني الحيلولة دون أيّ تغيير سياسيّ في البلدان العربيّة ولذلك كانت الولايات المتحدة تدعم جميع النظم العربيّة مهما كانت طبيعتها ومعاملتها لمواطنيها ما دامت لا تمثّل تهديدا للمصالح الأمريكيّة. وكان يعني كذلك منع أيّ تغيير جيوسياسيّ يمكن أن يؤثّر في معادلات القوّة الإقليميّة، ولذلك وقفت ضدّ كلّ حركات التغيير الوطنيّة والقوميّة العربيّة في خمسينات القرن العشرين وستّيناته[31].

ولمّا وقعت تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر أربكت أطروحة الاستقرار. فغيّرت الإدارة الأمريكيّة رؤيتها وتبنّت أطروحة بديلة مفادها أنّ السلام في العالم لا يتحقّق إلاّ عبر تغيير الأوضاع في المنطقة. وفي هذا السياق يتنزّل قول الرئيس بوش الابن: "إنّ سنوات الحفاظ على الاستقرار لإقامة السلام جعلتنا لا نحصل عليه. لذا غيّرنا سياساتنا وسخّرنا تأثير أمريكا في العالم للمساهمة في تقدّم الحريّة والديمقراطيّة بوصفهما البديلين الكبيرين من القمع والراديكاليّة"[32]. فلم يعد القمع والراديكاليّة قادرين على حماية المصالح الأمريكيّة. ولم يعد السلام العالميّ في الرؤية الأمريكيّة مبنيّا على استقرار الوضع القائم بل أصبح السلام والاستقرار معا لا يتحقّقان إلاّ بانتشار الحريّة.

وعوّل الرئيس بوش على تحقيق هدفين يتفرّعان من هذا الهدف الأساسيّ. وهما إنهاء الاستبداد في العالم وتشجيع ما أسماه "الديمقراطيّة الفعّالة" (effective democracy). ورآهما هدفين واقعيّين: "ليس نشر الحريّة مجرّد واجب أخلاقيّ، إنّه الطريقة الواقعيّة الوحيدة لحماية شعبنا على المدى الطويل"[33].

إنّ نشر الحريّة الهادف إلى إنهاء الاستبداد وتشجيع الديمقراطيّات الفعّالة عمليّة مركّبة تجمع بين الأبعاد السياسيّة والاقتصاديّة. فالحريّة لا تتجزّأ. وبهذا المعنى لا تعتبر الأنظمة ديمقراطيّة فعّالة من زاوية النظر الأمريكيّة إذا تبنّت الديمقراطيّة اختيارا سياسيّا ورفضت الاندماج في السوق العالميّة أو إذا قبلت أن تفتح اقتصادها دون أن تسمح لشعوبها بالتمتّع بحريّاتها السياسيّة والدينيّة.

---

[30] Ibid, p: 179.

[31] برهان غليون، السياسة الأميركيّة الجديدة في الشرق الأوسط، الجزيرة.نت، الأحد 2004/10/3.

[32] Bush, Address to The Nation on The Fifth Anniversary of 9/11, September 11, 2006, Selected Speeches, op.cit, p: 427.

[33] Bush, Address to an International Conference on Democracy and Security in Prague, June 5, 2007, Selected Speeches, op.cit, p: 480.

وتشير الوثائق الرسميّة إلى أنّ الهدف من مشروع الحريّة الأمريكيّ في الشرق الأوسط و شمال إفريقيا هو تحويل بلدان هذه المنطقة إلى ديمقراطيّات فعّالة. وننتقي من هذه الوثائق شاهدين يبيّنان ذلك. قال الرئيس بوش: "في بداية هذا القرن تنتظر أمريكا يوما تغادر فيه شعوب الشرق الأوسط صحراء الاستبداد إلى حدائق الحريّة الخصبة ويستعيد فيه مكانته في عالم السلام والازدهار"[34]. وورد في تقرير الأمن القوميّ لسنة 2006: "نريد شرقا أوسط متكوّنا من دول مستقلّة تعيش في سلام وتساهم مساهمة كاملة في السوق العالميّة المفتوحة سوق السلع والخدمات والأفكار"[35].

جليّ من هذين الشاهدين أنّ الشرق الأوسط لا يكون حرّا، بحسب التصوّر الأمريكيّ، إلاّ إذا تمّت دمقرطته من جهة وإدماجه في السوق العالميّة المفتوحة من جهة أخرى. فليست الحريّة المنشودة نابعة من مبادرات قام بها فاعلون محليّون وإنّما هي مشروع خطّط له الأمريكيّون وعملوا على تنفيذه. وما دور الفاعلين المحليّين إلاّ قبوله والمساهمة في تنفيذه. والهدف الرئيسيّ من كلّ ذلك هو دفع المنطقة إلى تبنّي الليبراليّة الجديدة نموذجا سياسيّا واقتصاديّا في العالم. وهذا يعكس اعتقادا بأنّ الإنسانيّة بلغت "نهاية التاريخ" بانتصار الديمقراطيّة الليبراليّة والليبراليّة الاقتصاديّة بعد فشل النماذج الشيوعيّة والاشتراكيّة وحتى تجارب دول الرفاه الاجتماعيّ في الولايات المتحدة نفسها.

هذا ما يعلنه الخطاب الرسميّ الأمريكيّ. غير أنّ التفكيك الذي اعتمدناه منهجا يمكن أن يساعد على نزع أحجبة هذا الخطاب وكشف ما يتكتّم عنه ويريد إخفاءه.

ب- ما تسكت عنه الوثائق الرسميّة

أعلنت إدارة بوش وضوحها الأخلاقيّ وهي تصمّم مشروع الحريّة وتعمل على تنفيذه. ولكن يمكن للتفكيك أن يساعد على كشف خلفيّات ذلك وسبر خفاياه. فيمكن للساسة أن يعلنوا أهدافا ويخفوا أخرى وأن يدّعوا وضوح مشاريعهم ويتكتّموا عن مواطن الارتباك والالتباس فيها. من هذا المنطلق ارتأينا رصد المصطلحات الواردة في الوثائق الرسميّة والمتعلّقة بأهداف مشروع الحريّة.

ورد في تقرير الأمن القوميّ لسنة 2002 أنّ الهدف هو البحث عن إمكانات توسيع الحريّة (extand)[36] واستُعملت في تقرير سنة 2006 كلمة توسيع (expansion)[37]. وتدلّ هذه العبارة على أنّ للحريّة مجالا جغرافيّا وسياسيّا تنتمي إليه بلدان دون أخرى. ولكنّها تعني كذلك أنّ البلدان غير المنتمية إليه يمكن أن تصبح جزءا منه ونسخا من الدول الواقعة في دوائره. وهذا المعنى تشترك فيه كلمة "توسيع" مع عبارات أخرى من قبيل "نشر "الحريّة(freedom's spread) و(expanding freedom) و"جلب" الحريّة إلى الآخرين(bring freedom to others) ورعاية الحريّة[38](cultivate freedom).

وتعني كلّ هذه العبارات أنّ الولايات المتحدة تضطلع في مشروع الحريّة بدور الفاعل الوحيد الذي يمنح الحريّة لأطراف أخرى. وبذلك تكون وصيّا على المنطقة وراعيا لها وحارسا لمصالح شعوبها بسبب عدم أهليّتها لقيادة نفسها بنفسها. وهذا يعني أنّ مشروع الحريّة جزء من مشروع إمبراطوريّ غير تقليديّ قائم على التحكّم في حياة الشعوب ومصيرها مع تركها مستقلّة ولو من الناحية الشكليّة.

---

[34] Bush, September 11, 2006, op.cit, p: 428.
[35] The National Security Strategy, March 2006, op.cit, p: 38.
[36] The National Security Strategy, September 2002, op.cit, p: 3.
[37] The National Security Strategy, March 2006, op.cit, p: 2.
[38] وردت هذه العبارات تباعا في:
The National Security Strategy, March 2006, op.cit, p: 2/ Bush, June 5, 2007, op.cit, p: 480/ Bush, Address to The Nation on Military Operation in Iraq, March 19, 2003, in: whitehouse.archives.gov, p: 176/ Bush, Remarks on The Future of Iraq, February 26, 2003, in: whitehouse.archives.gov, p: 173.

إنّ المعاني الكامنة في العبارات المذكورة تتعارض مع معاني عبارات أخرى وردت في سياق تعداد الرئيس بوش الإنجازات الميدانيّة التي تمخّض عنها مشروع الحريّة. وأبرز هذه العبارات كلمة "الإصلاح" [39](reform). والإصلاح يعني، فيما نرى، الحفاظ على الوضع القائم مع إحداث بعض التعديلات. ولكنّه يعني كذلك أنّ للفاعلين المحليّين في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا دورا أساسيّا في هذه العمليّة لأنّ الإصلاح يكون من الداخل. وهو ما يتعارض مع عمليّات نشر الحريّة وتوسيعها ورعايتها وجلبها من الخارج. وتبرز في الخطاب الأمريكيّ عبارة أخرى لافتة وهي المساهمة في تقدّم الحريّة [40](advance freedom) وتعزيز الحريّة (promote freedom)[41]. وتحيل العبارتان على أنّ الولايات المتحدة تشترك مع الفاعلين المحليّين في تنفيذ مشروع الحريّة وتكتفي بدور المساهمة في هذه العمليّة ولا تضطلع بالمهمّة الأساسيّة. وهو ما يدلّ عليه كذلك قول الرئيس بوش: "سنساعد الشعوب في الشرق الأوسط على المطالبة بحريّتهم"[42]. فالولايات المتحدة، بناء على هذا القول، مجرّد مساعد، وليست فاعلا رئيسيّا.

وكشفت الوثائق الرسميّة، من خلال هذا التردّد بين العبارات المذكورة، انقسام السياسيّين الأمريكيّين حول مشروع الحريّة. فقد اختلفت المواقف داخل إدارة بوش نفسها في هذا المشروع إلى أربعة مواقف. أمّا الموقف الأوّل فهو موقف من اعتقدوا، نتيجة ما حصل في الحادي عشر من سبتمبر، أنّ تحويل الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى ديمقراطيّات موالية للولايات المتحدة بات ضروريّا. وأمّا الثاني فهو موقف من نادوا بضرورة تشجيع الديمقراطيّة كسبا للعقول والقلوب في المنطقة عن طريق برامج الدبلوماسيّة العامّة ورصد موارد ماليّة للمساعدة على الديمقراطيّة[43]. وأمّا الثالث فهو موقف من اقتنعوا بأنّ غياب الديمقراطيّة في المنطقة كان سببا للإرهاب، ولكنّهم نصحوا الإدارة بإلزام الحكومات القائمة بإجراء إصلاحات ديمقراطيّة. أمّا الرابع فهو موقف من رأوا المشروع ضارّا بالمصالح طويلة المدى وعارضوا تنفيذه. وأدّى هذا التضارب إلى صراع داخل إدارة بوش[44].

ويبرز عدم وضوح الأهداف كذلك من خلال تعداد الرئيس بوش منجزات المشروع الأمريكيّ. فمنذ سنة 2003 دأب على اتخاذ بعض البلدان العربيّة نماذج دالّة على نجاح هذا المشروع[45]. ولكنّها نماذج لم تتحقّق فيها آنذاك وحتّى أواخر سنة 2008 الحريّة بالمعنى الوارد في الوثائق الرسميّة الأمريكيّة. فكيف يمكن اعتبار بعض الإصلاحات الجزئيّة التي قامت بها الحكومات في السعوديّة ومصر واليمن وقطر والبحرين وعمان نماذج لنجاح مشروع الحريّة الأمريكيّ؟ هل ينسجم ذلك مع أهدافه الواعدة؟ وبأيّ معنى تكون أفغانستان والعراق مثالين للمجتمعات الناجحة التي بدأ تطبيق المبادئ الديمقراطيّة فيهما منذ سنة 2003 كالاستجابة لإرادة الشعب وحماية الحريّة

---

[39] Bush, November 6, 2003, op.cit, p: 184/ Bush, February 26, 2003, op.cit, p: 170.

[40] Bush, Remarks on The Global War on Terror: The Enemy in Their own Words, September 5, 2006, Selected Speeches, op.cit, p: 406/ Bush, September 11, 2006, op.cit, p: 454.

[41] The National Security Strategy, March 2006, op.cit, p: 5.

[42] Bush, September 5, 2006, op.cit, p: 408.

[43]إذا كان الموقف الأوّل يدعو إلى دمقرطة البلدان دمقرطة فعليّة، فإنّ الثاني يطالب بأن يكون تشجيع الديمقراطيّة جزءا من حرب الأفكار وليس هدفا مستقلاً بذاته. وورد في تقرير صادر عن وزارة الخارجيّة أنّ تعزيز الديمقراطيّة الفعّالة مقاربة طويلة المدى هدفها الانتصار في الحرب على الإرهاب لأنّها "الترياق طويل المدى ضدّ إيديولوجيّة الإرهاب. هذه هي حرب الأفكار"،

United States Department of State, National Strategy For Combating Terrorism, September 2006, in: https://fas.org/irp/threat/nsct2006.pdf

[44]توسّع عثمان علي حسان في ما كان سائدا داخل إدارة بوش من اختلافات حول مشروع الحريّة:

Hassan, George W. Bush, September 11th, op.cit, pp: 225- 227.

[45] Bush, November 6, 2003, op.cit, pp: 183- 184.

أشاد الرئيس بوش في هذا الخطاب مثلا ببعض النماذج كالانتخابات البرلمانية في البحرين سنة 2002 وتوسيع عمان الانتخابات لتشمل كلّ البالغين وإنشاء قطر دستورا جديدا وامتلاك اليمن نظاما سياسيّا تعدّديّا وإقامة الأردن "انتخابات تاريخيّة"عام 2003.

بتطبيق القانون والسماح بوجود مؤسّسات مدنيّة قويّة؟ إنّ إصرار الرئيس على اعتبار هذين البلدين أنموذجين للديمقراطيّات الناشئة يجعل أهداف المشروع غير واضحة[46].

إنّ طبيعة مشروع الحريّة نفسه غير واضحة. فلئن اعتبره بعض الدارسين إستراتيجيّة كبرى ليبراليّة فإنّ الخطاب الرسميّ يناقض هذه الفكرة. فكثيرا ما تمّ الحديث عن مشروع الحريّة بوصفه جزءا من الحرب على الإرهاب. وهذا ما يجعله أقرب إلى الإستراتيجيّة السياسيّة والاقتصاديّة التابعة للحرب والمكمّلة لإستراتيجيّتها العسكريّة كما برزت في حربي أفغانستان والعراق وإستراتيجيّتها الفكريّة الإيديولوجيّة المتمثّلة في حرب الأفكار (war of ideas). قال الرئيس بوش: "وعدتُ في اليوم الأوّل من هجمات 9/11 باستخدام كلّ عناصر القوّة القوميّة في محاربة الإرهابيّين حيثما وجدناهم. وأحد الأسلحة الأقوى في مستودعنا هو قوّة الحريّة. فالإرهابيّون يخافون الحريّة خوفهم من قوّتنا الناريّة"[47]. وقال: "السلاح الأقوى في الصراع ضدّ المتطرّفين ليس الرصاص أو القنابل. إنّه نداء الحريّة العالميّ"[48]. فالحريّة ومشروعها بهذا المعنى وسيلتان وليسا غايتين.

وربّما لهذا السبب نصح إيكنبيري[49] الولايات المتحدة بالعودة إلى زمن ما قبل الرئيس بوش الابن لأنّ سياسات إدارته أصبحت، بحسب رأيه، "أيقونة لفشل الإستراتيجيّة الكبرى"[50]. فهو يرى أنّ إدارة بوش جعلت الولايات المتحدة تشهد تراجعا استثنائيّا في مصداقيّتها وهيبتها. ولذلك اقترح أن تستفيد الإدارة اللاحقة من التجربة الأمريكيّة بعد الحرب العالميّة الثانية وأن تعدّل الإستراتيجيّة الليبراليّة التي اعتمدتها آنذاك إلى إستراتيجيّة كبرى جديدة سمّاها "بناء النظام الليبراليّ" (liberal order building) القائم أساسا على القوانين والمؤسّسات التي تأسّست عليها روح القانون الهيمنيّ الليبراليّ.

ويعتبر النموذج الليبراليّ الجديد الذي يبشّر به مشروع الحريّة الأمريكيّ محلّ تشكيك وانتقاد كبيرين. فبعد تجربتي ريغان وتاتشر أثار هذا النموذج نقاشات واسعة. ولئن اعتاد الساسة تقديمه بوصفه نموذجا كاملا وخاليا من العيوب ومستجيبا لتطلّعات الشعوب إلى الحريّة والديمقراطيّة فقد لقي انتقادات واسعة. يقول روبرت ماكشيسني (Robert McChesny)، أستاذ الاتصالات بمركز الدراسات العالميّة، مثلا: "إنّ الليبراليّة الجديدة هي العدوّ الأوّل والمباشر للديمقراطيّة الانتخابيّة الحقيقيّة"[51]. فهي نموذج قائم على مبدأ "السوق فوق الجميع". ويقول ميلتون فريدمان (Milton Friedman)، وهو منظّر الليبراليّة الجديدة الأمريكيّ المختصّ في الاقتصاد: "بما أنّ جني الأرباح هو جوهر الديمقراطيّة، فإنّ أيّ حكومة تنتهج سياسات معادية للسوق، هي حكومة معادية للديمقراطيّة، بغضّ النظر عن حجم التأييد الواعي الذي قد تتمتّع به"[52]. والديمقراطيّة الوحيدة المسموح بها في هذا النموذج هي تلك التي تجعل سيطرة رجال الأعمال بعيدة عن كلّ مناقشة أو تغيير وتمنع كلّ تدخّل في هيمنة الشركات الكبرى على المجتمع[53]. وبيّن ماكشيسني أنّ

---

[46] يدعونا إلى هذه الأسئلة قول الرئيس بوش، بعد تعداد المبادئ التي تجعل المجتمعات ناجحة: "هذه المبادئ الحيويّة هي بصدد التطبيق في دولتي أفغانستان والعراق" (These vital principles are being applies in the nations of Afghanistan and Iraq). ورغم إشارته إلى أنّ أفغانستان تواجه تحدّيات اقتصاديّة وأمنيّة فقد أشار إلى أنّها ستواجهها بوصفها ديمقراطيّة حرّة ومستقلّة،
Bush, November 6, 2003, op.cit, p: 185.

[47] Bush, September 11, 2006, op.cit, p: 427.

[48] Bush, June 5, 2007, op.cit, p: 479.

[49] نعتمد كتابات إيكنبيري مراجع أساسيّة لأنّه منظّر الإستراتيجيّة الكبرى الليبراليّة.

[50] Ikenberry, Grand Strategy as Liberal Order Building, op.cit, p: 89.

[51] روبرت ماكشيسني، مقدمة كتاب نعوم تشومسكي، الربح فوق الشعب: الليبراليّة الجديدة والنظام العولميّ، ترجمة مازن الحسيني، ط 1، دار التنوير للترجمة والطباعة والنشر، رام الله،2000، ص: 14.

[52] نفسه، ص ص: 11- 12.

[53] راجع نعوم تشومسكي، ديمقراطيّة السوق في نظام ليبراليّ جديد: المبادئ والواقع، ضمن كتابه: الربح فوق الشعب، مرجع سابق، ص ص: 111- 142.

ديمقراطيّة السوق لا يمكن أن تحقّق السلام في العالم لأنّها تؤدّي بالضرورة إلى تفاقم الفوارق الاجتماعيّة والاقتصاديّة بين الفقراء والأغنياء. فتزيد أفقر شعوب الأرض فقرا في حين يزداد الأثرياء، وهم قلّة في العالم، ثراء لأنّ السياسات الاقتصاديّة الليبراليّة الجديدة توفّر لهم مصادر أرباح جديدة وتحرم منها الفقراء. ولئن بدا مؤيّدو هذه السياسات وكأنّهم حريصون على مصلحة الشعوب الفقيرة فإنّ السياسات التي يرسمونها لا تخدم إلاّ مصلحة قلّة من الأغنياء[54].

وبيّنت التجربة في العراق أنّ فرض النموذج النيوليبراليّ الجديد كان ذا أولويّة في الإستراتيجيّة الأمريكيّة. فمنذ سبتمبر سنة 2003 وقبل أن يستعيد العراقيّون أمنهم الشخصيّ بعد الحرب، أعلن بول بريمر (Paul Bremer) أنّ الوقت قد حان لتعليم العراقيّين أسس اقتصاد السوق وأمر بخصخصة مؤسّسات العراق العموميّة وفتح بنوكه أمام المراقبة الخارجيّة وإزاحة الحواجز التجاريّة كما أمر بتنفيذ تلك الأوامر في كلّ المجالات الاقتصاديّة التي تشمل الخدمات العامّة والإعلام والنقل والتمويل والبناء[55].

ويمكن اعتبار هذه التجربة مؤشّرا على أنّ الهدف الحقيقيّ من مشروع الحريّة هو إحكام السيطرة الأمريكيّة على العراق وغيره من بلدان المنطقة[56]. وما الحرص الأمريكيّ الرسميّ على إقناع الأمريكيّين بأنّ المشروع في صالحهم لأنّه يضمن مصالحهم ويحقّق أمنهم إلاّ دليل على أنّ الهدف الحقيقيّ هو الحفاظ على التفوّق الأمريكيّ في المنطقة وفي العالم. ولا شكّ في أنّ هذا التفوّق شرط ضروريّ لضمان المصالح الأمنيّة والإستراتيجيّة الأمريكيّة ومصالح حلفاء الولايات المتحدة.

1- وسائل تنفيذ المشروع الأمريكيّ

أ- أنواع الوسائل

تراوحت طرائق تنفيذ مشروع الحريّة الأمريكيّ بين العلنيّة والسريّة. فقد ذكر الرئيس بوش أنّ أمريكا تنفّذ أجندة الحريّة "بطرق مختلفة بعضها ظاهر وبعضها خفيّ عن الأنظار"[57]. وأعلن البيت الأبيض أنّه يعتمد مقاربة براغماتيّة في تنفيذ المشروع. فقد ورد في تقرير الأمن القوميّ لسنة 2006 أنّ الولايات المتحدة ستحافظ على مبادئها وتغيّر تكتيكاتها بحسب الحكومة التي ستتعامل معها وبحسب مدى تلاؤم تلك التكتيكات مع المصالح الأمريكيّة الثابتة. وفي هذا السياق تتنزّل الفقرة التالية: "في بعض الحالات سنتّخذ خطوات علنيّة واضحة من أجل التغيير الفوريّ. وفي حالات أخرى سنقدّم دعما أكثر سريّة من أجل وضع أسس الإصلاحات المستقبليّة. سنحدّد نوع المقاربة التي ينبغي علينا توخّيها وسيوجّهنا ما يمكن أن يساهم بالفعل في تقدّم قضيّة الحريّة بينما نوازن بقيّة المصالح التي هي حيويّة كذلك بالنسبة إلى أمن الشعب الأمريكيّ وسعادته"[58]. وهذا دليل على أنّ المقاربة البراغماتيّة تهدف إلى ضمان المصالح الأمريكيّة في العالم عامّة وفي منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا خاصّة. ولذلك تحرص الإدارة الأمريكيّة على تنفيذ المشروع دون المساس من ثالوث المصالح المقدّس[59](holy trinity of american interests).

---

[54]ماكشيسني، مقدمة كتاب: الربح فوق الشعب، المرجع نفسه، ص: 10

[55] Hassan, George W. Bush, September 11th, p: 240.

[56]لنظريّة الدومينو تأثير قويّ في السياسة الخارجيّة الأمريكيّة في المنطقة. ومدار هذه النظريّة على أنّ ما يجري في بلد عربيّ يمكن أن ينتقل إلى بقيّة البلدان العربيّة نتيجة للتشابه بينها.

[57] Bush, June 5, 2007, op.cit, p: 480.

[58] The National Security Strategy, March 2006, op.cit, p: 6.

[59]Michael Hudson, To Play The hegemon: Fifty Years of US Policy toward the Middle East, Middle East Journal, vol. 50, no. 3, Summer 1996, p: 337.

بيّن مايكل هودسون أنّ هذا الثالوث كان في الحرب الباردة متمثّلا في إسرائيل والنفط ومقاومة الشيوعيّة. ونستعير منه هذا التعبير للدلالة على مصالح الولايات الثابتة في المنطقة بعد الحرب الباردة، وهي: ضمان حقّ الوصول إلى مصادر الطاقة، والحفاظ على التفوّق الأمريكيّ، واحتواء جميع قوى الممانعة العربيّة تحقيقا لجملة من الأهداف أهمّها أمن إسرائيل.

وكانت وسائل تنفيذ المشروع التي وعدت إدارة بوش باستخدامها متنوّعة: سياسيّة واقتصاديّة ودبلوماسيّة، وجمعت بين مأسسة أجندة الحريّة في وزارة الخارجيّة (Department of State) والضغط على الأطراف الخارجيّة ومكافأتها والتعاون معها. ويمكننا توضيح هذه الوسائل من خلال عرض المبادرات التي أطلقتها الولايات المتحدة في إطار مأسسة أجندة الحريّة أوّلا وتوضيح مختلف الأطراف التي استعانت بها متوخّية وسائل مختلفة ثانيا.

لم يكن مشروع الحريّة الأمريكيّ مجرّد شعار أو حلم. فقد أطلقت إدارة بوش بين سنتي 2002 و2008 جملة من المشاريع والقوانين في سعي منها إلى مأسسة هذا المشروع. فقامت بترتيب البيت الداخليّ عبر توسيع "البيروقراطيّة الديمقراطيّة" (democracy bureaucracy) وإحداث تغييرات في صلب وزارة الخارجيّة وخاصّة في مكتب شؤون الشرق الأدنى (Bureau of Near East Affairs). وكان الهدف أن تساعد تلك التغييرات على إطلاق مبادرات تمكّن من مأسسة مشروع الحريّة بنقله من التصوّر إلى القابليّة للإنجاز وتحويل فكرته إلى مبادئ توجيهيّة عمليّة يمكن استخدامها على أرض الميدان. ومكّنها ذلك من ترجمة المشروع إلى جملة من المبادرات تشمل مبادرة الشراكة الشرق الأوسطيّة (MEPI) واتفاقيّات التجارة الحرّة في الشرق الأوسط (MEFTA) ومشروع الشرق الأوسط الكبير وشمال إفريقيا (BMENA) وقانون الديمقراطيّة ADVANCE 2007 (ADV) والتوجيه الرئاسيّ للأمن القوميّ- 58[60](NSPD) .

فقد أعلن كولن باول (Colin Powel) وزير الخارجيّة مشروع شراكة الشرق الأوسط يوم 12 ديسمبر سنة 2002، وبيّن أنّ هدفه هو فتح آفاق طويلة المدى للإصلاح ونشر الديمقراطيّة في بعض الدول العربيّة. وعمل القائمون على هذه المبادرة في السنتين المواليتين مع الحكومات في المنطقة على استثمار الموارد الماليّة في برامج هادفة إلى تشجيع المشاريع الصغرى وتقوية المجتمع المدنيّ وتوسيع المشاركة السياسيّة وتمكين المرأة.

وفي ماي سنة 2003 رُسمت مخطّطات لتأسيس منطقة التجارة الحرّة في الشرق الأوسط خلال عقد من الزمن. وهي تتطلّب انضمام بلدان المنطقة إلى منظّمة التجارة العالميّة والتفاوض حول اتفاقيّات تجاريّة واستثماريّة جديدة ومعاهدات استثمار ثنائيّة واتفاقيّات التجارة الحرّة. ولم تنجح الولايات المتحدة في تنفيذ هذا المشروع في الموعد المحدّد سنة 2013، ولكنّها تمكّنت من عقد اتفاقيّات تجارة حرّة مع بعض البلدان كالمغرب والبحرين وعمان وعقدت 15 اتفاقيّة ثنائيّة للتجارة الحرّة والاستثمار وستّ معاهدات استثمار ثنائيّة مع بعض البلدان وساعدت بلدانا أخرى على الانضمام إلى منظّمة التجارة الحرّة[61].

ومن أجل إشراك الدول الكبرى في تنفيذ الأجندة، أطلقت الولايات المتحدة مشروع الشرق الأوسط وشمال إفريقيا أثناء ترأسها مجموعة الدول الثماني سنة 2004[62]. وكان اسمه الأصليّ "مشروع الشرق الأوسط الكبير"وتمّ تغييره استجابة لاعتراض الحكومات في المنطقة. وفيه طالبت الولايات المتحدة منطقة "الشرق الأوسط الكبير"[63] بالقيام بالإصلاحات التي يمكن أن تمنع وقوع ما يهدّد مصالح الدول الثماني الكبرى. وتفرّعت وثيقة المشروع إلى ثلاثة عناوين كبرى. أمّا العنوان الأوّل فتشجيع الديمقراطيّة والحكم الصالح. وهو يقتضي الالتزام بمبادرة الانتخابات الحرّة والزيارات المتبادلة والتدريب على الصعيد البرلمانيّ ومعاهد تدريب النساء على القيادة ومبادرة وسائل الإعلام المستقلّة والجهود المتعلّقة بالشفافيّة ومكافحة الفساد وتطوير المجتمع المدنيّ. وأمّا

---

[60] Hassan, George W. Bush, September 11th, op.cit, p: 22- 32.

[61] Emiliano Alessandri and others, Democracy Promotion From Bush To Obama, United Kingdom, 2015, in: aei.pitt.edu/64170/1/us_dem_promotion_april15.pdf

[62]ليس هذا المشروع مستقلاً بذاته. إنّه جزء من مشروع أكبر هو مشروع الحريّة الأمريكيّ وإحدى المبادرات التي أطلقتها الولايات المتحدة في إطاره.

[63]يشمل الشرق الأوسط الكبير، في المشروع الأمريكيّ، بلدان المنطقة العربيّة وباكستان وإيران وتركيا وإسرائيل.

الثاني فبناء مجتمع معرفيّ. وهو يتعلّق بمساعدة بلدان المنطقة على الالتزام بمحو الأميّة وإصلاح التعليم ومبادرة التعليم بالإنترنيت وتدريس إدارة الأعمال. وأمّا الثالث فهو توسيع الفرص الاقتصاديّة. ويتمّ ذلك بإطلاق قدرات القطاع الخاصّ في المنطقة والتشجيع على الانضمام إلى منظّمة التجارة العالميّة وتسهيل التجارة وإنشاء مناطق تجاريّة ومناطق رعاية الأعمال ومنبر الفرص الاقتصاديّة. وتمخّض مشروع الشرق الأوسط الكبير ميدانيّا عن برامج تعدّديّة أبرزها منتدى المستقبل(Forum for the Future) ومؤسّسة المستقبل[64](Foundation for Future).

ونظّمت الولايات المتحدة سياسات الحريّة في مبادرتين قانونيّتين. كانت الأولى في 3 أوت سنة 2007 عند تمرير قانون الديمقراطيّة ADVANCE الذي أقرّ بأنّ دعم الديمقراطيّة وحقوق الإنسان سيصبح مكوّنا أساسيّا من مكوّنات السياسة الخارجيّة الأمريكيّة. وصدرت في ضوئه تعليمات لرؤساء البعثات في البلدان غير الديمقراطيّة بتطوير إستراتيجيّات هادفة إلى تشجيع القيم والممارسات الديمقراطيّة ومساعدة المنظّمات غير الحكوميّة والأفراد المدافعين عن الديمقراطيّة. وصدرت كذلك أوامر بإدانة انتهاكات حقوق الإنسان في البلدان المعنيّة.

وكانت الثانية في 17 جويلية سنة 2008 وهي التوجيه الرئاسيّ للأمن القوميّ 58. وهو وثيقة أكّدت عزم الولايات المتحدة على التقدّم في تنفيذ أجندة الحريّة عن طريق تقديم مساعدات لتشجيع الديمقراطيّة والحكم الرشيد وتشجيع الاستثمار والتجارة الحرّة وقيادة الجهود الرامية إلى مقاومة المجاعة والأمراض والدفاع عن حقوق الإنسان.

ولئن تعهّدت الولايات المتحدة في هذه المبادرات بالمجالات السياسيّة تشجيعا للديمقراطيّة والاجتماعيّة تمكينا للمرأة والتربويّة إصلاحا للتعليم ومحوا للأميّة، فقد ركّزت فيها على الجانب الاقتصاديّ أكثر من غيره. ويظهر ذلك في تشجيع بلدان المنطقة على تبنّي قواعد التجارة الحرّة والأسواق الحرّة. ومردّ ذلك إلى أنّ إدارة بوش تعتمد نظريّة في الدمقرطة مفادها أنّ قواعد التجارة الحرّة والأسواق المفتوحة اقتصاديّة وسياسيّة في الوقت نفسه.

وأعلنت إدارة بوش في وثائقها الرسميّة أنّها تعتمد على أطراف متعدّدة في تنفيذ مشروع الحريّة في بعديه الاقتصاديّ والسياسيّ. وهي تشمل الحكومات القائمة في المنطقة والدول الديمقراطيّة خارجها والمؤسّسات الدوليّة والمنظّمات غير الحكوميّة وممثّلي المجتمع المدنيّ والإصلاحيّين الديمقراطيّين والمنشقّين عن دولهم والمدافعين عن الحريّة في المنطقة.

أمّا الحكومات القائمة فقد مارست تجاهها وسيلتين لتنفيذ الهدف السياسيّ من المشروع. فاعتمدت الضغط ضدّ الدول التي تنتهك حقوق الإنسان. ويتمثّل أبرز وسائله في تسليط عقوبات اقتصاديّة على الأنظمة المستبدّة والتنديد بسلوك الحكومات التي تنتهك حقوق الإنسان ومتطلّبات الكرامة الإنسانيّة في المؤسّسات الدوليّة. وبرّر الرئيس بوش الضغط على بعض الدول كمصر والمملكة العربيّة السعوديّة وباكستان بأنّ علاقة الولايات المتحدة بها عميقة وقادرة على الصمود رغم الضغط عليها. يقول: "يمكن لأمريكا الحفاظ على صداقتنا مع الدولة وحثّها على الديمقراطيّة في الوقت نفسه"[65].

واعتمدت الولايات المتحدة المكافأة تجاه الدول التي اعتبرتها في مرحلة انتقال ديمقراطيّ. ورد في تقرير الأمن القوميّ لسنة 2006 ما يلي: "إنّ التزامنا بتشجيع الحريّة هو التزام بالسير جنبا إلى جنب مع الحكومات وشعوبها طالما أنّها تنتقل ذاك الانتقال الصعب إلى ديمقراطيّات فعّالة. ولن

---

[64]منتدى المستقبل هو ملتقى سنويّ لمجموعة من الحكومات ورجال الأعمال وممثّلي المجتمع المدنيّ في الدول الثماني والشرق الأوسط وشمال إفريقيا لمناقشة إجراءات الإصلاح. وتهدف مؤسّسة المستقبل إلى الإسهام بموارد ماليّة دوليّة وتوزيعها على المنظّمات غير الحكوميّة في المنطقة لمساعدة المجتمع على تعزيز سيادة القانون وحماية الحريّات المدنيّة وضمان فرص كبرى في مجالي الصحّة والتعليم.

[65] Bush, June 5, 2007, p: 483.

نتخلّى عنها قبل ضمان الانتقال"[66]. ويتمّ تشجيع هذه الحكومات التي تنتقل إلى الديمقراطيّة بتقديم مساعدات خارجيّة لأنّ الولايات المتحدة قرّرت منذ سنة 2002 أن تعتبر الحريّة وتنمية المؤسّسات الديمقراطيّة مسائل أساسيّة في علاقاتها الثنائيّة[67].وتشمل هذه المساعدات دعم الانتخابات الحرّة والنزيهة وسيادة القانون والمجتمع المدنيّ وحقوق الإنسان وحقوق المرأة وحريّة الإعلام والحريّة الدينيّة من جهة وتدريب الجيوش ومساعدتها على الانتظام المدنيّ واحترام حقوق الإنسان في مجتمع ديمقراطيّ من جهة أخرى[68].

وعوّلت الولايات المتحدة على اتفاقيّات التجارة الحرّة (FTA) في تحقيق الهدف الاقتصاديّ من مشروعها. وشجّعت المبادرة العالميّة عن طريق المفاوضات التجاريّة العالميّة التي أطلقتها في الدوحة في نوفمبر سنة 2001. وهي مفاوضات هادفة إلى فتح الأسواق وإدماج الاقتصاد العالميّ. ووعدت الولايات المتحدة في سنة 2006 بأنّها ستسعى إلى استكمال مفاوضات أجندة التنمية بالدوحة وبالمساهمة في "تقدّم اتفاقيّات التجارة الحرّة في الشرق الأوسط عبر استكمال اتفاقيّات التجارة الحرّة مع البحرين وعمان والإمارات العربيّة المتحدة وعبر مبادرات أخرى لتوسيع التجارة الحرّة مع بقيّة البلدان في المنطقة"[69].

وأمّا الدول الديمقراطيّة التي عوّلت عليها الولايات المتحدة فقد أسندت إليها دور المساعد على تنفيذ المشروع. فقد ذكر تقرير الأمن القوميّ لسنة 2006 أنّ وسائل إنهاء الاستبداد وتشجيع الديمقراطيّة ستشمل التعاون مع بقيّة الدول الديمقراطيّة للمساهمة في تقدّم الحريّة والديمقراطيّة وحقوق الإنسان. وورد فيه أنّ الولايات المتحدة "ستقود بقيّة الدول وتدعوها إلى الانضمام إليها في جهد دوليّ مشترك. على كلّ الأمم الحرّة مسؤوليّة الوقوف معا من أجل الحريّة لأنّ كلّ الأمم الحرّة تتقاسم مصلحة في المساهمة في تقدّم الحريّة"[70]. فباسم المصالح المشتركة بين الدول الديمقراطيّة والأمم الحرّة أوكلت الولايات المتحدة لنفسها دور القائد الحريص على السلام العالميّ من خلال تنفيذ مشروع الحريّة وطالبت بقيّة الدول بقبول هذا الدور من خلال المساهمة في تنفيذه بمشاركة القائد في عدم مساندة الأنظمة المستبدّة وتشجيع الدول الرامية إلى الإصلاح السياسيّ.

وأمّا المؤسّسات الدوليّة فقد أوكلت لها إدارة بوش دور المساعد كذلك. فقد عوّلت على دور الأمم المتحدة في الالتزام بتعهّداتها الديمقراطيّة ووعدت بدعم مبادرتها بإدانة انتهاكات الحريّات وحقوق الإنسان. ولعبت منظّمة التجارة العالميّة دورا كبيرا في تنفيذ الهدف الاقتصاديّ عن طريق فتح الأسواق وإدماج البلدان النامية في الاقتصاد العالميّ[71].

وأمّا المنظّمات غير الحكوميّة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا فقد وعد تقرير الأمن القوميّ لسنة 2006 بـ"التعاون الخلاّق" معها ومع بقيّة ممثّلي المجتمع المدنيّ من أجل دعم عملهم وتقويته. وبدا تعويل الرئيس بوش على اللقاء المباشر وعالي المستوى مع من أسماهم "المنشقّين والنشطاء الديمقراطيّين" كبيرا. فهو يؤمن بأنّ إنهاء الاستبداد يتطلّب قيام "قوى الوعي" (forces of conscience) بدورها في تحطيم المجتمعات القمعيّة من الداخل[72]. ولذلك كان يحرص على الالتقاء ببعض المنشقّين من إيران وسوريا[73]. ويذكر في هذا السياق أبرز المنشقّين السوريّين، وهو مأمون الحمصي الذي كان عضوا مستقلاّ في البرلمان السوريّ ثمّ فقد عضويّته وجُرّد من حقوقه المدنيّة بسبب مواقفه السياسيّة وأودع السجن خمس سنوات. ويبرّر الرئيس بوش لقاءاته المباشرة

---

[66] The National Security Strategy, March 2006 , op.cit, p: 7.
[67] The National Security Strategy, September 2002, op.cit, p: 4.
[68] The National Security Strategy, March 2006, op.cit, p: 6.
[69] Ibid, p: 28.
[70] Ibid, p: 7.
[71] Ibid, pp: 25- 28.
[72] Bush, June 5, 2007, op.cit, p: 480.
[73] كان يلتقي بمنشقّين آخرين من خارج منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مثل الصين وبورما وكوبا وكوريا الشماليّة وزمبابوي.

بالمنشـقّين بقوله: "في عيون أمريكا المنشـقّون الديمقراطيّون اليوم هم قادة الغد الديمقراطيّون. ولذا اتخذنا خطوات جديدة لتعزيز مساعداتنا. أنشأنا أخيرا صندوقا للدفاع عن حقوق الإنسان (Human Rights Defender Fund) وهو يضمن دفاعا عادلا ونفقات علاجيّة لفائدة النشطاء الذين أوقفتهم الحكومات القمعيّة أو سحقتهم"[74].

وهكذا يتّضـح أنّ إدارة بوش حرصـت على تنفيذ مشـروع الحريّة بوسـائل متعدّدة. وتطلّب منها ذلك الاعتماد على أطراف مختلفة وتوفير اعتمادات ماليّة كبيرة لتنفيذ مبادراتها[75].

ب- مدى نجاعة الوسائل

رغم كلّ الجهود التي بذلتها الولايات المتحدة وتعدّد المبادرات التي أطلقتها في إطار مشـروع الحريّة فإنّ أيّا من دول منطقة الشـرق الأوسـط وشـمال إفريقيا لم تشـهد انتقالا ديمقراطيّا حقيقيّا في الفترة الممتدّة بين سـنتي 2002 و2008. ويعود ذلك إلى عدّة أسـباب. فالمبادرات نفسـها كانت عائقا أمام تحويل المنطقة إلى مجموعة من الديمقراطيّات الحقيقيّة. وقد يرجع السـبب إلى تجاهل أحد أبرز العوامل التي يراها بعض النقّاد والمختصّين العرب سببا أساسيّا لتردّي الأوضاع العربيّة. وهو وجود إسـرائيل في قلب المنطقة. فلئن بدا الرئيس بوش حريصـا على الموضـوعيّة والتحصّـن ضـدّ المصـلحة وهو يعلن مشـروع الشـرق الأوسـط الكبير، فقد تجاهل هذا العامل رغم اسـتعانته في مراجعة مسـودّة المشـروع بتقريري التنمية البشـريّة العربيّة لسـنتي 2002 و2003[76] اللذين ركّزا على هذا العامل واعتبراه عاملا أساسـيّا لفشـل جهود الإصـلاح والتنمية في المنطقة[77]. وهو ما يحدثه الصراع الفلسطينيّ الإسرائيليّ من تأثير سلبيّ في جهود التنمية والإصلاح العربيّين.

وبتجاهل هذا العامل تكون المبادرات نفسها معرقلا لجهود الإصلاحيّين في المنطقة. وتعتبر هذه المبادرات معرقلا كذلك لأنّها تتعارض مع منطق الإصـلاح الذي ينبغي أن يكون نابعا من الداخل وغير مفروض من الخارج. فهي بذلك تثقل كاهل من يريدون الإصـلاح بعبء آخر تضـيفه إلى عبء الاسـتبداد الداخليّ. وقد بيّن رضـوان السـيّد أنّ مطالبة الولايات المتحدة بإصـلاح التعليم الدينيّ الإسـلاميّ قد ضـاعفت من محنة الإصـلاحيّين في المنطقة ووفّرت للأصـوليّين الذين لم يتخرّجوا من المدارس والجامعات الدينيّة الإسـلاميّة حجّة لاتهام الإصـلاحيّين بمجاراة الأمريكيّين في تشويه الإسلام[78].

إنّ هذه المبادرات ولاسيّما مشروع الشرق الأوسط الكبير وضعت دول المنطقة أمام اختيار صعب بين مبدأي السيادة والحقّ في تقرير المصير من جهة، والرضوخ للإرادة الأمريكيّة من جهة أخرى. ولذلك تراوحت ردودها بين رفض المشـروع الأمريكيّ والقيام ببعض الإصـلاحات[79]. غير أنّ ما قامت به من إصـلاحات لا يمكن اعتباره مظهرا من مظاهر نجاح المشـروع الأمريكيّ لأنّه لا يتجاوز بعض الإصـلاحات الشـكليّة مثل تعديل بعض مواد الدسـاتير وإجراء انتخابات وتوسـيع

---

[74] Bush, June 5, 2007, op.cit, p: 481.

[75] Alessandri and others, Democracy Promotion, op.cit.

[76] الصندوق العربيّ للتنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية، تقرير حول التنمية البشريّة العربيّة، 2002 و2003، www.undp.org وهما تقريران أعدّهما مجموعة من المتخصّصين العرب وشخّصوا فيهما مظاهر الأزمة العربيّة وما يعانيه المواطن العربيّ من نقص في الحريّات في مجالات الحريّة السياسيّة وبناء المجتمع المعرفيّ وتوسيع الفرص الاقتصاديّة وإعطاء مجال أوسع للمرأة.

[77] استنكر نادر فرغاني رئيس تحرير تقرير التنمية البشريّة العربيّة وضع واشنطن يدها على التقرير وتعميمها معطيات عربيّة على منطقة واسعة دون الاهتمام بخصوصيّات الدول المعنيّة، عبد القادر رزيق المخادمي، مشروع الشرق الأوسط الكبير: الحقائق والأهداف والتداعيات، ط 1، الدار العربيّة للعلوم، بيروت، 2005، ص:70.

[78] رضوان السيد، الصراع على الإسلام: الأصوليّة والإصلاح والسياسات الدوليّة، ط 1، دار الكتاب العربيّ، بيروت، 2004،ص ص: 27-28.

[79] خصّص عبد القادر رزيق المخادميّ لتوضيح تداعيات المشروع على الأنظمة العربيّة وما قامت به من إصلاحات تبعا لذلك فصلا من كتابه: مشروع الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص ص: 83- 102.

مشـــاركة المرأة. وقد يعود ذلك إلى تناقض المشـــروع الأمريكيّ نفســـه فهو يعد بتوســـيع الحريّة والديمقراطيّة من جهة ويعوّل على حكومات يعتبرها استبداديّة من جهة أخرى.

وكانت التجربة الميدانيّة في العراق أنموذجا لعدم نجاعة وسـائل تنفيذ مشـروع الحريّة. فقد تمّ إسقاط النظام بالقوّة الخارجيّة وتصدير الحريّة إلى هذا البلد عن طريق القوّة الخارجيّة. وكشفت هذه التجربة التناقض في سـلوك الولايات المتحدة بين بلاغيّات نشـر الحريّة وتشـجيعها في منطقة الشـرق الأوسـط وشـمال إفريقيا واسـتخدام السـجون للتعذيب وانتهاك كرامة السـجناء في سـجن أبي غريب. وفي ذلك تعارض مع مبدأ الحريّة الذي يتنافى مع الإكراه والتعذيب وانتهاكات حقوق الإنسـان. وكانت تجربة العراق مدعاة لمطالبة بعض الدارسـين الإدارة الأمريكيّة إلى ضـرورة فكّ الارتباط بين احتلال العراق وأنشطة تشجيع الديمقراطيّة[80].

وكان الفشـــل من الدوافع التي دعت بعض الدارســـين الآخرين إلى انتقاد "الديمقراطيّة الكاذبة" التي صـــدّرتها الولايات المتحدة إلى العراق ودعوتها إلى اســـتخدام وســـائل بديلة. فاقترح بعضهم تشجيع قوى اجتماعيّة محليّة قادرة على تحريك الشأن السياسيّ المحليّ وهو ما يساعد على إنشـاء قوّة الشـعب على الميدان (people power) ونصـح آخرون بإدماج قوى الإسـلام السـياسـيّ "المعتدلة والمسالمة" في العمليّة السياسيّة نتيجة لثقلها الجماهيريّ[81].

ولم يكن التناقض منحصـــرا في تجربة العراق وحدها. ففي التجربة الأمريكيّة في المنطقة عامّة تناقض آخر بين غزو العراق باسم تشجيع الديمقراطيّة والإصلاح السياسيّ من جهة والحفاظ على علاقات صـداقة مع أنظمة تعدّها مسـتبدّة في بلدان أخرى كالمملكة العربيّة السـعوديّة ومصـر وتونس والجزائر من جهة أخرى. فكيف يمكن للولايات المتحدة اعتبار بعض الحكومات مســـتبدّة ومطالبتها بالإصـلاح في الوقت نفسـه؟ وهل يمكن أن يتولّد الإصـلاح من رحم الاسـتبداد فعلا أم أنّ الاستبداد إذا ترسّخ طيلة عقود من الزمن تحوّل إلى عائق بنيويّ يحول دون الإصلاح؟

إنّ مواطن التناقض في مشـروع الحريّة الأمريكيّ وفشـله الميدانيّ يثيران عدّة أسـئلة: هل يعود التناقض والفشـل إلى عدم وضـوح الرؤية الأمريكيّة وغياب الوجهة الإسـتراتيجيّة الثابتة أم أنّ مشـروع الحريّة لا يعدو أن يكون غطاء زائفا يحاول إخفاء هدف آخر يتمثّل في الهيمنة الحضـاريّة على المنطقة وعلى العالم تحت شـــعارات الحريّة والديمقراطيّة وحقوق الإنســـان؟[82] وهل تخرج محاولات السـيطرة على المنطقة العربيّة باسـم الحريّة عن التقليد الأمريكيّ في غزو الدول باسـم الديمقراطيّة؟[83] وهل يمكن فعلا تصـدير الحريّة والديمقراطيّة أم أنّهما لا تُكتسـبان إلاّ نتيجة مخاض داخليّ عسـير ومسـارات محليّة معقّدة؟ وهل أرادت الولايات المتّحدة دمقرطة المنطقة فعلا أم هدفها الأساسيّ عولمة اقتصاد السوق وما الديمقراطيّة سوى قفّاز ناعم يخفي حقيقة قبضته الحديديّة؟

---

[80] Jennifer Windsor, Advancing the Freedom Agenda: Time for Recalibration, The Washington Quarterly, Summer 2006, p: 29.

[81] Eva Bellin, Democratization and Its Discontents: Should America Push Political Reform in The Middle East?, Foreign Affairs, July/ August, 2008, pp: 112- 119.

[82] بيّن جيمس كورث (James Kurth) أنّ الولايات المتحدة أصبحت منذ ثمانينات القرن العشرين مهيمنا حضاريّا باسم تصوّر جديد للحضارة الكوكبيّة قائم على مقولة حقوق الإنسان، جيمس كورث، الولايات المتحدة بوصفها قائدا حضاريّا، ضمن:بيتر جي كاتزنشتاين، الحضارات في السياسات العالميّة: وجهات نظر جمعيّة تعدّديّة، ترجمة فاضل جتكر، سلسلة عالم المعرفة، 385، الكويت، 2012.

[83] غزا الرؤساء الأمريكيّون الدول باسم الديمقراطيّة مثل غزو ريغان غرينادا وغزو بوش الأب بنما وغزو بيل كلينتون (Bill Clinton) هاييتي.

الخاتمة

حاولنا البحث في مشـــروع الحريّة الأمريكيّ الذي أطلقته الولايات المتحدة في الشـــرق الأوسـط وشـمال إفريقيا بعد الحادي عشـر من سـبتمبر، وتوصّـلنا إلى النتائج التالية حول المشـروع وأهدافه ووسائله:

1. يعتبر مشروع الحريّة الأمريكيّ، من حيث المبدأ، ترجمة لإستراتيجيّة كبرى ليبراليّة قائمة على فكرة أساسيّة مفادها أنّ انتشار الحريّة والديمقراطيّة في المنطقة يساهم في إقرار السلام العالميّ ويتيح للولايات المتحدة ضمان مصالحها. وجمع المشروع بين وجه اقتصاديّ وآخر سياسيّ، فكان مشروع دمقرطة من جهة ومشروع عولمة لاقتصاد السوق من جهة أخرى. بيد أنّ بعض الوثائق الرسميّة أعلنت أنّه جزء من الحرب على الإرهاب عامّة ومن حرب الأفكار خاصّة. وهو ما يتعارض مع اعتباره إستراتيجيّة كبرى، فلا يمكن أن تكون الإستراتيجيّة الكبرى جزءا من الحرب. وربّما لذلك دعا بعض الدارسين إدارة بوش إلى فكّ الارتباط بين المشروع والحرب على العراق، وانتقد جون إيكنبيري منظّر الإستراتيجيّة الكبرى الليبراليّة نفسه فشل إدارة بوش فشلا إستراتيجيّا كبيرا ونصح الإدارة اللاحقة بعد سنة 2008 بالعودة إلى زمن ما قبل بوش لبناء النظام الليبراليّ العالميّ.
2. تمثّل هدف المشروع الذي أعلنته إدارة بوش في السعي إلى إنهاء الاستبداد في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وتحويل بلدانهما إلى ديمقراطيّات فعّالة تساهم في استقرار العالم وسلامه وتندمج اندماجا كاملا في السوق العالميّة المفتوحة. ولكن رغم الانسجام الظاهر والوضوح الأخلاقيّ الذي كانت تعلنهما، وهي تفصح عن أهداف المشروع في وثائقها الرسميّة، فقد تكتّمت عن انقسامها حول المشروع وأهدافه وجدواه. وبيّنت التجربة الميدانيّة في المنطقة بين السنتين 2002 و2008 أنّ القائمين على المشروع لم يحقّقوا إنجازات مهمّة على أرض الواقع ولم ينجحوا في إحداث انتقال ديمقراطيّ فعليّ في أيّ من البلدان العربيّة أو البلدان ذات الأغلبيّة المسلمة. وكانت المسارعة بفرض النموذج النيوليبراليّ في العراق في زمن غير ملائم دليلا على أنّ الهدف الاقتصاديّ أولى من الهدف السياسيّ في الإستراتيجيّة الأمريكيّة. وهو ما يثير الشكوك حول نوايا الولايات المتحدة ومدى قدرتها على إقرار السلام العالميّ عبر عولمة اقتصاد السوق.
3. نفّذت إدارة بوش المشروع عن طريق تنظيم البيت الداخليّ وترتيبه عبر إحداث تغييرات في مكتب الشرق الأدنى بوزارة الخارجيّة. وأطلقت عدّة مبادرات تضمّنت إجراءات عمليّة تساعد على التنفيذ. وعوّلت على أطراف خارجيّة بعضها ينتمي إلى المنطقة والآخر من خارجها. وعكست جهودها العمليّة حرصا على إنجاح مشروعها بشتّى الوسائل. غير أنّ التجربة الميدانيّة بيّنت أنّ المشروع الأمريكيّ نفسه كان، بعرقلته جهود الإصلاحيّين في المنطقة، عائقا حال دون تحقيق الأهداف التي كان يرمي إليها. فتمخّض عن إصلاحات شكليّة وديمقراطيّات زائفة، وأثار شكوكا حول مدى نجاعة الوسائل المستخدمة ولا سيّما وسيلة إسقاط النظام الاستبداديّ بالقوّة الخارجيّة كما حصل في العراق. وهو ما دفع بعض ناصحي إدارة بوش إلى دعوتها إلى تنفيذ المشروع بوسائل بديلة كاستبدال القوّة الخارجيّة في إسقاط الأنظمة بقوّة الشعب في الميدان والتعويل على حركات الإسلام السياسيّ التي تعتبرها معتدلة ومسالمة.

المصادر

United States Department of State, National Strategy for Combating Terrorism, September 2006, in: https://fas.org/irp/threat/nsct2006.pdf

White House, Selected Speeches of President George W. Bush: 2001- 2008, in: https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/.../bushrecord/.../Selected_Speeches_Geor...

White House, The National Security Strategy of The United States of America, Washington, September 17,2002, in: www..state.gov/documents/organization/63562.pdf

White House, The National Security Strategy of The United States of America, Washington, March 2006, in: https://www.comw.org/qdr/fulltext/nss2006.pdf

المراجع العربيّة والمعرّبة

تشـومسـكي (نعام)، الربح فوق الشـعب: الليبراليّة الجديدة والنظام العولميّ، ترجمة مازن الحسـيني، ط 1، دار التنوير للترجمة والطباعة والنشر، رام الله،2000.

السيد (رضوان)، الصراع على الإسلام: الأصوليّة والإصلاح والسياسات الدوليّة، ط 1، دار الكتاب العربيّ، بيروت، 2004.

شيفر(أولريش)، انهيار الرأسماليّة: أسباب إخفاق اقتصاد السوق المحرّرة من القيود، ترجمة عدنان عبّاس علي، سلسلة عالم المعرفة، 371، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2010.

غليون (برهان)، الإستراتيجيّة الأمريكيّة الجديدة في الشرق الأوسط، الجزيرة.نت، الأحد 2004/10/3.

كاتزنشتاين (بيتر جي)، الحضارات في السياسة العالميّة: وجهات نظر جمعيّة تعدّديّة، ترجمة فاضل جتكر، سلسلة عالم المعرفة، 385، الكويت، 2012.

المخادمي (عبد القادر رزيق)، مشروع الشرق الأوسط الكبير: الحقائق والأهداف والتداعيات، ط 1، الدار العربيّة للعلوم، بيروت، 2005.

المراجع الأجنبيّة

Alessandri (Emiliano) and others, Democracy Promotion From Bush To Obama, United Kingdom, 2015, in: aei.pitt.edu/64170/1/us_dem_promotion_april15.pdf

Bellin (Eva), Democratization and Its Discontents: Should America Push Political Reform in The Middle East?, Foreign Affairs, July/ August, 2008, pp: 112- 119.

Campbell (David), Politics Without Principle: Sovereignty, Ethics and The Narratives of The Gulf War, Laynne Rienner Publishers, The United States of America and The United Kingdom, 1993.

Dalby (Simon), Calling 9/11 : Geopolitics, Security and America's New War, Geopolitics, vol. 1, no. 3, 2003, pp: 61- 86.

Hassan (Osman Ali), George W. Bush, September 11th and the Rise of the Freedom Agenda in US- Middle East Relations: A Constructivist Institutionalist Approach, The University of Birmingham, August 2009, in: etheses.bham.ac.uk/399/1/hassan09phd.pdf.

Hudson (Michael), To Play The Hegemon: Fifty Years of US Policy toward the Middle East, Middle East Journal, vol. 50, no. 3, Summer 1996, p: 329- 343.

Ikenberry (John),

America's Liberal Grand Strategy : Democracy and National Security in the Post Cold War Era, in: Michael Cox and Others, American Democracy Promotion: Impulses, Strategies and Impacts, Oxford University Press, New York, 2000.

Grand Strategy as Liberal Order Building, in: Barry Eichengreen and Others, To Lead the World: American Strategy after The Bush Doctrine, ed. 1, Oxford University Press, 2008.

Layne (Christofer),From Preponderance to Offshore Balancing, International Security, vol. 22, no. 1, pp: 86- 124.

Neep (Daniel), Dilemmas of Democratization in The Middle East: The "Forward Strategy of Freedom", Middle East Policy, vol. xi, no. 3, 2004, pp: 73- 84.

Windsor(Jennifer), Advancing the Freedom Agenda: Time for Recalibration, The Washington Quarterly, Summer 2006, p: 21-34.

أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 8، العدد 27 (2017). ص ص 79-88

مدخل عملي في منهجية تربية الأبناء والبنات على ضوء نظرة تحليلية لقصة نبي الله موسى والنبي شعيب وبناته عليهم السلام

آمنة عمر بن حميدة
عزة أبوغرسة(*)

الملخص: تعتبر قصص القرآن من أهم المراجع التي نحتاجها في مختلف جوانب الحياة وخصوصاً تلك التي تشمل التحدي الأصعب المتمثل في تربية النشء. هذا الواجب التربوي يزداد صعوبة مع تواجد العديد من المعوقات والتحديات في المجتمع التي تتطلب رقابة أكثر من قبل الأهل. من المعروف أن سن المراهقة يعتبر مرحلة صعبة في تربية الأبناء والبنات على حد سواء. ومن المعروف أن البنات على وجه الخصوص يمتلكن مخزون فائض من العواطف والمشاعر ولذلك هن بحاجة الى توجيه هذه العواطف في الاتجاه الصحيح. ولكي يقمن بهذا الأمر هن بحاجة الى حضن دافئ يغدق عليهن بالحب والحنان حتى يكسب ثقتهن ويجعلهن يصرحن بمشاعرهن. بطبيعة الحال لن تجد الفتاة حضن ادفئ من حضن الأسرة. ولذلك وجب على الوالدين كسب ثقة بناتهم كخطوة أولى في الدخول الى عالمهن وحمايتهن. قصة سيدنا موسى عليه السلام مع بنات سيدنا شعيب تعطينا معلومات قيمة حول كيفية تكوين ثقة متبادلة بين الآباء والبنات وكيف يتم تربيتهن على الصدق والإخلاص وتجنب أساليب التحايل والكذب على الأهل.

الكلمات المفتاحية: موسى، شعيب، الاختلاط بين الجنسين، التربية.

A Practical Approach in the Strategy of Raising Sons and Daughters in Light of an Analytical Review of the Story of Prophet Moses and the Daughters of Prophet Shoayeb

Amna Ben Hameda
Azza Abugharsa, PhD.

Abstract: Stories in Quran are considered one of the best sources of information that we need in all aspects of our life including the mostly challenging duty of raising youngsters. Such duty is getting harder to fulfill due to many obstacles and challenges in the society which require extra supervision in parenting. It is well-known that adolescence age is considered a hard period in raising both sons and daughters. It is also common sense that girls in particular an extra amount of emotions and feelings that need to be directed correctly. Daughter need a warm cuddling environment in which love and tenderness exist in order to gain their trust and make them willing to express their feelings openly. Naturally, the girl's family is the warmest environment for her. As a result, parents are supposed to gain their daughters' trust as a first step to get into their world and protect them. The story of Prophet Moses and daughters of Prophet Shoayeb provides rich insights into how to build trust between parents and their daughters and how to raise daughters on honesty and sincerity and how to teach them never resort to trickery and lying to their parents.

Keywords: Moses, Shoayeb, gender integration, upraising.

(*) بوكاتيلو، ايداهو، bushaali2@gmail.com

مقدمة البحث:

الأسرة هي نواة المجتمع وعليه فإن تربية الأبناء تربية صحيحة على أسس شرعية سليمة من شأنها أن تسهم في بناء المجتمع وتجعله يرتقى على قواعد صحيحة. ويوضح طلال (2017) هذا الأمر في مقاله عن كيفية تربية الأبناء في الإسلام حيث يقول أن الإسلام عنى "بالفرد والأسرة عناية خاصة وجعلها الركيزة الأولى التي تقوم عليها الأمم والممالك، وبها أيضاً تفسد وتخرب." ومن هنا نرى أن أول مرحلة في إعداد الفرد لخوض معترك الحياة تبدأ من الأسرة. ولا يخفينا أن التربية في الوقت الحالي تواجهها تحديات قد لم تكن موجودة في السابق، وهذا ما يؤكده الدكتور محمد راتب النابلسي (2002) الذي يرى أن تربية النشئ في وقتنا المعاصر يجب أن تتضاعف وذلك لكثرة المعوقات التي تتمثل في عدة صور مثل ما تعرضه القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي.

وبما أن سن المراهقة تشكل أكثر مراحل التربية ارهاقاً لأولياء الأمور والأبناء كذلك فإن التربية في هذه السن وفي هذا العصر تتطلب حرصاً شديداً من جهة الأهل لأن المراهق يتصف بالعناد بشكل عام خاصة مع الأهل. ومن هنا كانت أفضل وسيلة لتربية الأبناء هي عبر مصاحبتهم ومعاملتهم باللين واللطف والعمل على تقوية الروابط معهم وتكوين علاقة مبنية على المحبة والثقة المتبادلة بين الطرفين. يرى حامد (2011) أن التلطف في توجيه الأبناء أمر ضروري حتى لا يحدث نفور من طرف الأبناء الذين يحتاجون الى فيض من العطف الحنان الأسري خاصة في مرحلة المراهقة. ومن المعروف أن البنات على وجه الخصوص بحاجة الى فيض عاطفي كبير حتى ينشأن على حب الاسرة ويتربين على الصراحة الصدق مع الوالدين. ومن هنا فإنه أضحى من المهم أن يعمل الأهل على كسب ثقة بناتهم وخاصة في مرحلة النضج (مصطفى، 2015) لكيلا تجد نفسها بعيدة عن أهلها، الأمر الذي قد ينتج عنه ما لا يحمد عقباه. وبما أن ديننا الحنيف يزخر بالكثير من العبر التي تصلح لكل زمان ومكان فإنه من المهم أن تتم تربية الأبناء على ضوء قصص القرآن التي وضعها الله سبحانه وتعالى لنأخذ منها العبر والعظات في كل جوانب حياتنا. يستعرض هذا البحث شرحاً تفصيلياً حول أهمية تربية الأبناء والبنات على أسس صحيحة مبنية على تقوى الله والحفاظ على ثقة الآباء. تأمل الباحثتين من خلا هذا البحث أن تقدما منهجاً عملياً في كيفية تربية البنات والأولاد عن طريق تطبيق الدروس المستفادة من قصة النبي موسى وبنات شعيب كما ورد ذكرها في القرآن الكريم.

أهمية البحث:

1- يركز هذا البحث على الدروس التي يمكن استنباطها من قصة النبي موسى عليه السلام وبنات النبي شعيب وكيفية الاستفادة من هذه الدروس في تربية الأبناء والبنات.
2- هذه الدراسة تشرح أهمية التقرب من الله في القول والعمل وتذكر رقابته علينا في كل تصرفاتنا.
3- توضح هذه الدراسة أن اكتساب ثقة البنات لا تتأتى الا بإعطائهن الحب والحنان وتوفير الجو الذي يسوده الدفيء الأسري.
4- هذا البحث يوجه عناية القارئ أن مشاعر الحب ليست حرام في حد ذاتها، ولكن طريقة التعبير عنها قد لا تكون صحيحة. وهنا تأتي أهمية كسب ثقة البنات من قبل الأهل حتى لا تضطر البنت للبحث خارج الأسرة عمن تأمنه على مشاعرها.

الدراسات السابقة:

تطرقت الدراسات السابقة الى تحليل الآيات من سورة القصص التي تتكلم على قصة سيدنا موسى عليه السلام وبنات شعيب بالتركيز على الشخصيات ومكان الأحداث. كما تناولت هذه الدراسات تحليل تصرفات بنات شعيب وحسن تربيتهن واجتنابهن لمواطن الشبهات.

بالإضافة الى ذلك، اشتملت الدراسات السابقة على شرح أهمية الدعاء عند الكرب وحسن الظن بالله والتوكل عليه، وأهمية مساعدة الضعفاء دون انتظار المقابل. وأخيراً اشتملت الدراسات السابقة شرح أهمية التزام البنات بالحياء والعفة والحشمة إن أردن فرجاً من الله سبحانه وتعالى.

منهج البحث:

استندنا في هذا البحث على تفسير قصة سيدنا موسى عليه السلام مع سيدنا شعيب وبناته. كما استخدمنا خلاصة ما تعلمناه من قراءات تتعلق بأساليب التربية الحديثة وطرق التعامل مع الأبناء والبنات في سن المراهقة وكيفية احتوائهم بمحبة وعطف من أجل كسب ثقتهم وخلق جو أسري مبني على التقوى وطاعة الله والبر بالوالدين والعطف على الأبناء.

تم تلخيص الدروس المستفادة من هذه القصة في عدة نقاط هي نتاج بحث وتمحيص لما وصلت إليه الدراسات السابقة حول هذا الموضوع. بالإضافة الى ذلك، استفدنا من تجربتنا كأمهات في اثراء البحث وايضاً في الاستفادة منه في تربية أبنائنا وبناتنا.

المبحث الأول: نظرة عامة حول مفهوم التربية:

تربية الأبناء والبنات كانت وما تزال من أهم التحديات التي تواجه أولياء الأمور وخاصة في ظل الأحداث التي يمر بها العالم في الوقت الراهن، وما ينتج عنها من انتشار المفاسد والفتن التي من شأنها أن تجعل الأجيال الصاعدة عرضة للانحلال والضياع. لا شك أن الذرية رزق من أرزاق الله سبحانه وتعالى، وهي نعمة وجب الحمد والثناء والمحافظة عليها، وقد اقترن وصف هذه النعمة في القرآن الكريم بصفة التبشير؛ لما لها من أثر إيجابي كبير في نفوس الوالدين فقال تعالى (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوب)[1]. بل أن البشرى شملت الإناث أيضاً حيث قال تعالى في سورة النحل (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ)[2].

ومن هنا نرى أن الذرية في حد ذاتها رزق ونعمة من الله سبحانه وتعالى، فكيف إذا كانت صالحة؟ صلاح الذرية يقتضي تربية الأبناء والبنات على أسس صحيحة، تعزز قبل كل شيء الثقة المتبادلة بين الطرفين، وتوطد أواصر المحبة والتقارب بينهما. ولكن السؤال هنا هو كيف يصل الطرفان إلى مرحلة الثقة المتبادلة؟ رغم ما تحتويه الأبحاث الحديثة من معلومات قيمة حول كيفية تربية النشئ، يظل كتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أوثق المراجع التي يُستند إليها في الرجوع لأمور الحياة والدين. هذه الدراسة تقدّم شرحاً تحليلياً عن كيفية تربية الأبناء والبنات تربية يرضاها الله سبحانه وتعالى بناءً على قيم مأخوذة عن قصة من قصص الأنبياء عليهم السلام كما وردت في القرآن الكريم. يعرض هذا البحث تحليلاً لقصة النبي موسى عليه السلام مع النبي شعيب عليه السلام وابنتيه لتبيان كيفية تربية الأبناء والبنات على ضوء المعاني والقيم التي يمكن إستخلاصها من هذه القصة. هذه القيم سيتم شرحها بشكل مفصل في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: القيم المستوحاة من قصة النبي موسى والنبي شعيب وبناته:

بالتمعن في تفاصيل قصة النبي موسى عليه السلام مع النبي شعيب وبناته بالإمكان استنباط القيم الآتية:

---

[1] ﴿71﴾ سورة هود

[2] ﴿58﴾ سورة النحل

1 ـ طبيعة الحوار بين الجنسين:

تبدأ القصة عندما وصل النبي موسى عليه السلام إلى أرض مدين في الأردن، هارباً من بطش فرعون مصر. رأى النبي موسى عليه السلام بعض الناس الذين كانوا يردون الماء عند العين، ولاحظ وجود فتاتين في مكان بعيد تذودان غنمهما بعيداً عن العين، فأقبل إليهما وسألهما (مَا خَطْبُكُمَا). النبي موسى عليه السلام أقبل إلى الفتاتين وباشر بالسؤال. نفهم من هذا الأمر أن الحوار بين الجنسين ليس مرفوضاً بشكل قاطع؛ طالما أنه في حدود الأدب والإحترام. وعند التمعن في حوار النبي موسى عليه السلام مع ابنتي النبي شعيب عليه السلام، نلاحظ أن أهم مواصفات أدب الحوار بين الجنسين أن يكون مختصراً ومباشراً قدر الإمكان. الشاهد على ذلك أن النبي موسى عليه السلام لم يسبق الحوار بأي مقدمات إطلاقاً؛ فلم يُسلِّم عليهما، ولم يسأل عن أحوالهما، ولم يتجاذب أطراف الحديث معهما بل باشر بالسؤال بطريقة مختصرة جداً (مَا خَطْبُكُمَا).

وبالمثل كانت إجابة الفتاتين محددة وواضحة ومباشرة، حيث قالتا (لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)[3]. فهذا تأكيد على أن حديث المرأة المسلمة مع الأجانب يكون واضحاً مختصراً وغير مغرٍ كما أكده ابن كثير في تفسيره لعبارة (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) حيث أكد إنها دلالة على تأدب الفتاة في الكلام؛ حتى لا تترك مجالاً لتوهم الريبة من وجودهما في ذلك المكان لوحدهما (ابن كثير، 2010). أرادت الفتاتان من خلال إجابتهما أن توضحا أنهما كانتا تنتظران فراغ باقي الناس من السقاية ليذهبا إلى العين. وهذا يؤكد أن الفتاتين كانتا تقفان بعيداً ولم تقتربا من العين. وهذه أيضاً قيمة تربوية مهمة حيث أن جواز الحوار المحترم بين الجنسين لا يجيز الإختلاط غير المبرر. آثرت الفتاتين الإبتعاد خشية التعرض للأذى. وهنا نرى أهمية تربية البنات على صون أنفسهن وتجنبهن لمواطن الأذى قدر المستطاع. وفي هذا الأمر قيمة عظيمة على ضرورة تجنب الإختلاط بين الجنسين، لما ينتج عنه من مخاطر كما شرح الكاتب السعودي في تحليله للقصة حيث أكد أن الإختلاط بين الرجال والنساء شرٌ محض ينتج عنه شيوع المنكرات والموبقات العظيمة (السعودي، 2017).

إلى جانب تفادي الاختلاط وتحري الإجابة المختصرة هناك قيمة أخرى يمكن استخلاصها من إجابة الفتاتين وهي مأخوذة من عبارة (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ[4]). المتمعن في هذه العبارة يلاحظ معنيين مهمين: الأول أن الفتاتين ذكرتا عدم قدرة والدهما على السقاية لكبر سنه حتى تؤكدا أنهما مضطرتان إلى هذا العمل ولا يتخذانه حجة لغرض آخر. ويوضح الكاتب السعودي من خلال تحليله لهذه العبارة أن الفتاتين أرادتا التنبيه على أن أباهما يمنعه كبر سنه من السقاية وأنهما تستعطفان النبي موسى عليه السلام لإعانتهما (السعودي، 2017). هذا المعنى يشرحه الكاتب أحمد ايضاً حيث يشدد على أهمية الدفاع عن السُمعة وعدم الاعتماد على حسن ظن الاخرين لأن هذا قد لا يكون وارداً دائماً، ويقول "يجب علينا عدم وضع أنفسنا في مواضع شك الناس دون توضيح لحقيقة وجودهما في مثل تلك المواقف" (أحمد، 2010). أما المعنى الثاني فهو التأكيد على أنهما تحت رقابة والدهما وهو على علم بمكانهما. ولنعد هنا إلى قيمة الإجابة المختصرة كأحد مقومات أدب الحوار بين الجنسين. بناء على هذه القيمة فإنه كان بإمكان الفتاتين الاستغناء عن عبارة (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ[5]) فما الذي جعلهما تضيفانها؟ وهنا نفهم أن رقابة الأب للفتاتين لا تضايقهما ولا تشعران بثقلها عليهما. السبب هو أنهما لا تشعران بها كرقابة بقدر ماهي حماية لهما من بعض الأنفس البشرية المريضة. للأسف معظم البنات في مجتمعاتنا لا يفهمن رقابة الأهل على أنها حماية بل يرينها انعدام ثقة الوالدين فيهن. المُلام في هذه الحالة هما الوالدان إذ عليهما أن يوضحا لبناتهم أن سبب رقابتهما هو الخوف عليهن وليس

[3] {23} سورة القصص
[4] {23} سورة القصص
[5] {23} سورة القصص

الخوف منهن أو انعدام الثقة فيهن لأن هذا يؤثر سلباً على العلاقة الأسرية وقد يجعل بعض البنات يعتبرن غياب رقابة الأهل (فرصة) قد يتم استغلالها بشكل سيء.

على الوالدين أن يغرسا في بناتهم أهمية رقابة رب العباد وليس رقابة العباد، بحيث إذا غابت رقابة الأهل تبقى رقابة الله سبحانه وتعالى حاضرة في أذهان البنات لتكون الرادع لهن عن الانجرار الى تصرفات غير مسئولة قد يترتب عليها نتائج غير محمودة. ومن المهم أيضاً أن نُعلِّم البنات أن الرقابة الإلهية تشمل كل التصرفات فإذا قامت البنات بتصرف حسن يجب تذكيرهن أن الله سبحانه وتعالى قد اطَّلع على هذا التصرف وسيؤجرهن عليه، وفي المقابل إذا قامت البنات بتصرف غير حسن نؤكد لهن أن هذا العمل لا يرضى رب العالمين الذي يطلع عليهن. إذا تربت البنات على مفهوم الثواب والعقاب معاً فإنهن سيتذكرن رقابة الله دائماً وهذا سيجعلهن يتصرفن بنفس الطريقة سواء بحضور الأهل أو غيابهم.

2 ـ عفة الشباب:

عند التمعن في حوار النبي موسى عليه السلام وابنتي النبي شعيب نلاحظ أن كلامه معهما لم يتعدَّ كلمتين (مَا خَطْبُكُمَا) وبعد أن سقى لهما تولى إلى الظل وهذا يتبع مواصفات أدب الحوار بين الجنسين كما تم شرحه أعلاه. قام النبي موسى عليه السلام بمساعدتهما ولم يبق للتحدث معهما بعد أن سقى لهما بل انصرف مباشرة. من المهم أن نربي أبناءنا على هذه الصفات الحميدة التي تشمل الشهامة ونبل الأخلاق مصحوبة بغض البصر واختصار الحوار مع الجنس الآخر ومن المهم أيضاً تذكير الشباب أن يتقوا الله في أعراض المسلمين لأن لهم أعراضاً أيضاً وأن ما يلقيه الإنسان في البحر (خيراً كان أم شراً) سوف يقذفه الموج على الشاطيء من جديد ولو بعد حين.

بالإضافة إلى ما سبق شرحه نلاحظ أن هذا الجزء من القصة يوضح أهمية الديمومة على ذكر الله سبحانه وتعالى حتى تنجلي الأحزان والكروب. فعندما تولى النبي موسى عليه السلام إلى الظل أخذ يردد (رَبِّي إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ[6]) فكانت النتيجة أن جاءته إحدى الفتاتين لتبلغه برغبة والدها أن يجزيه أجر السقاية وانتهى به المطاف إلى الحصول على زوجة ووظيفة واستقرار كما سيتم شرحه لاحقاً إن شاء الله. إن المواظبة على ذكر الله من شأنها أن تعجل بجلاء الهموم وانقشاع غيمة الحزن والتنعم بفرج الله سبحانه وتعالى.

من أمثلة فائدة ذكر الله سبحانه وتعالى ما نراه جلياً في حياة الأنبياء عليهم السلام فعندما ابتلى الله سيدنا يونس عليه السلام لم يتوقف عن ترديد الأذكار (فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ[7]) وكذلك الحال مع سيدنا أيوب عليه السلام عندما استمر على ذكر الله (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[8]) وسيدنا زكريا عليه السلام عندما قال (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ[9]). نلاحظ أن هذه الأدعية يلحقها الفعل المباشر (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) أي أن الإستمرار في الأذكار والدعاء يفرج الكرب. وأعظم مثال هو دعاء سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. عندما رفضه أهل الطائف ورموه بالحجارة حتى أُدميت قدماه الكريمتان عندها دعى دعاء الكرب (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس...) فجاءه الله بالفرج مرتين المرة الأولى عندما أحضَر إليه الطفل عدَّاس ليُسلِم على يديه، ومرة أخرى هي التكريم الأعظم برحلة الإسراء والمعراج. وعليه فإن من واجب الآباء تعليم أبنائهم وبناتهم فضل الذكر وأثره العظيم في حياتهم.

---

[6] {24} سورة القصص
[7] {87} سورة الأنبياء
[8] {83} سورة الأنبياء
[9] {89} سورة الأنبياء

3 ـ الثقة المتبادلة بين الآباء والبنات:

من المهم جداً أن يعامل الآباء بناتهم بمحبة وثقة لما له من أثر إيجابي عميق في نفسية البنات. حتى وإن راود الآباء بعض الشك عليهم ألا يُظهروا هذا الأمر لبناتهم وأن يحرصوا دائماً على تعزيز الثقة معهن. هذا التصرف من شأنه أن يجعل البنات يتفادين أساليب المراوغة والكذب والإخفاء. وبهذا تكون كل تصرفاتهن مكشوفة للأهل وتحت رقابتهم المباشرة. وتكون نتيجة هذا التعامل مع البنات أن تتصرف البنات بنزاهة مع أهاليهن ويبادلنهم الثقة. هذه الأخلاقيات الرائعة نجدها تتجلى بشكل واضح في علاقة النبي شعيب عليه السلام مع بناته فبعد أن سقى لهما سيدنا موسى عليه السلام وتولى إلى الظل جاءته إحداهما لتخبره عن رغبة أبيها في لقائه ليجزيه أجر السقاية. نستنتج من كلام الفتاتين قيمتين مهمتين: الأولى أن الفتاتين لم تخفيا الأمر عن والدهما لأنهما تدركان أنه لا حاجة للكذب عليه. السبب في هذا الشعور أن والدهما يعاملهما بثقة فبعد أن قصت له بناته القصة أرسل إحداهن إلى ذلك الشاب الذي سقى لهن. لم يذهب الوالد بنفسه إلى الشاب بل أعطى ابنته الثقة وهي بدورها ردت له ما أعطى عندما صانت ثقة والدها وذهبت إلى النبي موسى عليه السلام وهي تمشي على استحياء. عندما تشعر الفتاة بثقة والدها فهي تسعد بها وتصونها وتصغي الى كل ما يقوله لها والداها عن ضرورة محافظتها على حياءها وحشمتها حتى تصون نفسها وعائلتها، وينتج عن هذا انها تشعر بأن حياءها هو أفضل وسيلة للتعبير عن شكرها لله الذي رزقها بوالدين رحيمين بها يغمرانها بالحب والعطف والثقة. أما إذا عاملها والداها بعدم ثقة فقد لا تجد جدوى من الإكثرات لهما ولآرائهما ليقينها أنها مهما فعلت لن يصدقاها ولن يثقا بها. من المهم جداً أن تشعر الفتاة بالأمان مع والديها حتى تصارحهما ولا تضطر للكذب عليهما. وهذا ما سنزيد تفصيله في القيمة التالية.

4 ـ عدم تجاهل اهتمامات البنات وأخذ آرائهن بعين الاعتبار:

عندما تشعر الفتاة أن لها قيمة وأهمية عند والديها وأنهما يعتبرانها كنزاً ثميناً وليس عالة اجتماعية ومادية ينتظران التخلص منها إما بالموت أو الزواج فإنها تشعر بالثقة في نفسها وبالأمان عندما تتحدث لوالديها عما يجول في خاطرها. وبالتالي فلن تضطر البنات أن يخفين عن ابائهن شيئاً لأن الإخفاء سببه الخوف وانعدام الأمان. وفي المقابل إذا أهتم الآباء بما تحدثهم به بناتهم فهذا من شأنه أن يعزز الثقة المتبادلة بين الطرفين ويجعل البنات يطلعن أهاليهن بكل ما يجول في أنفسهن وما يمررن به من أحداث ومواقف مختلفة.

عندما قامت البنتان بإخبار والدهما النبي شعيب عليه السلام بما فعله النبي موسى عليه السلام لم يهمل الوالد هذا الأمر بل طلب لقاء النبي موسى عليه السلام ليعرف قصته ويتأكد من نواياه. عندما تأكد النبي شعيب عليه السلام من قصة النبي موسى عليه السلام قال كما ورد في الآية (لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[10]

وقتها اقترحت أحدى الفتاتين على أبيها أن يستأجر النبي موسى عليه السلام معللة ذلك بأنه قوي أمين (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ [11]) هذا الوصف المختصر والدقيق الذي قدمته الفتاة كان بناءً على ما رأته من شهامة ونبل أخلاق في تصرفات موسى عليه السلام. فعندما ذهب لمساعدتهن سألهن بشكل مباشر ودون مماطلة (مَا خَطْبُكُمَا) وعندما سقى لهما تولى إلى الظل أيضاً بشكل مباشر ودون مماطلة. ويضيف الدكتور بكار أن النبي موسى عليه السلام كان مطرقاً رأسه عندما تحدث مع الفتاتين وحتى عندما دعته إحداهن للذهاب إلى والدها طلب منها أن تمشي خلفه خشية أن يرى ما لا يحل له رؤيته (د. البكار، 2017). أما بالنسبة لقوته وحسب شرح أحمد في سرده للقصة فإن النبي موسى عليه السلام عندما ذهب ليسقي للفتاتين قام

[10] ﴿25﴾ سورة القصص
[11] ﴿26﴾ سورة القصص

بحمل حجر كبير لا يقوى عليه إلا ذوو العصبة من الأقوياء (أحمد، 2010). فهنا ظهرت أمانة وقوة النبي موسى عليه السلام جلية للفتاة وكانت هذه الصفات سبباً في الاقتراح الذي قدمته لوالدها بأن يستأجره.

ونلاحظ حقيقة أخرى من الاقتراح الذي قدمته الفتاة لأبيها: الفتاة صارحت أباها برأيها بكل وضوح ودون تردد لأنه، كما أسلفنا، تشعر بالأمان معه وتعلم أنه لن يتم تفسير كلامها بشكل خاطيء. ويؤكد الكاتب السعودي على أن الفتاة لم تتلعثم ولم تخش سوء الظن والتهمة لأنها ترعرعت على براءة النفس ونقاء السريرة والصدق والعفة والطهارة وتجنب مزاحمة الرجال (السعودي، 2017). بينما استطاعت ابنة النبي شعيب ان تصارح والدها برأيها في النبي موسى عليه السلام، نجد ان هذه الصراحة تكاد تكونُ معدومة تماماً عند بنات اليوم وذلك لأن الآباء لا يعطون بناتهم مساحة كافية من الثقة ولا يلجأون الى ما اسماه الكاتب أحمد "احتواء البنات" (أحمد، 2010) كما فعل النبي شعيب مع بناته، ومن هنا جاء سبب لجوء بعض البنات الى الكذب والمراوغة لتجنب شكوك الآباء فيهن.

أما الأب فقد فهم مشاعر ابنته التي لم تخفها عنه وعرض على النبي موسى عليه السلام أن يتزوجها شريطة أن يرعى لهم الغنم لمدة ثمان سنوات كشرط أساسي للزواج، ملحقات بسنتين إضافيتين تطوعاً. الأب قدم شرطاً لائقاً يحفظ به كرامة ابنته وفي نفس الوقت لا يشكل تعجيزاً للنبي موسى عليه السلام الذي كان في حاجة ماسة للمأوى والاستقرار وهذا عكس ما نراه اليوم من مغالاة في مهور الزواج وتعجيز الشباب ومما ينتج عنه من تأجيلهم للزواج الحلال وربما انجرارهم إلى ما يغضب الله سبحانه وتعالى.

يجدر بنا هنا العودة على جملة الأب عندما فهم مشاعر ابنته اتجاه النبي موسى عليه السلام. لم يرد الأب أن يوضح أنها هي تحديداً من تشعر هكذا فقال (قال إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ [12]) حتى لا يوضح أن هذا الأمر يخص إحدى ابنتيه تحديداً دون الأخرى. هذا الأب المربي الفاضل فهم مشاعر ابنته واحترم هذه المشاعر حتى لا يسبب الإحراج لها وحتى يعزز ثقتها فيه. ومن خلال هذا الشرح ندرك أهمية كسب ثقة البنات ومنحهن شعور الأمان والإطمئنان من قبل الأهل حتى لا يبحثن عن مصدر آخر للأمان قد لا يكون اختياراً صحيحاً. ولا ننسى الأجر العظيم لوالد البنات وما يناله من فضل جزاء الإحسان إليهن حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من كانت لديه ثلاث بنات فصبر عليهن وسقاهن وكساهن كن له حجاباً من النار يوم القيامة) أخرجه الإمام أحمد (مسند الشاميين).

5 ـ الحب ليس حراماً:

النبي شعيب عليه السلام مدرك ومتفهم لحقيقة مهمة يغفل عنها الكثير من الآباء والأمهات، وهي أن الحب والإعجاب بالجنس الآخر ليس حراماً في حد ذاته وهو مغروس في كل البشر، ولكن كيفية التعبير عنه قد تتم بطريقة غير صحيحة. وهنا نرجع إلى شعور الأمان والإطمئنان مرة أخرى لولا انعدام هذا الشعور عند البنات لما اضطررن إلى اللجوء لأساليب أخرى كالكذب والإخفاء أو إتخاذ الأخدان. ومن جانبه فقد كان النبي شعيب عليه السلام حريصاً على كرامة ابنته كما ورد في الآية (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ). في هذه الآية دلالتان رائعتان على أخلاق الأب الفاضل. الدلالة الأولى (إِنِّي أُرِيدُ)، أي أنه وضّح للنبي موسى عليه السلام أن هذه رغبته هو وليست رغبة ابنته، والدلالة الثانية (إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ) وهنا يوضح أنه يريد مصاهرة هذا الشاب ولا يهمه

[12] ﴿27﴾.سورة القصص

أي الفتاتين يتزوج لكيلا يسبب الأحراج لابنته. وهذا بيان على ان اختيار الأب للزوج الصالح لابنته ليس عيباً او انتقاصاً من شأنه وشأن ابنته بل هو صون لها وضمان لمستقبلها مع رجل صالح يتقي الله ويخافه فيها وهذا ما ورد في الحديث الشريف حيث يروي أبو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة البنات وتزويجهن "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" رواه الترمذي (الإسلام سؤال وجواب، 2014). فجعل مقومات الزوج الصالح صلاح الدين والخُلق وليس الثراء المادي. وهنا نرى أهمية ان يحسن الآباء اختيار اصهارهم ليضمنوا لبناتهم عيشة محترمة تليق بهن، وألا يجعلوا الماديات هي أساس الاختيار. وكذلك الحال بالنسبة للشباب اذ عليهم ان يجعلوا حُسن الخلق والتدين أساس اختيارهم لزوجة المستقبل لأنها هي أم أولادهم ومربية الأجيال، فقد قال صلى الله عليه وسلم "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك" رواه البخاري (صحيح البخاري، 1986). اختيار الزوج الصالح للبنات لا يعني إجبارهن على الزواج من اشخاص معينين أو منعهن من الزواج من اشخاص معينين بل يعني ان الأب يهتم بالأمر ويضع ابنته في الصورة كاملة. استطاع النبي شعيب أن يلبي رغبة ابنته دون أن يجرح كرامتها أو يقلل من شأنها. وهذا يؤكد أن الحب ليس عيباً أو حراماً بدليل مباركة النبي شعيب لهذا الأمر، ولكن عندما يتم التعبير عن هذه المشاعر بطريقة غير صحيحة ينتج عن ذلك المشاكل والفتن والفساد.

اعجاب ابنة النبي شعيب بشهامة النبي موسى عليه السلام وحسن أخلاقه يذكرنا بإعجاب السيدة خديجة رضي الله عنها بحسن خُلق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي جعلها تصرح لصديقتها نفيسة برغبتها في زواجه فما كان من الصديقة إلا أن ذهبت للرسول صلى الله عليه وسلم اقترحت عليه الزواج من السيدة خديجة (اسلام ويب، 2010).

ان الإستقامة مع الله وحُسن النية سببان رئيسان في مباركته سبحانه وتعالى لهذا الحب العفيف النقي. وفي القرآن الكريم أمر بالتوجه إلى ذوي الفتاة مباشرة عند نية الزواج حيث يقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[13]) فجعل الله توجه الشباب مباشرة إلى ذوي الفتاة إحدى علامات التقوى لما لهذا الأمر من ردع للمعاصي واجتناب للكبائر وكذلك الأمر بالنسبة للفتيات فعندما يميل قلب الفتاة إلى شاب من الخطأ أن تتوجه إليه مباشرة دون علم ذويها. من روائع حُسن خُلق الفتاة أن تجعل والديها ملجأً لها في كل الأمور ومستودع أسرارها لأنهما أحرص الناس عليها ولكن في المقابل على الوالدين أن يحرصا على كسب ثقة بناتهما دائماً ولا يتأتى هذا إلا بمنحهن شعور الأمان والإطمئنان.

بالإضافة الى الأمان من المهم ان تشعر البنات ان آراءهن مأخوذة بعين الاعتبار من قبل الوالدين لان هذا يعزز ثقتهن بأنفسهن ويجعل منهن سيدات ذوات شخصية قوية وعلى قدر عال من المسئولية. وبالعودة الى قصة النبي موسى عليه السلام نلاحظ أن المرأة لها اثر عميق جدا في حياته: فعندما خافت عليه والدته من بطش جنود فرعون ألقته في اليم حفاظاً على حياته لأنها لو لم تفعل لكانوا قتلوه، وفعلت وقلبها مطمئن بحسن الظن بالله كما ورد في الآية (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ 14). وعندما التقطه آل فرعون تعلقت به زوجة فرعون وأبدت رغبتها في تبنيه (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ 15) وكذلك كانت أخته المتماسكة التي كانت تراقب أخاها عن كثب من اللحظة التي ألقته أمه في اليم

---

[13] ﴿189﴾ سورة البقرة
[14] ﴿7﴾ سورة القصص
[15] ﴿9﴾ سورة القصص

(فَبَصُـرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ[16]) حتى وصـل الى قصـر فرعون. تجرأت الأخت القوية بالدخول لقصـر فرعون لتقترح عليهم مرضـعة للطفل موسـى (فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ 17) ليعود النبي موسى الى أحضـان والدته ويتحقق وعد الله لها لأنها أحسـنت به الظن. وأخيراً ابنة سيدنا شعيب التي أعجبت بالنبي موسى عليه السلام وكان هذا الإعجاب سبباً في زواجه واسـتقراره ونجاته من القوم الظالمين. المرأة القوية المعتدة بنفسـها هي التي تربي الجيل الجديد الصـاعد الذي من شـأنه أن ينهض بأمة الإسلام ويرتقي بها لتلحق بركب الحضـارة والبناء وتواكب التطور في العالم.

الخاتمة:

بناءً على ما تم شـرحه وتحليله من قصـة النبي موسـى عليه السـلام مع النبي شـعيب عليه السـلام وابنتيه فإنه بالإمكان تلخيص القصـة في قيمة عظيمة وهي (تقوى الله سـبحانه وتعالى) فعندما يتق كل إنسان الله سبحانه وتعالى في تصرفاته فإن حال المجتمع يصلُح وتتناقص فيه المفاسد.

فعندما اتقى النبي شـعيب الله في بناته ورباهن على الثقة والمحبة والأمان كافأه الله ببنات عفيفات صـالحات محافظات على هذه الثقة وعلى أنفسـهن. وعندما اتقت الفتاتان الله سـبحانه وتعالى في والدهن وتجنبتا مواضع الشبهات أرسل الله سبحانه وتعالى لهما النبي موسى عليه السلام ليسقى لهما ويحميهما من الأذى. ثم كافأ الله سـبحانه وتعالى إحداهما بالزواج منه. وعندما إتقى النبي موسـى عليه السلام الله سبحانه وتعالى في الفتاتين ولم يتجاذب معهما أطراف الحديث بعد أن ساعدهما بل تولى وجلس يذكر الله سبحانه وتعالى كافأه الله بزوجة صالحة وصهر فاضل وعمل واستقرار وأمان بعد أن كان هارباً من مصـر يترقب. وعليه نفهم أن تقوى الله سـبحانه وتعالى في كل أحوال حياتنا هي سبيل الفلاح وطوق النجاة والحصانة من الأذى والفتن والفساد.

لذلك يجب على الأهل أن يربوا أبناءهم وبناتهم على تقوى الله سـبحانه وتعالى والثقة المتبادلة وألا يعاملوهم بتسلط واستبداد لكيلا يخسروا ثقة أبنائهم فيهم. علاقة الآباء بأبنائهم وبناتهم يجب أن تكون مبنية على المحبة والأمان وليس على الخوف والشـك والريبة. الدفء الأسـري ضـروري لبناء علاقات أسرية قوية وصحية. نسأل الله التوفيق والسداد والبر والتقوى ومن العمل ما يرضى.

المراجع:

(1) ابراهيم السعودي، قصة موسى مع بنتي صاحب مدين. دلالات وعبر، شبكة صيد الفوائد. (آخر دخول للموقع يناير 2017).
(2) ابن كثير (2010). تفسير القران العظيم، ج3، ص385.
(3) اسلام ويب (2010). زواج النبي صلى الله عليه وسلم بخديجة –رضى الله عنها-، موقع المقالات.
(4) الإسلام سؤال وجواب (2014). الحديث وعلومه، شروح الأحاديث.
(5) الإمام أحمد، مسند الشاميين من حديث عقبة بن عامر الجهني برقم 61762.
(6) د. عبد الكريم البكار. ان خير من استأجرت القوي الأمين. شبكة صيد الفوائد. (اخر دخول للموقع يناير 2017).
(7) د. محمد راتب النابلسي (2002). التربية الإسلامية، تربية الأولاد في الإسلام 1994، وسائل تربية الأولاد، التربية بالقدوة. موسوعة النابلسي.

[16] ﴿10﴾ سورة القصص
[17] ﴿11﴾ سورة القصص

(8) رندا مصطفى (2015). كيف نربي بناتنا تربية اسلامية. موضوع. (آخر دخول للموقع يونيو 2017).
(9) علة حامد (2011). منهج الإسلام في تربية الأولاد. الألوكة الاجتماعية.
(10) فتح الباري شرح صحيح البخاري (1986). كتاب النكاح، شروح الحديث.
(11) لواء الدين أحمد (2010)، قصة موسى عليه السلام مع بنتي شعيب، مجلة الابتسامة.
وسام طلال (2017). كيفية تربية الأبناء في الإسلام. موضوع. (آخر دخول للموقع يونيو 2017).

أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 8، العدد 27 (2017). ص ص 89-102

أثر مخاطر التضخم على عوائد الصكوك الحكومية: دراسة حالة شهادات المشاركة الحكومية (شهامة)

بدوي محمد أحمد الصديق(*)

الملخص: تهدف الدراسة إلى حساب القيمة الحقيقية لعوائد شهادات المشاركة الحكومية (شهامة) في الفترة من 1999 إلى 2016 بعد استبعاد معدل التضخم. وقد اختيرت شهادات شهامة كنموذج للصكوك السودانية لأنها الأكثر شهرة والأعلى عائدا مقارنة بالأخرى. وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي للوصول إلى النتائج. كما اعتمدت على معلومات ثانوية متنوعة. وقد حُسِبت القيمة الحقيقية للعوائد باستخدام معادلة فشر. وتوصلت الدراسة إلى أنّ 10 من سنوات الدراسة وهي (18) كانت معدلات عوائدها الحقيقية أقل من 50% من معدلاتها الاسمية. وقد بلغت أدنى انخفاض لها عام 2014 حيث كان المعدل سالب 110.8؛ مما يدل على تنامي وعِظَم مخاطر شهادات شهامة. وأوصت الدراسة بضرورة حساب القيم الحقيقية لعوائد الصكوك وخاصة عند تعرضها لمخاطر التضخم حتى تسهل المقارنة بين الصكوك العالمية المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الصكوك الحكومية، القيمة الحقيقية للعوائد، مخاطر التضخم، شهادات المشاركة الحكومية.

The Impact of Inflation Risk on Government Sukuk Returns: The Case of Government Participation Certificates (Shahama)

Badawi Mohammed Ahmed Elsiddig

Abstract: This study aims to measure the real value of the government participation certificates (Shahama) during the period 1999-2104 by eliminating inflation rate. Shahama was selected to resemble the other Sudanese sukuk because it is the most famous and the highest in returns. Analytical descriptive and historical methods were used and various secondary data were employed. Real values were calculated using Fisher equation. The results showed that the real values of 10 years out 18 years were less than 50% of their nominal values. The minimum real value recorded was in the year 2014, which was minus 110.8 indicating that the risks of shahama were very high. The research recommended that real values of sukuk returns should be calculated especially when they are vulnerable to inflation rate risk so as to enhance comparison between the different global sukuk.

Keywords: government sukuk, real value of returns, inflation risk, government participation certificates.

(*) أستاذ مساعد بكلية إدارة الأعمال بجامعة الحدود الشمالية – عرعر، badawimohammed53@yahoo.com

1- مقدمة

فاقت سوق الصكوك الإسلامية القطاع المصرفي الإسلامي في السنوات الأخيرة بناءً على معدلات النمو. فحجم الصكوك العالمية القائمة قد توسع بمعدل نمو سنوي تراكمي بين عامي 2008 و2013 وبقيمة تبلغ 294.7 بليون دولار بنهاية الربع الثالث من عام 2014. (IFSI Stability Report, 2015,11)

ويرى بعض الباحثين أن الخسائر المحدودة التي تعرضت لها المصارف والمؤسسات الإسلامية خلال الأزمة المالية العالمية الأخيرة تدعم فكرة أن عقود التمويل الإسلامية أكثر سلامة من نظيراتها التقليدية ولكن أثناء تطورها ونموها فإن مخاطرها بدأت تظهر. (59 , 2010 & Haider Azhar,). وقد ظهرت عدة إخفاقات للصكوك ومنها: صكوك إيست كاميرون غاز وصكوك النخيل وإنفسمنت دار صكوك وغيرها (إدارة الخزينة بالبنك الإسلامي للتنمية, 1431)

وبالرغم من وجود دراسات كثيرة تناولت مخاطر الصكوك من حيث مصادرها وأنواعها ودرجتها وغير ذلك ؛ إلا أن المزيد من الدراسات ولا سيّما دراسة الحالات مفيدة للمقارنة؛ إذ أن مصادر الخطر تتنوع حسب المؤسسة أو الدولة المُصدِرة؛ حيث تختلف ظروف الدول والمؤسسات عن بعضها البعض, ويمكن أن تكون المفارقات أحيانا كبيرة لا تخطئها العين. وقد تناولت عدة بحوث تجارب بعض الدول في إصدار الصكوك وتقويمها وإدارة مخاطرها. ومن تلك البحوث ما تناولت تجربة الصكوك بالسودان ومخاطرها. ويلاحظ عليها أنها أغفلت عوامل مهمة تزيد من مخاطرها؛ فعلى سبيل المثال لم تقم تلك البحوث بقياس مخاطر التضخم وتأثيره على عوائد الصكوك بالرغم من ارتفاع معدلات التضخم بالسودان وخاصة بعد انفصال الجنوب عام 2011. وإن إغفال تأثير هذا العامل ـ ولا سِيَّما في الدول النامية ذات الاقتصادات غير المستقرة كالسودان ـ يؤدي إلى نتائج غير دقيقة. وهذا ما دفع الباحث إلى إعادة النظر في الطرق التي اتبعها الباحثون بشأن التجربة السودانية, وتقويم مخاطرها حين أخذوا بالقيمة الاسمية فقط في تحليلاتهم. وبناءً على هذا فإن مشكلة البحث تتمثل في السؤال التالي: ما أثر مخاطر التضخم على عوائد شهادات المشاركة الحكومية (شهامة)؟

ويهدف البحث إلى الإجابة عن السؤال السابق للتعرف على القيمة الحقيقية للعوائد بعد استبعاد أثر التضخم من القيمة الاسمية للعوائد. وتتجلى أهمية البحث في أنها محاولة ـ هي الأولى حسب علم الباحث ـ لقياس تأثير هذا العاملين على عوائد الصكوك السودانية ؛ وبالرغم من التسليم بتأثير المخاطر الأخرى كالمخاطر السياسية والقانونية والشرعية وسعر الصرف وغيرها في الصكوك عموما, وفي السودانية منها على وجه الخصوص؛ إلا أنه يصعب قياسها كمياً عدا الأخيرة منها.

2. الإطار المفاهيمي للصكوك الإسلامية

1.2 مفهوم الصكوك الإسلامية

تعرّف الصكوك بأنها أوراق مالية محددة المدة تمثل حصصاً شائعة في ملكية أعيان أو منافع أو خدمات، تخوّل مالكها منافع، وتحمله مسؤوليات بمقدار ملكيته. (ميرة, 80,1432). كما يستخدم مصطلح صكوك الاستثمار,و هي الأدوات المالية التي تجذب المدخرات وتجمعها لتمويل خطط ومشاريع التنمية متحملة مخاطر وتكاليف هذه الخطط وتلك المشاريع، ولا تستحق إلا حصة متفقا عليها من عائد وربح هذه المشروعات. (حسان, 1432).

كما تعرّف بأنها وثائق متساوية القيمة تمثل حصصاً شائعة في ملكية أعيان أو منافع أوخدمات أو في موجودات مشروع معين أو نشاط استثماري خاص، وذلك بعد تحصيل قيمة الصكوك وقفل باب الاكتتاب وبدء استخدامها فيما أصدرت من أجله. (هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية, معيار رقم 17).

أما الصكوك الإسلامية الحكومية فتعرّف بأنها: شهادات مالية تصدرها جهات حكومية مختلفة تمثلها أو تنوب عنها وزارة المالية، وتقوم على أساس شرعي، ويتم تسويقها عبر البنوك وشركات الوساطة المالية للجمهور في داخل الدولة وخارجها.(ناصر وبن زيد, 2012).

2.2 خصائص الصكوك

- تمثّل حصة شائعة في ملكية حقيقية.
- تصدر على أساس عقد شرعي، ويأخذ أحكامه.
- لا يوجد ضمان للمدير
- تشترك في استحقاق الربح وتحمّل الخسارة , ويمنع حصول صاحبها على نسبة محددة مسبقاً من قيمتها الاسمية أو على مبلغ مقطوع.
- تتحمل مخاطر الاستثمار كاملة.
- تتحمل الأعباء والتبعات المترتبة على ملكية الموجودات الممثلة فيها. (مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي, 1430).
- تصدر الصكوك بفئات متساوية القيمة لأنها تمثل حصصا شائعة في ملكية أعيان أو منافع أو خدمات أو في موجودات مشروع معين أو نشاط استثماري خاص، وذلك لتيسير شراء وتداول هذه الصكوك.(محيسن, 1430 هـ).
- يخضع تداولها للشروط الشرعية المتعلقة بطبيعة الموجودات التي تمثلها فإذا كانت أعياناً ومنافع أو كانت مختلطة بديون ونقود تابع لها فإنها تتداول حسب الاتفاق من حيث السعر أو التأجيل. أما لو كانت ديونا فقط فلا تتداول إلا بشروط الديون أو كانت نقودا فقط فلا تتداول إلا بشروط صرف العملات.(أبو غدة, 1426, 18).

3.2 أنواع الصكوك الإسلامية:

تصدر الصكوك على أساس عقد من عقود التمويل، وهي المرابحة والبيع بثمن مؤجل والاستصناع والسلم، أو على أساس عقد من عقود الاستثمار وهي المضاربة والمشاركة والوكالة في الاستثمار أو خليط من هذه العقود.(حسان, 1432). في حين أن منصور (2009) يقسم الصكوك وفقاً للجهة المصدرة إلى: صكوك حكومية, وصكوك شركات , وصكوك البنوك. وتنقسم الصكوك الحكومية بدورها إلى صكوك الإجارة وصكوك الاستصناع وصكوك السلم وصكوك المشاركة المتناقصة وصكوك القرض الحسن (هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية, 2009, 311).

1.3.2 صكوك المشاركة: هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلتها في إنشاء مشروع، أو تطوير مشروع قائم، أو تمويل نشاط على أساس عقد من عقود المشاركة، ويصبح المشروع أو موجودات النشاط ملكاً لحملة الصكوك فى حدود حصصهم، وتدار صكوك المشاركة على أساس الشركة أو على أساس المضاربة أو على أساس الوكالة بالاستثمار(هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية, 2009, 312)

3.2 2 صكوك المضاربة:هي أوراق مالية تعرض للاكتتاب على أساس قيام الشركة المصدرة بإدارة العمل على أساس المضاربة فيمثل عامل المضاربة المستثمر ويمثل مالكو الصكوك أصحاب رأس المال.(حطاب , 2009).

3.3.2 صكوك المرابحة هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لتمويل شراء سلعة المرابحة، وتصبح سلعة المرابحة مملوكة لحملة الصكوك. (هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية, 2009, 311)

3.2. 4 صكوك الاستصناع: هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلة الاكتتاب فيها في تصنيع سلعة، ويصبح المصنوع مملوكاً لحملة الصكوك. (هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية, 2009, 311).

3.2.5 صكوك الإجارة: حصة مشاعة في ملكية أصول متاحة للاستثمار، سواء كانت أصولا حقيقية، أو منافع، أو خدمات أو مزيجا من ذلك كله .وهي أشهر أنواع الصكوك على الإطلاق. (أبو بكر ,2009).

3.2.6 صكوك السلم وهي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها؛ لتحصيل رأس مال السلم، وتصبح سلعة السلم مملوكة لحملة الصكوك. (هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية, 2009, 311). كما تعرّف صكوك السلم الحكومية بأنها عبارة عن عقد السلم الذي يتم بموجبه دفع قيمة السلعة حالا مع تأجيل استلام هذه السلعة إلى أجل متفق عليه بين المتعاقدين (أبو عوض, 2013, 33).

7.3.2 صكوك الوكالة بالاستثمار هي وثائق مشاركة تمثل مشروعات أو أنشطة تدار على أساس الوكالة بالاستثمار بتعيين وكيل عن حملة الصكوك لإدارتها. (هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية, 2009, 312).

3- مخاطر الصكوك الإسلامية

من المفترض من الناحية النظرية أن يكون التمويل الإسلامي أقل عُرضَةً للأزمات لتوفر المشاركة في المخاطرة, وأن يكون الاقتصاد الإسلامي أكثر استقراراً من الاقتصاد التقليدي لأن التمويل الإسلامي يقتضي منع المضاربة speculation ولأنه قائم على الأصول asset-based. وأما على مستوى التطبيق فهناك جملة من المخاطر لم يسلم منها التمويل والاستثمار الإسلامي وإن اختلفت من حيث الدرجة بناءً على نوعية الأصول وأماكن وجودها.

1.3 مفهوم المخاطر

المخاطرة Risk تشير إلى احتمال الخسارة. ولكن في المالية Finance فإن اللفظ له معنىً محدد. فالمخاطرة تعني الانحراف عن العائد المتوقع لورقة مالية أو أصل ما. فإذا توقع المستثمر عائدا مقداره 20% ولكنه تحصلّ فعلا على 16% فإن الفرق بين العائديْن يمثّل مخاطرة Gup, 1992, 86-87)). كما عرف رمضان (2007, 22) المخاطر على النحو التالي "المخاطرة في الاستثمار مرادف لعدم التأكد من معرفة احتمال الحدوث... فكلما زاد عدم التأكد من الحصول على عائد الاستثمار أو من حجمه أو من زمن الحصول عليه كلما كان الاستثمار أكثر خطورة, والعكس صحيح ".

وعموما تنقسم المخاطر إلى نوعين رئيسين هما: مخاطر منتظمة Systematic Risk أو مخاطر السوق وهي مخاطر ناتجة عن عوامل تؤثر في السوق بوجه عام وتؤدي إلى عدم التأكد من عائد الاستثمار. ومخاطر غير منتظمة Unsystematic Risk وهي مخاطر ناتجة عن عوامل خاصة بشركة معينة. وتتأثر درجتها لشركة معينة إما بطبيعة السلعة التي تنتجها أو بالتغير في طبيعة أو مكونات أصولها أو بدرجة الرفع المالي أو بزيادة المنافسين أو بالتغير في الإدارة. (مطر,2009, 58-59).

2.3 أنواع مخاطر الصكوك الإسلامية:

تتميز الصكوك الإسلامية عن السندات التقليدية ببعض المخاطر الخاصة بها وباختلاف هياكل إصدارها (حسب صيغ البيوع والتمويل والاستثمار الإسلامية) إضافة إلى اختلاف الموجودات المكونة لها. (صالح, 2012). وفيما يلي المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها الصكوك الإسلامية.

1.2.3مخاطر الائتمان Credit Riskترجع هذه النوعية من المخاطر إلى عدم وفاء العميل بالتزاماته التعاقدية كاملة وفي مواعيدها. فهذه المخاطر ترجع إلى عدم كفاءة العميل أو إلى سوء سمعته أو عدم رغبته أو في السداد(دوابه, د.ت.)

2.2.3 مخاطر أسعار الفائدة:Interest Rate Risk بالرغم أن الصكوك الإسلامية جاءت كبديل شرعي للسندات التقليدية إلا أن تحديد عوائد معظم الصكوك الإسلامية تتخذ معدل الفائدة ليبور سعرا مرجعيا ,وبالتالي تتأثر به. ففي صكوك المرابحة أو الاستصناع مثلا يتحدد هامش الربح)العائد (من

خلال السعر المرجعي، وهو في العادة معدل الفائدة ليبور مضافا إليه هامش مخاطرة)علاوة المخاطرة). (ناصر وبن زيد , 2013).

3.2.3 مخاطر سعر الصرف Exchange Rate Risk وتنتج هذه المخاطر عند إصدار الصكوك بعملة محددة واستثمار المبالغ المجموعة منها بعملات أخرى. كما أن الصكوك المصدرة بالعملات المحلية أيضا معرضة لهذه المخاطر عندما تتغير أسعار الصرف لصالح العملات الأجنبية مما يقلل من عوائد تلك الصكوك مقوَّمة بتلك العملات الأجنبية. وتظهر مخاطر سعر الصرف في حالة الصكوك الإسلامية عند إصدارها بعملة معينة واستثمار حصيلتها بعملات أخرى، أو إذا كانت المنشأة المصدرة للصكوك تحتفظ بمواقع مفتوحة تجاه بعض العملات الأجنبية أو التزامات الدفع خاصة في عمليات المرابحات والتجارة. (بن زيد, 2012, 149).

2.3.4 مخاطر السيولة: وهي المخاطر المرتبطة باحتمال أن تواجه المؤسسة مصاعب توفير الأموال اللازمة لمقابلة التزاماتها في مواعيدها بتكلفة عادية. وتظهر في حالة الصكوك الإسلامية عندما لا يستطيع المصدر تلبية الالتزامات في مواعيدها بطريقة فعالة لعدم كفاية السيولة.(بن علي , 2010). وفي حالة الصكوك الحكومية ـ خاصةً- فإن هذه المخاطر تكون متدنية ؛ لأنّ الدول تستطيع الوفاء بالتزاماتها إما عن طريق التمويل بالعجز Deficit Financing أو بفرض ضرائب أو بالاقتراض من الداخل أو الخارج. ولكن يمكن أن يتعرض حملة الصكوك لهذه المخاطر حين لا يستطيعون تسييل أصولهم بسرعة ودون خسارة تذكر.

2.3.5 مخاطر السوق: Market Risk وهي المخاطر التي تصاحب وقوع أحداث غير متوقعة ويكون تعرض حملة الأسهم العادية لها أكثر من غيرهم من المستثمرين وخاصة عندما تنخفض أسعار الأسهم انخفاضا كبيرا (مطر, 2009, 62)؛ ويعزى ذلك إلى أن الأسهم العادية ليست مضمونة كالسندات. وتتعرض الصكوك ـ مثلها مثل الأسهم العادية- لهذه المخاطر لأن الصكوك الإسلامية ليست مضمونة بل تتحمل مخاطر الاستثمار كما هو معلوم.

2.3.6 مخاطر التضخم: Inflation Risk وتتعرض لها عادة الاستثمارات ذات العائد الثابت خاصة إذا كان عائدها أقل من معدل التضخم. (رمضان , 2009 , 331).

والصكوك عموما تتكون من أعيان ومنافع ونقود وديون ؛ لذا تتأثر بالتضخم حسب مكوناتها. فالصكوك ذات العائد الثابت نسبيا كصكوك الإجارة أكثر تعرضا لهذه المخاطر؛ وذلك بسبب انخفاض القيمة الحقيقية للعوائد الدورية. (بن زيد, 2012, 131).

ويرى بعض الباحثين أن الصكوك الإسلامية ذات عائد متغير غالباً, وهي مرتبطة بأصول عينية ومنافع لا بقروض نقدية فهي في أمان من مخاطر التضخم. (أبو غدة , 1426, 25). ويذهب الباحث إلى أنّ هذا الرأي لا يقبل على إطلاقه؛ لأنّ الصكوك تكون عُرضةً لمخاطر التضخم خاصةً عندما تكون عوائدها متدنية, ومعدلات التضخم متوسطة أو عالية. والدليل على ذلك أنه بإلقاء نظرة إلى عوائد 12 صكا من الصكوك الحكومية وشبه الحكومية العالمية عام 2014, نجد أن أعلى عائد كان 8.6% وحققه صك كهرباء السعودية. وأقل عائد كان لبنك التنمية الإسلامي وبلغ 1.535%. (International Islamic Finance Market, 2014, 12) وإذا حسبنا متوسط العائد لتلك الصكوك فسنجده 3.9%. وإذا افترضنا أنّ معدل التضخم كان 3 وهو معدل متدنٍ ـ كما في السعودية أو ماليزيا ـ فسنجد أن العوائد الحقيقية لثمانية من تلك الصكوك قد قاربت الصفر أو صارت سالبة.

2.3.7 مخاطر معدل العائد: وهي مخاطر عدم ثبات العائد أو عدم التأكد منه فكلما زاد عدم التأكد من الحصول على العائد أو من حجمه أو من انتظامه كلما كان الاستثمار أكثر خطورة. (رمضان , 2009, 332).

و قد تضطر مؤسسات الخدمات المالية الإسلامية تحت ضغط السوق إلى دفع عائد يفوق العائد الذي تم اكتسابه على الموجودات إذا كان العائد دون المستوى مقارنة بمعدلات المنافسين.(عبد

الحي, 1435, 49). وإن هي فعلت ذلك فهذا يعني أنّ عوائدها ليست فعلية ممّا يعرّضها إلى خسائر. أمّا الدول فتستطيع أن تفعل ذلك بأن تعتمد على الضرائب أو الاقتراض أو التمويل التضخمي لسد التزاماتها المالية.

- **2.3. 8 المخاطر الاقتصادية:** وهي المخاطر الناتجة عن تأثر الشركات بالأوضاع الاقتصادية من تضخم وكساد وعرض وطلب وأحداث عالمية ؛ ولذا تتأثر الأرباح التي تحصل عليها الشركات أو التي تقوم بتوزيعها على المساهمين. (رمضان , 2009 , 331-332).

والصكوك الإسلامية ليست بمنأى من هذه المخاطر التي تعمّ جميع الأوراق وإن اختلفت درجات التأثير.

- **2.3.9 مخاطر مخالفة أحكام الشريعة الإسلامية:** مخالفة الصكوك لأحكام الشريعة تؤدي إلى بطلانها بالكلية أو بعض شروطها, فمن المخالفات الشرعية ـ على سبيل المثال ـ زيادة نسبة الديون على الثلث في حالة أن مكونات الصك ديون ومرابحة ويتمّ تداوله بالرغم من ذلك, إضافة إلى صورية بعض العقود. (أبو بكر , 2009).

كما أن التدليس بإظهار مميزاتها وإخفاء عيوبها من جانب الجهات المصدرة يعدّ من المخالفات الشرعية. كما أن الترويج لصكوك شديدة المخاطرة وإخفاء المعلومات الضرورية عن حملة الصكوك ومحاولة إضفاء الشرعية على صكوك يعلم مصدروها أنها تحايل على الربا وعلى الأحكام الشرعية كلها تندرج تحت مخالفة أحكام الشريعة الإسلامية.

وقد أشار عدد معتبر من الدراسات والفتاوى إلى وجود مخالفات شرعية في الصكوك, ومن ذلك دراسة المنيع (1431) التي أكّدت أنّ الصكوك الإسلامية المبنية على صيغة الإجارة – ولا تقلّ عن 85% من الصكوك الإسلامية العالمية ـ مغلفةٌ بالربا ولا تختلف عن السندات. كما أنّ عثماني (د.ت) يرى أنّ مصدري الصكوك الإسلامية حاولوا تقليد السندات ليسهل ترويجها, وأنها مخالفة لمقاصد التشريع وأهداف الاقتصاد الإسلامي.

وتوصلت دراسة ميرة (1429 هـ) إلى أنّ الصكوك التي أصدرتها مملكة البحرين قد اختلف العلماء المعاصرون في حكمها على قولين , والراجح القول بتحريمها ومنعها والحكم بإبطالها.

3.1.3 قياس مخاطر الصكوك الإسلامية:

ويتم قياس مخاطر الاستثمار عن طريق قياس الانحراف المعياري للعائد على الاستثمار المتوقع تحت درجات احتمال مختلفة عن وسطها الحسابي وهو العائد المتوقع. (مطر, 2009, 55). كما يقاس بمعامل البيتا Beta Coefficient الذي يقيس مدى حساسية عائد السهم للتغيرات التي تحدث على عائد السوق والذي يعني المتوسط الحسابي لعوائد جميع الأسهم في السوق. فإذا كان بيتا السهم يساوي واحدا فهذا يعني أنه يتغير مع تغيرات السوق وتتساوى مخاطره مع مخاطر سوق السهم. أما إذا كان أكثر من واحد فهذا يعني أنه شديد الحساسية للتغيرات التي تحدث بالسوق وبالتالي فإن مخاطره تكون أعلى. وإما إذا كان أقل من الواحد فيعني أنه أقل حساسية لتغيرات السوق وبالتالي أقل مخاطرة. (رمضان , 2009, 345).

ويستخدم الانحراف المعياري ومعامل البيتا كلاهما لقياس مخاطر الصكوك الإسلامية كذلك.

4. الدراسات السابقة

هدفت دراسة Abdul Rauf (2014) إلى التعرف على أنواع المخاطر الكامنة في هياكل الصكوك, وتحديد أثر أنواع المخاطر المختلفة على عوائد الصكوك, وتحليل العلاقة بين مخاطر الصكوك وعوائد تلك الصكوك. وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة بين المخاطرة السوقية (وتشمل مخاطر سعر الفائدة ومخاطر التضخم ومخاطر سعر الصرف) ومخاطر الائتمان والمخاطر التشغيلية ومخاطر السيولة مع عوائد الصكوك. كما توصلت الدراسة إلى وجود علاقة بين العائد الكلي والأنواع المختلفة من المخاطر.

وأشارت دراسة Firooze (2012) إلى أن الصكوك معرضة إلى منظومة واسعة من المخاطر , وأنّ هذه المخاطر تتنوع بناء على الأصول محل العقد وحسب هيكل العقد. وأنّ من المخاطر المهمة التي تتعرض لها الصكوك الخطر الهيكلي وهو خطر فقدان قيمة الاستثمار.

كما أشارت دراسة أبو عوض (2013) إلى أن مخاطر الصكوك عموما هي: مخالفة الشريعة الإسلامية, والمخاطر القانونية والمخاطر التشغيلية. وتوصلت الدراسة إلى أن الصكوك صارت ذات قيمة مضافة وهي أفضل نسبيا من أدوات الدين التقليدية.

وفي دراسة Azhar Haider (2010) & تم التعرف على عدة مخاطر أساسية هي: المخاطر التنظيمية regulatory risks ومخاطر التوافق مع الشريعة Shariah compliance risks, , ومخاطر الائتمان, ومخاطر السيولة, ومخاطر السوق والمخاطر المرتبطة بالأصول القائمة, ومخاطر دفع الأرباح أو العوائد, ومخاطر تحقيق القيمة الاسمية , ومخاطر الطرف الثالث أو الشركة ذات الغرض الخاص.

وتوصلت دراسة Helmi Ramasamy ,Manisamy and (2011) إلى أنّ الصكوك الماليزية أقل مخاطرة من السندات التقليدية, ولكنها أقل عائداً منها. في حين أنّ السندات الحكومية أعلى منها سيولةً, ولم تتعرض إلى مخاطر الائتمان.

وقامت دراسة ناصر وبن زيد (2012) بقياس المخاطر النظامية وغير النظامية للصكوك الحكومية السودانية فقاست التغير في عوائد كلّ من شهادات شهامة وصرح نتيجة للتغير في عوائد السوق مع مؤشر سوق الخرطوم للأوراق المالية ومؤشر داو جونز سيتي قروب للصكوك الإسلامية. واستنتجت أن مخاطرتهما أقل من مخاطرة السوق على المستوى المحلي. كما أن مخاطرة شهامة أقل من مخاطرة سوق الصكوك على المستوى العالمي. أما المخاطر غير النظامية فتمّ قياسها من خلال قياس درجة تقلب عائدها بحساب الانحراف المعياري. وتوصلت الدراسة إلى أن عوائد الصكوك تتميز بانخفاض تذبذبها خلال الأعوام 2005-2010. ولكنها تتعرض لمخاطر سياسية ناتجة عن عدم الاستقرار, إضافة إلى مخاطر التشكيك في شرعيتها وعدم إمكانية التأكد من شرعيتها. كما لم تتوصل الدراسة إلى وجود علاقة بين سعر الليبور LIBOR)) والتغير في عوائد الصكوك.

وأشارت دراسة صالح (2012) إلى أن معظم الدراسات في الصكوك السودانية ركزت على ماهية الصكوك الحكومية ومزاياها من حيث العائد لا المخاطرة بجانب دورها في إدارة السيولة من زاوية كلية. وأوردت الدراسة مجموعة من مزاياها ومنها: إسهامها في تطوير سوق الخرطوم للأوراق المالية, وتغطية نسبة كبيرة من عجز الموازنة, وتشجيع الاجتهادات الشرعية في المجال المالي. كما عدّدت مجموعة في المقابل من المخاطر التي تتعرض لها تلك الصكوك ومنها: ضعف الشفافية والإفصاح, والمخاطر التسويقية , وضعف التقارير والفتاوى.

وذهبت دراسة خير(1431هـ) إلى أن الصكوك السودانية ساهمت بصورة فعالة في مشاريع التنمية والبنى التحتية وفي إدارة السياسة النقدية, والحد من التضخم نوعا ما' واستقرار سعر الصرف؛ إلا أنّ الدراسة لم تشر إلى المخاطر أو التحديات التي تواجهها تلك الصكوك.

وتذهب دراسة عجبنا (1434, 269) إلى أنّ عوائد شهامة أعلى من عوائد الصكوك بدول الخليج حيث بلغ أعلى عائد 11% لشركة الأركان السعودية.

وقد توصلت البحوث التي تناولت التجربة السودانية في إصدار الصكوك إلى أنّها إيجابية على العموم بالرغم من وجود بعض السلبيات التي يمكن تداركها. وقد اعتمدت كل تلك البحوث والدراسات التي تناولت التجربة السودانية وغيرها على القيم الاسمية للعوائد في التحليل, ولم تحاول قياس القيم الحقيقية لها بالرغم من أنها أشارت إلى وجود مخاطر التضخم ومخاطر العملة. كما أنّ المقارنة بين العوائد تمّت على أساس القيمة الاسمية أيضاً كما ذهبت إليها دراسة عجبنا (1434) , وهي مقارنة غير واقعية لأنّ معدلات التضخم بدول الخليج أقل بكثير من معدلاته بالسودان؛ مما يقتضي أهمية حساب القيم الحقيقية لعوائد الصكوك العالمية لتكون المقارنات منطقية ومقبولة.

5. الصكوك الإسلامية في السودان

عندما أزمعت الحكومة السودانية إصدار الصكوك في التسعينات من القرن الماضي أصدرت قانون الصكوك لعام 1995 لينظِّم إصدارات الصكوك, فحدّد الجهات التي يحق لها الإصدار وهي كلها جهات حكومية. وقد أُنشِئت شركة السودان للخدمات المالية مشاركة بين ووزارة المالية وبنك السودان لإدارة عملية إصدار الصكوك. وقامت الشركة بإصدار عدد من الشهادات أهمها ما يلي:

أولاً: شهادات مشاركة البنك المركزي (شمم)

وهي عبارة عن أصول تمثل أنصبة محددة في صندوق خاص يحتوي علي الأصول المملوكة لبنك السودان ووزارة المالية في القطاع المصرفي , وتهدف إلى التحكم في السيولة عند المصارف. وقد بدأ العمل بها عام 1998 وأوقفت عام 2004..(شركة السودان للخدمات المالية).

ثانياً: شهادات المشاركة الحكومية (شهامة)

وهي عبارة عن صكوك مالية تقوم علي أساس شرعي تصدرها وزارة المالية والاقتصاد الوطني مقابل أصول حقيقية مملوكة لها نيابة عن حكومة جمهورية السودان ويتم تسويقها عبر شركة السودان للخدمات المالية المحدودة. وتوزع الأرباح على مالكيها بنسبة حصتهم في صافي حقوق الملكية علي مدي فترة الشراكة. وتتمثل الأهداف الأساسية لهذه الشهادات في إدارة السيولة على مستوى الاقتصاد الكلي عبر ما يعرف بعمليات السوق المفتوحة. وكذلك في تغطية جزء من العجز في الموازنة العامة. هذا إضافة إلى دورها في تجميع المدخرات القومية وتشجيع الاستثمار.(شركة السودان للخدمات المالية).

ومن أهم مميزات شهامة المعلنة ارتفاع العائد وقصر فترة السريان (عام واحد) وقابليتها للتداول في السوق الثانوية .(خير, 2012).

ثالثا: صكوك الاستثمار الحكومية (صرح)

وهي عبارة عن وثيقة ذات قيمة اسمية محددة تتيح لحاملها المشاركة في تمويل أصول حكومية عن طريق عقود الإجارة والمرابحة والاستصناع.

وتهدف إلى ما يلي:

- إدارة السيولة في الاقتصاد الكلي عبر ما يعرف بعمليات السوق المفتوحة.
-.تغطية جزء من العجز في الموازنة من موارد نقدية حقيقية.
- إيجاد مجالات جديدة للاستثمار بتفعيل الأصول التي الدولة.

رابعا: صكوك إجارة البنك المركزي (شهاب)

وهي صكوك مالية يتم إصدارها علي صيغة الإجارة وذلك بغرض تمكين بنك السودان المركزي من إدارة السيولة وتوفير فرص استثمارية تحقق ربحا لحملة هذه الصكوك عن طريق تصكيك أصول البنك المركزي وعرضها للمستثمرين. (شركة السودان للخدمات المالية).

خامساً: شهادات إجارة أصول مصفاة الخرطوم للبترول (شامة)

ويتم إصدارها على صيغة الإجارة الإسلامية بغرض حشد الموارد من المستثمرين عن طريق عقد الوكالة الشرعية لتوظيفها لشراء أصول المصفاة وتأجيرها لوزارة المالية إجارة تشغيلية لتحقيق عوائد مجزية للمستثمرين فيها.

وتهدف شهادات (شامة) إلى: توفير فرص استثمارية تحقق ربحاً لحملتها. وكذلك إضافة ورقة مالية جديدة وتوفير موارد مناسبة للدولة. (شركة السودان للخدمات المالية).

6. الدراسة التطبيقية: حالة شهادات شهامة

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الذي يقوم على " دراسة الظواهر كما هي في الواقع والتعبير عنها بشكل كمي يوضّح حجم الظاهرة ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى, أو بشكل كيفي يصف الظاهرة ويوضّح خصائصها".(جودة, 2103 , 133)

كما اتبعت المنهج التاريخي الذي يستخدم في " دراسة الظواهر والأحداث والمواقف التي مضى عليها زمن قصير أو طويل... كما يرتبط بدراسة ظواهر حاضرة من خلال الرجوع إلى نشأة

هذه الظواهر والتطورات التي مرت عليها والعوامل التي أدت إلى تكوينها بشكلها الحالي" (عبيدات وآخرون , 2011, 170).

ولقد تم اختيار شهادات شهامة من بين الصكوك السودانية لدراستها؛ لأنها الثانية في الترتيب من حيث الإصدار والأعلى عائدا والأكثر شهرة. وقد وجدت إقبالا كبيرا من المصارف والشركات والصناديق حيث تراوحت نسبة مشاركتها فيها ما بين 62.3% و74.4% بين عامي 2005 و2014. (بنك السودان).

وفي الجدول رقم (1) استُخدِمت معادلة فِشر Fisher Equation لحساب القيمة الحقيقية وهي كما يلي:

جدول (1) معدل العائد السنوي بعد استبعاد أثر التضخم

السنوات	معدل العائد السنوي %	معدل التضخم%	معدل العائد الحقيقي%	السنوات	معدل العائد السنوي %	معدل التضخم%	معدل العائد الحقيقي%
1999	33.4	16	17.4	**2008**	15.8	14.3	1.5
2000	26.9	8	18.9	**2009**	15.8	11.2	4.6
2001	30.1	4.8	26.7	**2010**	15	13	2
2002	23.1	8.3	14.8	**2011**	18	18	0
2003	20.1	8.3	11.8	**2012**	17.7	35.6	(17.9)
2004	19.1	7.3	12.8	**2013**	18.5	36.5	(18)
2005	20.3	8.5	11.8	**2014**	18.6	38	(20.6)
2006	15.6	7.2	8.4	**2015**	18.5	16,9	1.6
2007	15.9	8	7.9	**2016**	18	13	5

من إعداد الباحث بناء على تقارير بنك السودان وشركة السودان للخدمات المالية

القيمة الحقيقية = سعر الفائدة الاسمي (عائد الصك) – معدل التضخم

وبتطبيق المعادلة آنفة الذكر على عام 1999 فإنّ القيمة الحقيقية = 33.4 – 16 = 17.4

وهكذا حُسِبت القيمة الحقيقية لبقية السنوات. وقد كان عائد عام.2001 وهو 26.7 % أعلى عائد حقيقي لعوائد شهامة؛ وذلك لتدني معدل التضخم إذ بلغ 4.8. وفي المقابل فإن سنة 2011 أصبح العائد الحقيقي فيها صفراً. ثم بدأت العوائد السالبة من عام 2012 إلى عام 2014 معطيةً الانطباع بأن مخاطر شهامة أصبحت عالية جدا حتى أنّ القيمة الحقيقية لرأس المال المستثمر بدأ يتآكل. ففي عام 2012 أصبحت القيمة السالبة للعوائد والتي تساوي (17.9) تعني أن المستثمِر لم يفقد العائد المتوقع فحسب بل فقد جزءاً معتبراً من رأسماله المستثمَر.

جدول (2) نسب العائد الحقيقي إلى العائد السنوي

السنوات	معدل العائد السنوي %	معدل العائد الحقيقي%	نسب العائد الحقيقي إلى السنوي%	السنوات	معدل العائد السنوي %	معدل العائد الحقيقي%	نسب العائد الحقيقي إلى السنوي%
1999	33.4	17.4	52	**2008**	15.8	1.5	9.5
2000	26.9	18.9	70.3	**2009**	15.8	4.6	29.1
2001	30.1	26.7	88.7	**2010**	15	2	13.3
2002	23.1	14.8	64.1	**2011**	18	0	0
2003	20.1	11.8	58.7	**2012**	17.7	(7.9)	(101)
2004	19.1	12.8	67	**2013**	18.5	(18)	(97.3)
2005	20.3	11.8	58	**2014**	18.6	(20.6)	(110.8)
2006	15.6	8.4	53.8	**2015**	18.5	1.6	8.4

27.7	5	18	**2016**	49.7	7.9	15.9	**2007**

من إعداد الباحث بناءً على الجدول رقم (2)

وحتى إذا استخدمنا طريقة أخرى لحسابها بدلاً من معادلة فشر وهي: حاسبة المعدل الحقيقي للعائد. Real Rate of Return Calculator

وهي كما يلي: المعدل الحقيقي للعائد = $\frac{1+\text{العائد الاسمي}}{1+\text{معدل التضخم}}$ -1

فإنّ المعدل الحقيقي لعائد سنة 1999 سيكون 15% بدلا من 17.4% أي بفارق 2.4%. وهي لا تغير كثيراً في النتائج التي تمّ التوصل إليها بمعادلة فشر.

ويلاحظ من الجدول رقم (2) أنّ أعلى نسبة عائد حقيقي إلى عائد اسمي قد بلغ 88.7% وذلك عام 2001. وقد نزلت نسب العائد الحقيقي عن 50% منذ عام 2007 وحتى عام 2016 مشكِّلةً أكثر من نصف سنوات الدراسة. كما أصبحت النسب سالبة منذ عام 2012 وبلغت مداها السالب وهو (110.8) عام 2014.

6- المناقشة

يشير تقرير بموقع شركة السودان للخدمات المالية إلى أنّ التدهور بدأ في شهادات شهامة منذ 2012. وعلّل أسباب التدهور فيها إلى عدم تغطية الاكتتاب بالكامل فيها, وارتفاع نسبة تصفيتها أكثر من 10%, والتوسع غير الواقعي في حجم الإصدارات المالية لسد النقص في الإيرادات العامة , إضافة إلى التصريح السالب من اللجنة الاقتصادية بالمجلس الوطني خلال مناقشة موازنة عام 2011 بتصفية تلك الشهادات. كما أنّ تسييل المصارف لجزء من أوراقها المالية – نتيجة للسياسة النقدية- أدّي إلى زيادة عرضها وانخفاض أسعارها في السوق الثانوي؛ مما أدّى إلى انخفاض الطلب عليها في السوق الأولي.(www.shahama-sd.com /ar /reports-studies)

وقد انخفض نصيب مبيعات الجمهور من شهادات شهامة من 20.7% عام 2010 إلى 13.7% عام 2014.(بنك السودان). ويمكن أن يُستنتَج من ذلك عزوف الجمهور إلى حدٍّ ما عن هذه الشهادات وأنها لم تعد استثمارا مناسبا لهم, وأن هنالك بدائل أفضل منها تعوِّضُهم مخاطر الانخفاض في سعر صرف العملة والارتفاع في معدلات التضخم.

ويرى بعض المسئولين أن هذه الشهادات تقدم أرباحا قد لا توازى معدل التضخم ولكنها تعوض كثيرا من معدلاته التي تجعل كثيرا من الأشخاص يتوجهون إلى العقارات والسيارات وغيرها واستخدامها كمخزن لقيمة العملة من مخاطر التضخم وانخفاض سعر العملة.(Suna –sd.net). أما المصارف والشركات فإنها من المرجح أنها لم تجد بديلاً أكثر أماناً وعائداً منها فلذلك اتجهت إليها.

وبالرغم من أنّ معدلات التضخم عالية حسب التقارير الرسمية فإنّها لم تسلم من النقد. فقد ذهب بعض الخبراء والباحثين إلى أن معدلات التضخم ليست دقيقة وأنها أقل من معدلاتها الحقيقية. ويذهب بعض الاقتصاديين إلى أنّ معدلات التضخم الحقيقية حالياً في السودان أعلى بكثير من المعدلات الرسمية التي تعلنها الحكومة، وأن مستويات التضخم الحقيقية تتراوح بين 60% و80%، وليس كما يؤكد الجهاز الحكومي للإحصاء بأنها عند مستوى 42%؛ لأنه يحاول بذلك طمأنة المواطنين؛ ولذا لا بد أن تتوفر الشفافية في عرض المعلومات. (alarabiya.net,2013).

ومن المعلوم أنّ السعر الموازي هو المحرك الفعلي للنشاط الاستيرادي بالسودان ؛ إذ أنّ المستوردين يعتمدون على السعر الموازي في توفير الدولار؛ لأن بنك السودان لا يستطيع أن يفعل ذلك بعد الشح الشديد والمتزايد في موارده من العملات الصعبة. وهذا الاعتماد شبه الكامل على السوق الموازي يجعل السلطات النقدية عاجزة عن السيطرة على التضخم ؛ لذا تتزايد وتيرته وتنعكس بالتالي سلبا على الاقتصاد القومي بكامله.

ويدلّ ما سبق أنّ التضخم يشكل خطرا ذا بال على عوائد شهادات شهامة, وهو ما يتفق مع الدراسات التي أشارت إلى تعرض الصكوك إلى مخاطر التضخم مثل: دراسة Abdul Rauf (2014) ,و دراسة Azhar Haider& (2010) التي أشارت إلى مخاطر تحقيق القيمة الاسمية. وهذه النتيجة تناقض ما ذهب إليه أبو غدة (1426, 25) من أنّ الصكوك الإسلامية لا تتعرض إلى مخاطر التضخم.

وإذا افترضنا أنّ مستثمراً اشترى شهادة شهامة بمبلغ 1000 جنيه وكان العائد 18% فإنّ القيمة الاسمية لاستثماره بنهاية السنة تكون 1180. وإذا خصمنا منها معدل التضخم الحقيقي ـــ لا الرسمي المعلن ـــ الذي لا يقل عن 50 % ؛ فإن القيمة الحقيقية النهائية لاستثماره تنزل إلى 590 جنيهاً. ومع استمرار تنامي معدلات التضخم فإنّ المبالغ المستثمرة ستفقد الجزء الأكبر من قيمتها. وهذه الملاحظة توافق ما أشارت إليها دراسة Firooze (2012) من تسمية مثل هذه الحالة خطر فقدان قيمة الاستثمار.

وفيما يخص فعلية أرباح شهادات شهامة ـــ والتي تنعكس على شرعيتها ـــ فقد شكّك عدة اقتصاديين وبعض الجهات الرسمية في فعليتها. فقد أكد المراجع العام في تقريره السنوي عن العام المالي 2009 أن شهادات شهامة لم تحقق الهدف الرئيس الذي أصدِرت من أجله، وعلى رأسه توفير السيولة اللازمة لتمويل العجز الجاري لموازنة الدولة والحد من الاستدانة من الجهاز المصرفي، وأنها أصبحت عبئاً إضافياً على وزارة المالية بسبب تحملها لعمولة التسويق المستحقة لشركة الخدمات المالية والأرباح المدفوعة لحملة الشهادات. وطالب بإعادة النظر في سياسة الأرباح التي قال إنها توزع أرباحا من المالية وليست أرباحا فعلية نتجت عن استثمارات معلومة المصدرة. (sudaress.com)

ويذهب بعض الاقتصاديين إلى أن الصكوك الحكومية لم تشهد خسارة مطلقا على الرغم من المصاعب الكثيرة التي اعترضت مسار الاقتصاد السوداني؛ مما يدل على أن الحكومة توزع أرباحاً وهمية على المساهمين حتى تضمن الاكتتاب فيها مجددا مما يزيد التزاماتها المالية. وهذا التصرف يجعل هذه الصكوك عرضة لفقدان الشرعية الفقهية القائمة على تقاسم الأرباح والخسارة. (sudaress.com)

وممّا يقوّي مثل هذه الشكوك في فعلية الأرباح أنّ شركة سوداتل قد تعرضت إلى خسائر وأرباح أشارت إليها بيانات الشركة المنشورة بسوق أبو ظبي بأنها قد حققت أرباحاً صافية بلغت حوالي 50 مليون دولار أمريكي عام 2014 مقابل خسائر صافية بلغت 16.86 مليون دولار عام 2013. (mubasher/news).inf. وبالرغم من ذلك فقد كان عائد شهامة عامي 2013 و2014 يساوي 18.5% و18.6 % على التوالي, ولم تنعكس خسائر عام 2013 سلبا على عائد تلك السنة, ولا أرباح عام 2014 إيجاباً على عائدها إلا بزيادة طفيفة ؛ خاصة وأن شركة سوداتل تساهم ب 28% من صندوق الشركات الحكومية الذي أُنشئ لإصدار شهادات شهامة, وهي أفضل الشركات المكونة للصندوق أداءً, ولها عدة أفرع بالدول الأفريقية.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن معدلات الأرباح التي توزّعها شهادات شهامة مبالغ فيها تتجاوز حدود العوائد المتعارف عليها والمجربة تاريخيا في كل أسواق رأس المال المشروعة في العالم. (Sudaneseeconomist.com)

ولهذه الأسباب وغيرها فإنّ الشكوك أصبحت تساور شهادات شهامة من عدة نواحٍ؛ وذلك لأنّ الجهات الحكومية المسئولة لم تفصح عن أداء الشركات المكونة لشهامة وميزانياتها وأرباحها وطريقة توزيعها للأرباح, خاصة وأنّ أرباح شهادات شهامة توزع كل ثلاثة أو ستة أشهر في حين أن أرباح الشركات توزع سنويا.. كما أنّ التقارير المنشورة الصادرة من الجهات الرسمية لم تشر قطّ إلى أرباح الشركات المكونة للصندوق وكيفية توزيعها على حملة الشهادات.

ضعف في الشفافية وجود وهذه النتيجة تؤكّد ما أشارت إليه دراسة صالح (2012) من الإفصاح في التقارير المالية.

كما أن التوسع غير الواقعي في حجم الإصدارات المالية لسد النقص في الإيرادات الذي أشار إليه تقرير بموقع الشركة واعتماد وزارة المالية على سداد هذه الالتزامات على الإصدارات الجديدة لشهادات شهامة ,وفي حال فشل هذه الإصدارات تعجز وزارة المالية عن السداد.

(http://www.shahama-sd.com/ar/reports-studies?)

ويشير تقرير المراجع العام لجمهورية السودان أنه لا توجد أرباح محملة من هذه الشركات, كما تم توزيع مبالغ لحملة الشهادات دون تحقق أرباح فعلية؛ إلا أن هيئة الرقابة الشرعية ترى أن الأرباح صحيحة شرعا.

(التقرير السنوي لشركة السودان للخدمات المالية المحدودة, 2015).

وبناءً على ما سبق يمكن استنتاج أنّ هذه الإصدارات تثير الشكوك خاصة عندما التحفظات تصدر من أعلى سلطة مالية وأخرى رقابية. وهذه النتيجة تتفق مع ما أشارت إليه دراسة ناصر وبن زيد (2012) وسمتها مخاطر التشكيك في الشرعية, ودراسة أبو عوض(2013) وسمتها مخاطر مخالفة الشريعة الإسلامية. وتشير دراسة إدريس (347,1434) إلى أنّ من شروط إصدار الصكوك أن يكون الغرض من إصدارها "هو المشاركة فعلاً وليس الاقتراض, ويترتب على هذا مشاركة جميع حاملي صكوك تلك الشركة في أرباحها إن وُجِدت. كما عليهم تحمل خسائرها إنْ وقعت".

ويذهب الباحث إلى أنّ تطمينات هيئة الرقابة الشرعية لا تكفي , فلا بد من إفصاح مالي وشفافية يزيلان الشكوك التي تساور الحريصين على أهمية التزام هذه الصكوك وغيرها من المنتجات الإسلامية بالضوابط الشرعية التي لا خلاف عليها.

7- الخاتمة والتوصيات

الخاتمة

اتضح من النتائج أن شهادات شهامة تعرضت إلى مخاطر عالية جدا بسبب مخاطر التضخم التي قد لا يكون لها مثيل في الصكوك العالمية الأخرى. وهذه المخاطر ناتجة عن المخاطر الاقتصادية والسياسية التي يمر بها السودان ولم تعالج حتى الآن. وقد قاربت القيمة الحقيقية للعوائد إلى الصفرَ منذ عام 2011, وانخفضت إلى أرقام سالبة بعد ذلك وبلغت مداها عام 2014 نهاية الدراسة. وهذا يعني أن المستثمر لم يخسر العائد فقط بل فقد جزءا معتبرا من رأسماله. وإذا استمر الانخفاض على هذا المنوال فلربما يؤدي ذلك إلى تآكل شديد في المبالغ المستثمرة في هذه الشهادات. كما أن الصكوك السودانية الأخرى ستكون أسوأ حالا لأنها أقل عائدا ومددها أطول؛ فتكون أكثر عُرضةً إلى مخاطر التضخم.

التوصيات

يوصي الباحث بما يلي:

1. أن يضع الباحثون في الحسبان القيم الحقيقية للعوائد, وألا يعتمدوا على القيم الاسمية فقط عند دراسة مخاطر عوائد الصكوك.
2. أن تُجرى البحوث في مخاطر الصكوك الإسلامية ولا سيّما تلك المعرضة أكثر لمخاطر سعر الصرف والتضخم ولتسهيل المقارنة بين عائدات الصكوك المختلفة.
3. أن تراعي الجهات المصدرة للصكوك الشفافية والوضوح, وألا تخفي عن المستثمرين المخاطر المحتملة من استثماراتهم في الصكوك ,وألا تدلِّس فيما تنشرها من مميزات لها.
4. أن تلتزم الجهة المصدرة للصكوك بنشر البيانات المالية للشركات المكونة لصندوق شهامة وكيفية احتساب عوائد شهامة من أرباح تلك الشركات لإثبات فعلية العوائد من عدمها.

5. أن تربأ الجهات الحكومية المُصدرة للصكوك بنفسها عن إعطاء عوائد غير فعلية تُدخلُها في الربا المحرم شرعاً, أو تقوم بتصرفات تشكّك الناس في مصداقيتها وفي الاقتصاد الإسلامي ككل.

المراجع

1ـــ أبوبكر, صفية أحمد(2009). الصكوك الإسلامية بحثٌ مقدَّمٌ إلى ***"مؤتمر المصارف الإسلامية بين الواقع والمأمول" دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي*** مايو 3 – يونيو.

2 ـــ أبو عوض, محسن (2013). الصكوك الإسلامية ومخاطرها, ***مجلة الدراسات المالية والمصرفية*** م 1, ع1, يناير.

3ـــ أبو غدة ,عبد الستار(1426هـ - 2005م) ***بحوث في المعاملات والأساليب المصرفية الإسلامية*** ج 6 جدة: مجموعة دلة البركة.

4ـــ إدارة الخزينة في البنك الإسلامي للتنمية , إخفاق/ إعسار بعض الصكوك: الأسباب والآثار ***ندوة الصكوك الإسلامية (عرض وتقويم)*** جدة جامعة الملك عبد العزيز 10-11 جمادى الآخرة 1431 الموافق 24-25 مايو 2010

5ـــ إدريس, عمر محمد (1434) ***المال واستخداماته بوصفه أصلاً في إصدار الصكوك في سوق الأوراق المالية.*** دبي: جمعية دار البر

6ـــ حسان ,حسين حامد (1432هـ2011 م) إصدار الصكوك بمراعاة المقاصد والمآلات وملكية حملتها وضمانتها ***بحوث ندوة البركة الثانية والثلاثون للاقتصاد الإسلامي*** الأربعاء والخميس 11 - 10 رمضان - الموافق 11 - 10أغسطس فندق هيلتون – جدة.

7ـــ حطاب, كمال توفيق.((2009الصكوك الإسلامية والتحديات المعاصرة , بحثٌ مقدَّمٌ إلى ***"مؤتمر المصارف الإسلامية بين الواقع والمأمول" دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي*** مايو 3 – يونيو

8- جودة, محفوظ (2013) ***أساليب البحث العلمي في ميدان العلوم الإدارية.*** عمان: دار زهران للنشر والتوزيع

9ـــ خير, عثمان حمد محمد (1431هـ) تجربة السودان في مجال إصدار الصكوك الحكومية. ***ورشة عمل الصكوك الإسلامية, تحديات – تنمية وممارسات دولية,*** الأردن, 6-7 شعبان.

10- رمضان, زياد ط4(2009).***مبادئ الاستثمار المالي والحقيقي.*** عمّان , دار وائل للنشر والتوزيع

11- شركة السودان للخدمات المالية المحدودة, التقارير المالية 2010-2015

12ـــ صالح ,فتح الرحمن علي محمد (2012) إدارة مخاطر الصكوك الإسلامية بالإشارة للحالة السودانية, ***ملتقى الخرطوم للمنتجات المالية الإسلامية***, 5-6 أبريل دوابه , أشرف محمد (دت). إدارة مخاطر الصكوك الإسلامية, متاح على الرابط http://iefpedia.com/arab

13ـــ بن زيد, ربيعة(2012). ***الصكوك الإسلامية وإدارة مخاطرها، دراسة تقييمية لحالة الصكوك الحكومية السودانية المدرجة بسوق الخرطوم للأوراق المالية للفترة (2005- 2010)-*** رسالة ماجستير

14- صندوق النقد الدولي (2014) ***التقرير القطري رقم 14/249*** عن السودان شهر أغسطس

15ـــ عبد الحي ,محمد عبد الحميد (2014), ***استخدام تقنيات الهندسة المالية في إدارة المخاطر في المصارف الإسلامية*** أطروحة الدكتوراه ,جامعة حلب كلية الاقتصاد

16ـــ عثمان (د.ت) محمد تقي ***الصكوك وتطبيقاتها المعاصرة*** متاح بالرابط http://www.slideshare.net/fatehfateh/ss-33456933

17ـــ عجبنا , عبد الله علي (1434) ***العوامل المؤثرة في إصدار صكوك الاستثمار الإسلامية من قبل منظمات الأعمال: دراسة حالة التجربة السودانية 1998-2011***. جدة: مجموعة البركة المصرفية

18- بن علي, بلعزوز (2010).استراتيجيات إدارة المخاطر في المعاملات المالية ***مجلة الباحث*** –ع 07

19ـ مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي(1430 هـ،2009م) قرار رقم 178 (19/4) الصكوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها ***الدورة التاسعة عشرة المنعقدة في إمارة الشـــارقة (دولة الإمارات العربية المتحدة)*** من 1 إلى 5 جمادى الأولى الموافق 26– 30 نيســـان (إبريل) متاح على الرابط http://19sh.c-iifa.org/qrart-twsyat/

20- - محيسن(1430 هـ) فؤاد محمد أحمد, ***الصكـوك الإسلامية (التوريق) وتطبيقاتها المعاصرة, مركز أبحـاث فقـه المعـاملات الإســلاميـة***. متـاح على الرابط-http://www.kantakji.com/sukuk-and investments-funds

21– ـــ مطر, محمد ط 4(2009). ***إدارة الاستثمارات: الإطار النظري والتطبيقات العملية***. عمّان , دار وائل للنشر والتوزيع

22ـــــ منصور ,عبد الملك (2009) العمل بالصكوك الاستثمارية الإسلامية والحاجة إلى تشريعات جديدة بحثٌ ***مقدّمٌ إلى مؤتمر المصـارف الإسـلامية بين الواقع والمأمول دائرة الشـؤون الإسـلامية والعمل الخيري بدبي*** , مايو 3 – يونيو

23 ـــــ ميرة , حامد بن حسن (1432)ملكية حملة الصكوك وضماناتها, ***بحوث ندوة البركة الثانية والثلاثون للاقتصاد الإسلامي*** الأربعاء والخميس 11 - 10 رمضان 1432 ه - الموافق 11 - 10 أغسطس 011 م فندق هيلتون - جدة

24 ـــ ميرة , حامد بن حسن(1429 هـــ) ***صكوك الإجارة: دراسة فقهية تأصيلية تطبيقية***. بنك البلاد ودار اليمان للنشر والتوزيع متاح على الرابط www.moswarat.com

25 ـــ ناصر ,سليمان وبن زيد, ربيعة أ. (2012). إدارة مخاطر الصكوك الإسلامية دراسة تطبيقية على الصكوك السودانية الحكومية ***بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الخامس حول الصيرفة الإسلامية والتمويل الإسلامي تحت عنوان " إدارة المخاطر: التنظيم والإشراف"*** أغسطس.

26 ـ هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (2009). المعايير الشرعية ,معيار رقم17

27-Abdul Rauf, A. L. (2014). Determinants of risk and return performance significance on maturity based sukuk market structure. ***International Journal of Developing and Emerging Economics*** Vol.2, No.2, pp. 41-58, June

28-Haider , Junaid & Azhar, Muhammad (2010**) *Islamic Capital Market: Sukuk and its Risk Management in the Current Scenario,*** Umea School of Business & Economics, Umea University Sweden, Master Thesis

29-Relative Risk Of Islamic Sukuk (2011) HelmI. ,M. ,Manisamy 3- Ramasamy, Over Government And Conventional Bonds Global ***Journal of Management and Business Research*** Volume 11 Issue 6 Version 1.0 May 2011

30-http://www.cbos.gov.sd/en/node/1473 1-

31-http://suna-sd.net/suna/showDiscussions/809/1 2-

32-http://www.sudaress.com/alsahafa/15845 3-

33-http://www.alarabiya.net/ar/aswaq/special-nterviews/2013/12/09/

34-http://sudaneseeconomist.com/phpBB/viewtopic.php? f=2&t= 156 &p=8551)

35-http://www.mubasher.info/news/2730452/ 6-

36-http://www.sudaress.com/alsahafa/38775

أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 8، العدد 27 (2017). ص ص 103-112

هجرة الشباب وتأثيرها على التماسك الأسري: دراسة ميدانية في منطقة المدائن

دينا داود محمد(*)

الملخص: إن تزايد هجرة الشباب في الآونة الأخيرة في العراق ولا سيما بعد أحداث عام (2003) أدت الظروف القاسية بان تدفع الكثير من الشباب الى الهجرة بسبب ما مربه البلاد من الأزمات الأمنية والاقتصادية والطائفية التي انعكست أثارها على التماسك الأسري مما أجبر الكثير من الشباب الى ترك أسرهم وأطفالهم حفاظاً على أرواحهم وهذا ما أدى الى تفكك الأسرة اجتماعياً وإحباطها نفسياً لان أغلب الأسر معتمدة أعتماداً كلياً على الشباب فقد يكون هو الأب أو الأخ تاركاً كل شيء ورائه فتصدعت العلاقات الأسرية بسبب غياب دور السلطة في حفظ الأمن في البلاد وفقدان الدولة هيبتها وتعطيل القوانين واختفاء القضاء في المؤسسات الأمنية فأدى ذلك الى الفوضى وانتشرت ظاهرة الانفلات السلوكي وهذا ما اثر على أكثر شريحة في العراق وهي الشباب فهم الأكثر تضرراً فهم المستهدفون في كل مكان بالقتل والاعتقال والتشريد والبطالة وضياع مستقبلهم، وباستمرار التدهور في الأوضاع الأمنية شهد العراق في الفترة الأخيرة هجرة للشباب لم يشهدها من قبل وهذا ما اثر على البنية المجتمعية والأسرية والاقتصادية لان إفراغ أي بلد من طاقاته الشبابية يؤدي الى إضعاف البنية للبلد فقد أصبح الشباب العراقي أمام خيارين أما الموت وضياع المستقبل تماماً في العراق أو الهجرة وهذه هي الحقيقة المرة.

الكلمات المفتاحية: هجرة، الشباب، التماسك الاسري.

Youth Migration and its Impact on Family Cohesion

Dena Dawood Mohammed

Abstract: That the increasing migration of young people recently in Iraq, especially after a year of anniversaries (2003) resulted in the harsh conditions that drive many young people to emigrate because of what passed by the country's security, economic and sectarian crises that reflected their effect on family cohesion, forcing many young people to leave the their families and their children for their lives and that's what led to the disintegration of the social family and frustration psychologically because most families are supported entirely on their youth might be the father or brother, leaving everything behind Vtsdat family relationships due to the absence of the role of the Authority in maintaining security in the country and the loss of state prestige and disrupt law and the disappearance of eliminating the security institutions this led to chaos and widespread phenomenon of uncontrollable behavioral and this is what the impact on the more slice in Iraq, a young people understand the most affected understand the targeted everywhere murder, detention and displacement, unemployment and the loss of their future, and constantly deterioration in the security situation, Iraq has seen in the recent period the migration of young people did not seen before and this is what the impact on the community, family and economic structure, because any country emptied of its energies youth lead to a weakening of the structure of the country Iraqi youth has become a choice but death and the loss of future completely in Iraq or immigration, and this is the bitter truth.

Keywords: Migtation, Youth, House hold cohesion.

(*)جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم الخدمة الاجتماعية، البريد الالكتروني salahalshjere@yahoo.com

المقدمة

إن انتقال الشباب من بلد إلى بلد أخر حفاظا على حياتهم وبحثاً عن فرص عيش أفضل، ولا سيما في مجتمعنا العراقي بعد عام (2003) كثره هذه الظاهرة فترك الشباب أسرهم وبلدهم وهاجروا إلى بلادا اخرى لتوفير لهم حياة كريمة أفضل وأكثر أمناً على أرواحهم بسبب ما مرت به البلاد من القتل على الهوية والتهجير ومن الظروف السياسية والاقتصادية قد أسهمت بتفكك في البنى والوظائف والعلاقات القيمية للمجتمع بعد أن تعرض العراقيون بسبب الأزمات التي مروا بها (الحروب والحصار والاحتلال) الى ضغوط نفسية متواصلة أدت إلى تكوين مجموعة من المشكلات والتحديات ويشمل هذا الوضع في العنف المسيطر على حياة العراقيين فضلاً عن المشكلات الاقتصادية المتمثلة بالبطالة والفقر وضعف أداء المؤسسات وغياب الشعور بالأمان نتيجة الوضع الأمني المتدهور فكثرت المشكلات الناتجة عن هذا التدهور أرتفاع نسب الفئات المهشمة وحالات التهجير القوي لمئات الآلاف بسبب عدم وجود سياسة متكاملة لمعالجة المشكلات الداخلية والخارجية وهذا ما أثر على التماسك الأسري فقامت بتفكيكه وترك الشباب أسرهم بسبب فشل السياسي والاقتصادي لأداره البلاد، الأمر الذي يدل على فشل مؤكد لقادة البلد في الإدارة والاقتصاد ولم تكن هجرة الشباب العراقيين وليدة اليوم ولاسيما العراقيين بفئاتهم العمرية المختلفة صغاراً أو شباباً أو كباراً لكن النصيب الأكبر من الهجرة كانت من الشباب بسبب ما مر به البلد من حروب والأنظمة القمعية وأنهكته شتى أنواع الحصار والإرهاب المحلي والإقليمي والدولي ثم اخترقه الفساد الحكومي من أدناه إلى أقصاه بحيث لم يبقى مرفقاً حكومياً صغيراً وكبيراً آلا وضربه الفساد الإداري والمالي ,فحدث اليوم هجرة جماعية لشباب العراق لم نشهد لها مثيل في تاريخه ولعل المفارق الغريبة تكمن في تساؤل قادة البلد والسياسيين عن أسباب هجرة الشباب، وكأنهم بعيدون كل البعد عن تلك الأسباب بالتغاضي[1].

مشكلة البحث

الشباب هم الثروة الحقيقة للأمة فلابد من تهيئة بيئة تمكن الناس من التمتع بحياة صحية وطويلة خلاقة فالشباب يمثلون فرصة كبيرة وقنبلة زمنية كافية في الاستراتيجيات التنموية الحالية فأن الضرورات الأساسية لبناء المجتمع تقتضي وجود منهج متماسك ورصين للعمل في الميدان فالمجتمع العراقي واجه ظروفاً استثنائية كالحروب والنزاعات هو العنف ولعقود من الزمن أدت إلى تدهور الأحوال المعيشة للعراقيين والى إفقارهم وارتفاع الخسائر البشرية والمادية الكبيرة جداً ولاسيما من الشباب فضلا عن التهجير داخل العراق وخارجه الذي يعد من أفقر نتائج النزاعات إلى جانب السياسات حيث تنعكس أثارها على البنى المجتمعية ووظائفها فهذا أدى إلى هجرة الشباب وعدم قدرتهم على البناء بسبب فقدانهم إلى عنصر الأمان بالدرجة الأولى الذهاب إلى مكان أخر خارج حدود مناطق الخطر في بلاده وفقدان الأرض يتآزر مع الإهمال الحكومي للشباب فتصبح الهجرة هدفاً مقنعاً , إما من أسباب التشجيع للهجرة عصابات التهريب التي تجني أموالا طائلة منها حيث تروج للهجرة وفق خطط مدروسة تدفع الشباب الى التعاقد مع هذه المافيات والعصابات تجعلهم يدفعون أموال كبيرة حتى من دون ضمان فضلاً عن مخاطر الهجرة التي غالباً ما تكون غير مشروعة وعبر طرق غير آمنه كالبحار والغابات وما شابه وهي مميته في معظم الأحيان ومع ذلك يفضل الشباب الهجرة مع المخاطر على البقاء في بلاد لا تحافظ على حقهم في حياة كريمة تتضمن حاضرهم ومستقبلهم وهذا ما أثر على أسرهم , فالمجتمعات الغربية تفتح أبوابها أمام الشباب والدول العربية ولا سيما شباب العراق وذلك للاستفادة منهم وزيادة خبراتهم وطاقتهم ولتنمية وتطوير بلدهم لكن شباب العراق لم يهاجروا بدون أسباب وإنما نتيجة سوء الأوضاع من

[1] اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، تحليل الوضع السكاني في العراق، 2012، التقرير الوطني الثاني حول حالة السكان في أطار توصيات المؤتمر الدولي للسكان والتنمية والأهداف الإنمائية.

تدخل القوى الخارجية الغريبة من العصابات والفشل الحكومي والاقتصادي ونعني به الفساد المالي وهدر ثروة البلاد الكبيرة في الصفقات الفاسدة والوهمية، واختلاس مليارات الدولارات مع الإفلات من العقاب، في حين كان أن يتم توظيف هذه الأموال الكبيرة في مشـــاريع تخدم الشـــباب وتمتص طاقتهم ليعيشوا حياة هادئة مع أسرهم، ويتم من خلال ذلك توظيف العقول الشبابية والعقول المتميزة وفي الوقت نفسه تبنى البلد بطريقة متطورة لكن فشل القادة العراقيين في أدارة الشؤون السياسية حيث أدى هذا الفشل الى غياب أهم عنصر لتوثيق العلاقة بين الشباب وبين وطنهم ألا وهو عنصر الأمان , فالشباب الذي يقبل على الحياة والعمل بشغف يحتاج إلى وسط آمن ينشط فيه ويبني حياته ويحافظ على أسرته.

أهمية البحث

الشـــباب هم رجال الغد ونور المســـتقبل والثمن التي تملكه ألامة من الطاقات البشـــرية والقوى الاحتياطية التي تعد نفســـها في المســـتقبل أمور الحياة بأكملها وأنهم نور وأمل للحياة في التغيير والتطوير والتحديث والعناية بهم والاهتمام بتوفير فرص عمل وعنصـــر الأمان لهم على حياتهم ومســـتقبلهم من خلال تهيئتهم من الناحية التربوية التعليمية والاقتصـــادية الثقافية وإعدادهم أعدادا علميا وعمليا يكفل لهم استثمار طاقاتهم , فالشباب يمثلون الركن الحيوي من أركان البناء الاجتماعي من حقه أن يفسح له المجال لأداء دوره الاجتماعي في المجتمع وان يتمتع بالمكانة التي يستحقها بين أعضاء المجتمع في مختلف شرائحهم وتنوع أدوارهم داخل المجتمع فهجرة الشباب لها أهمية بالغة لمستقبل التنمية في العراق بوجه عام الذي يواجه مجموعة كبيرة من التحديات الجديدة تتطلب حلولاً حاسمة وسريعة من قبل الحكومة والمجتمع على سواء وتتطلب التعقيدات المتزايدة تدابير سياسية واقتصـادية ملائمة ومشـاركة كاملة من العناصـر الاجتماعية الفعالة كافة سـواء أكانت من الهيئات العامة أو الإفراد ومن ثم فأن لابد من إشـــارة الوعي المســـؤولين بأهمية المشـــكلة من اجل تعزيز المشـــاركة مع الســـلطات المركزية والإقليمية في المســـؤوليات من اجل رســـم الســـياســـات واتخاذ القرارات المطلوبة وصـــولاً لتحقيق حالة من الاســـتقرار والأمن الإنســـاني ضـــماناً لمســـيرة الشـــباب لصالح المجتمع[2].

أهداف البحث

يهدف بحثنا الحالي إلى عدة أهداف ومنها:

1- التعرف على القضـايا التي يعاني منها الشـباب والاحتياجات التي يطمع الشـباب العراقي لتلبيتها والوصول إليها.
2- التعرف على أهم المضـــامين التي يفكر بها الشـــباب في تحليله لقضـــايا وهموم وأنشـــطة وعمل مؤسساته الشبابية المحلية وعلاقتها مع المؤسسات الشبابية على الصعيد العالمي.
3- معرفة مدى تأثير هجرة الشباب على تنمية وتطوير البلد.
4- التعرف على المشكلات التي تواجه الشباب وتأثيرها على الأسرة.
5- مساعدة الشباب من قبل الدولة وأسرهم على حل مشكلاتهم.

منهجية البحث

إن صيغة المنهج في هذا البحث هو المنهج الوصفي والمسح الاجتماعي نظراً لصعوبة القيام لعملية المســـح الشـــامل قمت باســـتعمال طريقة المســـح الاجتماعي بواســـطة العينة لأنها تمثل تمثيلاً دقيقاً

[2] د. عدنان ياسين: التنمية المبكرة للطفولة العراقية خيارات التدخل من اجل التمكين، بيت الحكمة، 2010، ط1.

للمجتمع المبحوث من حيث الخصائص النفسية والاجتماعية والاقتصادية وثم تم استخدام الاستبانة للحصول على المعلومات التي يحتاج إليها الباحث ويتطلب بتدوين سلسلة من الأسئلة والمواقف التي تضمن بعض الموضوعات الاجتماعية والنفسية والتربوية التي تطبق على عينة من وجهه نظر أسر في منطقة المدائن والبالغ عددهم (20).

أهم المفاهيم والمصطلحات العلمية

تعد المفاهيم والمصطلحات العلمية احد طرق المنهجية المهمة في تصميم البحوث كما يستوجب على الباحث أن يحدد مناهجه من اجل إزالة أي سبب قد علق بذهن المجتمع ومن أهم المفاهيم:

أولاً: الهجرة

1- الهجرة لغة: - أن أصل كلمة الهجرة في اللغة العربية من (هاجر) اي مهاجرة من البلد بمعنى انه خرج من البلد إلى بلد أخر , وجاء أيضا أن المهاجرة من الأولى الى الثانية (هجرة, اهجارا) فقد جاءت من هجر ضد الوصل ومها التهاجر التقاطع[3].

2- الهجرة: أنها عملية انتقال الإفراد من دولة إلى أخرى بقصد الإقامة الدائمة فيها[4].

إما المفهوم الإجرائي لهجرة الشباب: هو انتقال الشخص من بلد إلى بلد أخر لأسباب تتعلق بالوضع السياسي الاجتماعي والنفسي وغياب دور مؤسسات الدولة ولاسيما الأمنية بما ولد الخوف والرعب لدى الإفراد والجماعات خوفا على أرواحهم وبحث عن فرص عيش أفضل.

ثانيا: الشباب: هم الإفراد الذين تتراوح أعمارهم بين الثامن عشر وأربعة وعشرين وتعتبر هذه المرحلة فيها مرحلة الرجولة ويتعاطى الإفراد في هذه التوجيه والرعاية ويكون أكثر تحررا ويحتاج إلى عناية خاصة[5].

الشباب: هي الفترة التي يبدأ بها الفرد لتكوين الذات وتكوين الشخصية المستقلة له[6].

إما التعريف الإجرائي لمفهوم الشباب: هي مرحلة عمرية محددة من بين مراحل العمر تتصف بالحرية والقدرة على تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقها حين يتخطى الفرد مرحلة التوجيه يبدأ بتكوين ذاته.

ثالثا: التماسك الأسري: هو التفاعل والتكيف مع المؤثرات الخارجية بما يمهد الحياة الأسرية المستقرة كما هناك تعاريف عديدة للتماسك الأسري ومن أهمها:

1- التماسك الأسري لغة: مسك بالشيء وامسك وتماسك واستمسك ومسك كله: وأمسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت كله[7].

2- التماسك الأسري: هو صلة الربط الوثيقة بين إفراد الأسرة الواحدة وتوفر الأمان بين الإفراد على أن تكون الأسرة وحدة واحدة تحمل القيم المجتمعية والأخلاقية ويتشارك إفرادها في همومهم ومشكلاتهم كما يتشاركون في أفراحهم وفي جو يسوده الألفة والمودة والتعاون للبناء والشعور الخالص بالانتماء[8].

أما التعريف الإجرائي لمفهوم التماسك الأسري: هو عملية اجتماعية يؤدي إلى تدعيم البناء الاجتماعي وترابط أجزاءه وتعمل على توحيد الجماعات المختلفة عن طريق روابط وعلاقات الاجتماعية مثل التوافق، التضامن، التعاون، التكافل.

---

[3]- الإمام محمد بن الرازي، مختار الصحاح، المطبعة الاميرية، 1931، ص13.

[4] - د. منصور الراوي، مجلة النفط والتنمية، وزارة النفط، العدد 14، بغداد، 1989، ص41.

[5] - عبد العزيز عبد الله الدخيل، معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية، دار المناهج للنشر، عمان، 2006، ص215.

[6] - عبير نعيم عبد الله الخالدي، الإبعاد الاجتماعية والثقافية للشباب والمراهقة في وطننا العربي، مركزا لبحوث، بغداد، 2007.ص20.

[7] - ابن منظور، معجم لسان العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993، ص555.

[8] - علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، دار دجلة والفرات، بيروت، ط2، 2010، ص302+303.

لمحة تاريخية لهجرة الشباب وتأثيره على التماسك الأسري

أن الهجرة ظاهره تاريخية قديمة في هذا الكون حيث تعود إلى المراحل البدائية لحياة الإنسان ولكن أنماط الهجرة تغيرت بتغير أسلوب الحياة فحينما كان الإنسان يبحث عن فريسته أصبح ينتقل باستمرار من مكان إلى أخر لصيد الحيوانات ولكن بقاءه لم يظل في بقعة واحدة من الأرض بل كان يبحث دائماً عن المناطق التي يعلم بوجود عدد اكبر من الحيوانات فيها وبمقدوره اصطيادها أكثر من غيرها حيث اتسمت الحركة السكانية في تلك الحقبة بمجموعة من الخصائص التي تشير اغلبها إلى افتقارها إلى عنصر الإرادة,لهذا عاش الإنسان مهاجراً في بداية حياته ولكنه حينما فكر بالزراعة أصبح يراقب محاصيله الزراعية وبهذا دخل الإنسان مرحلة جديدة في حياته بالرغم من استقراره النسبي ألا ان الهجرة بقيت ملازمة له وهي هجرة إلى التلال والكهوف والأراضي الصالحة وبهدف تبادل المنتجات الزراعية عن طريق المقايضة حيث أصبحت الهجرة ظاهرة بارزة في الوجود وتحولت الى الهجرة بين الريف والمدن، اما في مرحلة المدينة حينما أنشئت المدن وازدحمت بالسكان حيث رسمت للدولة حدودها[9].

أما الهجرات الحديثة فتقسم تاريخياً على مرحلتين : -

المرحلة الأولى هي تمتد منذ الكشوفات الجغرافية والاستعمارية حتى القرن الثامن عشر ,أما المرحلة الثانية فهي تمتد منذ القرن الثامن عشر حتى وقتنا الحاضر اي منذ الثورة الصناعية التي عمت أوربا في تلك الفترة والتغيرات التكنولوجيا التي أفرزتها هذه الثورة ثم عمت تلك الظاهرة في سائر أنحاء العالم ولاسيما في المجتمع العراقي' فتاريخ الهجرة من العراق تصاعد بعد عام 2003 بسبب إعمال العنف والإرهاب والتطرف المذهبي الذي تنفذه الجماعات المتطرفة والجهات المعادية للعراق كما هناك ألاف من الشباب هاجروا تاركين أسرهم وممتلكاتهم عرضه للنهب والسلب فالبعض منهم اجبروا على ألهجره والبعض منهم خوفا من الأوضاع في البلاد فاجبروا على العيش في أوضاع سيئة وصعبة والبعض هاجروا بطرق غير شرعية متحملين المخاطر التي ستواجههم وعاشوا في مخيمات لاتتوافر فيها الشروط الصحية فظاهرة التهجير ألقسري القائمة على الانتماء المذهبي ما تزال جارية وان قوات الجيش والشرطة غير قادرة على وقف بعض منها ' كما ان التهجير ألقسري المنظم ينطوي على إغراض تتلخص بمحاولة تصنيع خطوط تماس عرقية وطائفية تعزل العراقيين فيما بينهم على أساس الهوية الطائفية والعرقية ' هذا التطهير الطائفي والعرقي يؤدي حتماً إلى تمزق النسيج الاجتماعي المتعايش وتحويله إلى واقع اجتماعي متصارع ' أن ما قام به الاحتلال الأمريكي للعراق هو إعادة صياغة المجتمع على أساس مبدأ تحويل التعددية والطائفية مما أدى إلى انقسام المجتمع العراقي إلى عدة طوائف وقوميات[10].

هجرة الشباب وتأثيره على التماسك الأسري

أن الهجرة ظاهرة اجتماعية تاريخية إنسانية تعرضت لها معظم الشعوب والأمم في العهود والعصور الماضية والحالية ومن ضمنها المجتمع العراقي تعرض بشكل حاد ومازال يتعرض لها الكثير من الشباب اليوم بما يرافق من هزات وتغيرات مفاجئة في أنظمة أو في سيطرة جماعات تعتمد بمذهب خاص بها أو طائفة ما ولكن على حساب الطوائف الأخرى أو حتى قبيلة ما على حساب قبائل أخرى[11]

---

[9]د. منصور الراوي، مجلة النفط والتنمية، مصدر سابق، ص35.

[10]د. احمد ابو زيد. الهجرة وأسطورة العودة، مقال في مجلة عالم الفكر المجلد السابع عشر، 1986، الكويت ص 405.

[11]محمد جابر الأنصاري، جذور التنمية الإنسانية، ندوة التنمية الإنسانية، 2000، ص107.

فالعامل السياسي له الدور الأساس في هجره الشباب وترك أسرهم حفاظا على أرواحهم من الإرهاب والصراعات الطائفية التي تعد من الأسباب الرئيسية للهجرة، فيهاجر الكثير من الشباب بطرق قانونية في حين يضطر البعض إلى أساليب غير قانونية معرضين أنفسهم للخطر[12].
كما إن هجرة الشباب مشكله كبيرة لأسرهم فالبعض منهم كان المعيل لهم والبعض منهم تركوا المدارس والكليات والتخلي عن مستقبلهم للحصول على فرص عمل تساعدهم على معيشة الأسرة ولاسيما إن كان الأب متوفياً حيث ينغمس في الإعمال التي تحسن أوضاعه المادية[13].
فتعد الهجرة من اخطر نتائج الاغتراب ووصول الكثير من الذين يتعرضون له الى مرحلة اليأس بسبب ترك أوطانهم وتحويلهم من الأسر الممتدة إلى نووية وتحطم القيود القديمة لها وتضعف فيها السلطة الاجتماعية والدينية ضعفا شديدا وتترك اثر في نفسية المهاجر والأسرة تنعكس أثارها على المجتمع[14].

عرض بيانات البحث وتحليلها

1- الجنس:

يعد الجنس من المتغيرات الأساسية في البحث العلمي، ومن خلاله يمكن للباحث ان يحدد الخصائص الاجتماعية للعينة، ويعد هذا المتغير واختلافه مؤشراً في بيان هجره الشباب وتأثيرها على التماسك الأسري،,كما هنالك تباين بين كل من الذكور والإناث وأيهما أكثر تأثيراً في الأزمة.

جدول (1): يوضح جنس المبحوثين

الجنس	العدد	النسبة المئوية
ذكور	18	%90
اناث	2	%10
المجموع	20	%100

تبين من الجدول اعلاه ان عدد الذكور بلغ عددهم (18) وكانت النسبة المئوية (90%)، اما عدد الاناث فبلغ عدد (2) اي نسبتهم المئوية (10%), حيث نستنتج من هذا الجدول ان اعلى نسبة كانت للذكور وهي (90%).

2- العمر:

لاشك ان العمر له تأثيرا واضح في إجابات المبحوثين كما ينعكس على خصائصهم وصفاتهم، فالشباب من أهم شريحة عمرية وهي مرحلة تتميز باستواء النمو البدني فأراء الشباب تختلف عن أراء المسنين والاختلاف يعتمد على كيفية الخبرات والتجارب عند الفرد والتي تعتمد على عمره.

جدول (2): يوضح الحالة العمرية للمبحوثين

العمر	العدد	النسبة المئوية
20- 24	9	%45
25 – 29	5	%25
30- 34	1	%5
35- 39	3	%15
40 فأكثر	2	%10
المجموع	20	% 100

تبين من الجدول أعلاه إن أعلى فئة عمرية بين المبحوثين (20- 24) حيث بلغ عددهم (9) ونسبتهم المئوية (45%) أما الفئة (25-29) فبلغ عددهم (5) أي نسبتهم (25%)، أما الفئة (30-34) فبلغ

---

[12] د. منى فياض، أثر الاحتلال والحروب والنزاعات المسلحة على أوضاع الأسر الحربية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي أسيا، بيروت، 2003، ص12.
[13] جاسم يوسف الكندي، المدرسة والاغتراب الاجتماعي، المجلة التربوية العدد 27، الكويت، 1998، ص23.
[14] د. ليلى عبد الوهاب، مشكلات الشباب والتعليم الجامعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1998، ص36

عددهم (1) أي نسبتهم (5%)، والفئة (35-39) فبلغ عددهم (3) أي نسبتهم المئوية (15%),بينما الفئة (40 فأكثر) فبلغ عددهم (2) أي بنسبة (10%).

3- التحصيل العلمي:

يقصد بالبيانات الثقافية والتعليمية التي تميز المبحوثين فيما بينهم وتحدد مستواهم التربوي والتعليمي ,وهذا يؤثر على طبيعة أجابتهم عن أسئلة الاستبانة الموجهة أليهم ولاسيما هجره الشباب وتأثيره على التماسك الأسري.

جدول (3): يوضح التحصيل العلمي للمبحوثين

التحصيل العلمي	العدد	النسبة المئوية
أمية	2	%10
ابتدائية	3	%15
متوسطة	5	%25
إعدادية	4	%20
بكالوريوس	6	%30
المجموع	20	%100

تبين من الجدول أعلاه أن الأمية بلغ عددهم (2) أي نسبتهم المئوية بلغت (10%)، أما التحصيل الدراسي للابتدائية فبلغ (3) أي نسبتهم المئوية بلغت (15%)، أما المتوسطة فبلغ عددهم (5) أي نسبتهم المئوية بلغت (25%) أما الإعدادية فبلغ عددهم (4) أي نسبتهم المئوية (20%)،أما البكالوريوس بلغ عددهم (6) أي نسبتهم كانت (30%).

4- الحالة الزوجية:

لاشك أن الحالة الزوجية للمبحوثين تؤثر في صيغة الإجابات التي يدلي بها طالما أن خبرات الشباب العزاب تختلف عن خبرات الشباب المتزوجين وخبرات المتزوجين تختلف عن خبرات المطلقين وخبرات المطلقين تختلف عن الأرامل.

جدول (4): يوضح الحالة الزوجية للمبحوثين

الحالة الزوجية	العدد	النسبة المئوية
أعزب	5	%25
متزوج	10	%50
مطلق	3	%15
أرمل	2	%10
المجموع	20	%100

تبين من جدول أعلاه أن عدد العزاب بلغ (5) أي بنسبة مئوية (25%),أما عدد المتزوجين (10) أي بنسبة (50%) , بينما بلغ عدد المطلقين (3) أي بنسبة (15%) ,أما عدد الأرامل بلغ (2) أي بنسبة (10%).

5-هل تؤيد الهجرة؟

جدول (5): يوضح مدى تأييد ألهجرة لدى الشباب وتأثيرها على التماسك الأسري

هل تؤيد الهجرة؟	العدد	النسبة المئوية
نعم	16	%80
كلا	4	%20
المجموع	20	%100

تبين من الجدول(5) أن الذين أجابوا (بنعم) بلغ عددهم (16) أي نسـبتهم المئوية بلغت (80%)،أما الذين أجابوا بـــــــ (كلا) فبلغ عددهم (4) أي نسبتهم (20%)، إي أن أكثر المبحوثين هم يؤيدون للهجرة خارج البلاد بسبب تدهور أحوال المعيشة والخسائر البشرية والمادية الكبيرة جدا ناهيك عن الحروب والاغتيالات والتفجيرات التي أدت إلى قتل مئات ألاف من الشباب وسوء الأوضاع الأمنية فيلجئون الشباب إلى الهجرة حفاظا على أرواحهم من القتل والأوضاع السيئة التي حلت بالبلد.

6- هل باعتقادك أن الشباب المهاجرين سيؤثر عليهم المجتمع الجديد وينعكس سلبا على أسرهم؟

جدول (6): يوضح مدى تأثير الهجرة على الشباب واندماجه مع المجتمع الجديد وانعكاسه سلبا على الأسرة

هل باعتقادك ان الشباب المهاجرين سيؤثر عليهم المجتمع الجديد وينعكس سلبا على أسرهم	العدد	النسبة المئوية
نعم	15	%75
كلا	5	%25
المجموع	20	%100

تبين من الجدول أعلاه أن الذين أجابوا (بنعم) بلغ عددهم (15) أي نسـبتهم (75%) أما الذين أجابوا بـــ (كلا) بلغ عددهم (5) أي نسبتهم (25%)'وهذا ما يدل على أن هجرة الشباب تؤثر تأثير كبيرا على الشباب أولا وأسرهم ثانيا.

7- هل الهجرة برأيك بسبب الفقر وعدم توفر الدخل الكافي؟

جدول (7): يوضح هجرة الشباب إلى بلاد أخرى بسبب الفقر

هل الهجرة برأيك بسبب الفقر وعدم توفر الدخل الكافي؟	العدد	النسبة المئوية
نعم	13	%65
كلا	7	%35
المجموع	20	%100

تبين من الجدول أعلاه أن الذين أجابوا (بنعم) بلغ عددهم (13) أي نسبتهم المئوية كانت (65%)،أما الذين أجابوا بـــ (كلا) بلغ عددهم (7) أي بنسبة (35%)، يتضح من الجدول بأن الفقر وعدم توفر الدخل الكافي هو سبب من أسباب هجرة الشباب إلى خارج البلاد وتكون البطالة هي سبب رئيسي في هجرتهم لتوفير حياة أفضـل لهم في بلاد أخرى ' فلابد للحكومة من توفير فرص عمل مناسـبة لهم للتخفيض من البطالة في بلدنا وهذا سـيؤدي إلى ازدهار البلد ويصـبح على مسـتوى عالي من الثقافة والعلم.

8- هل أن لهجرة الشباب التأثير الكبير على التماسك الأسري؟

جدول (8): يوضح مدى تأثير هجرة الشباب على التماسك الأسري

هل ان لهجرة الشباب تأثيراً كبيراً في الأسرة؟	العدد	النسبة المئوية
نعم	19	%95
كلا	1	%5
المجموع	20	%100

تبين من الجدول أعلاه أن الذين أجابوا (بنعم) بلغ عددهم (19) أي بنسـبة (95%)،أما الذين أجابوا بـــــ (كلا) فبلغ عددهم (1) أي بنسبة (5%)، وهذا يعني بأن هجرة الشباب تؤثر تأثيراً كبيراً على

التماسك الأسري بعد أن كانت الأسرة تبني مستقبل للشباب وتعتمد اعتمادا كليا عليهم كمثل الأب والأخ.. الخ تاركين أسرهم وأطفالهم تحت الحاجة والعوز بسبب تهجيرهم قسرا أو طوعا تخلصاً من الحياة في بلدنا بسبب الأوضاع السيئة التي يمر بها البلد مخاطرين بأرواحهم وتاركين كل شيء ورائهم.

9- هل تترك الهجرة أثارا نفسية على الشباب؟

جدول (9): الهجرة وتأثيرها النفسي على الشباب

هل تترك الهجرة أثارا نفسية على الشباب؟	العدد	النسبة المئوية
نعم	12	%60
كلا	8	%40
المجموع	20	%100

تبين من الجدول أعلاه أن الذين أجابوا (بنعم) بلغ عددهم (12) أي نسبتهم (60%)،أما الذين أجابوا بـــــــ (كلا) بلغ عددهم (8) أي بنسبة (40%) وهذا يعني أن الهجرة تترك أثارا كبيره على نفسية الشباب كلما زاد سوء الأوضاع في بلدنا يزداد الخوف لديهم على حياتهم وحياة أسرهم وهذا مما يؤدي إلى الهجرة إلى الخارج حفاظا على أنفسهم.

10- هل برأيك أن الوضع السياسي يساهم في زيادة هجرة الشباب؟

جدول (10): يوضح الوضع السياسي وتأثيره على الشباب

هل برأيك أن الوضع السياسي يساهم في زيادة هجرة الشباب؟	العدد	النسبة المئوية
نعم	17	%85
كلا	3	%15
المجموع	20	%100

تبين من الجدول أعلاه أن الذين أجابوا (بنعم) بلغ عددهم (17) أي كانت نسبتهم (85%) أما الذين أجابوا بـــــــ (كلا) فبلغ عددهم (3) أي نسبتهم (15%)، حيث تبين من الجدول أن الوضع الأمني ووجود العنف داخل البلد وانعدام الاستقرار السياسي والصراعات السياسية على المناصب المهمة في الدولة واستخدامهم شتى الطرق والوسائل لحصولهم على هذه المناصب وهذا ما ينعكس سلبا على الوضع الأمني في البلاد واضطرابه وتدمير الاقتصاد الوطني العراقي وهذا مايزيد الهجرة الشباب إلى الخارج العراق.

11- هل لانتشار الطائفية في الآونة الأخيرة اثر لزيادة هجرة الشباب؟

جدول (11): يوضح أن لانتشار الطائفية في الآونة الأخيرة اثر في زيادة هجرة الشباب

هل الانتشار الطائفية في الآونة الأخيرة اثر في زيادة هجرة الشباب	العدد	النسبة المئوية
نعم	16	%80
كلا	4	%20
المجموع	20	%100

تبين من الجدول أعلاه أن الذين أجابوا (بنعم) بلغ عددهم (16) أي نسبتهم (80%)،أما الذين أجابوا بـــــــ (كلا) فبلغ عددهم (4) أي نسبتهم (20%)'هذا ما يدل على انتشار العنف الطائفي بعد سقوط النظام البائد حيث كان الهدف بقتل وتسليب الشباب على الهوية وجعل بلدنا بلد متخلف خالي من الخبرة فيضطر الكثير من الشباب إلى الهجرة إلى البلدان المجاورة حفاظا على أرواحهم.

النتائج

1- أظهرت نتائج البحث أن أعلى نسبة (90%) للذكور.
2-أظهرت نتائج البحث أن أعلى نسبة (45%) كانوا من الفئة العمرية (20-24).
3- أظهرت نتائج البحث إن أعلى نسبة (30%) كان التحصيل العلمي لهم بكالوريوس.
4- أظهرت نتائج البحث إن أعلى نسبة (50%) للمتزوجين.
5- أظهرت نتائج البحث إن أعلى نسبة (80%) يؤيدون الهجرة.
6- أظهرت نتائج البحث أن أعلى نسبة (75%) من المهاجرين يواجهون مشكلة التكيف مع المجتمع الجديد ويؤثر على أسرهم.
7- أظهرت نتائج البحث أن أعلى نسبة (65%) بأن الفقر سببا لزيادة الهجرة إلى الخارج.
8- أظهرت نتائج البحث أن أعلى نسبة (95%) يؤكدون بأن هجرة الشباب لها تأثير كبير على التماسك الأسري.
9- أظهرت نتائج البحث أن أعلى نسبة (60%) يؤكدون بأن الهجرة تترك أثار نفسية على الشباب.
10- أظهرت نتائج البحث أن أعلى نسبة (85%) يؤكدون بأن الوضع السياسي يساهم في زيادة هجرة الشباب.
11- أظهرت نتائج البحث أن أعلى نسبة (80%) يؤكدون بأن الانتشار الطائفية أدت إلى زيادة هجرة الشباب.

التوصيات

1. ضرورة الاهتمام برجوع الشباب المهاجرة لمحلها الأصلي وتزويدها بالخدمات الأساسية كافة بما فيها الأمن والاستقرار والسكن.
2. العمل من اجل التعرف على مشكلات الشباب ووضع الحلول والخطط التي تساعد على تشجيع استثمار إمكانياتها.
3. العمل على توفير فرص عمل للشباب من اجل زيادة دخلهم الأسري والعمل على تحسين أحوالهم المعيشية.
4. ضرورة تطوير عملية التنشئة الاجتماعية وقيام المؤسسات والاهتمام بخدمات الرعاية الاجتماعية ولاسيما بشؤون الشباب المهاجرة ورعايتهم وقت الحاجة والشدة التي يتعرض لها الشباب والتي تؤثر فيها سلباً.

المصادر

الإمام محمد بن الرازي ’مختار الصحاح ’المطبعة الأميرية ’1931’ص13.
ابن منظور ’معجم لسان العرب ’دار الكتب العلمية ’لبنان ,ط1’1993’ص555.
د. احمد أبو زيد. الهجرة وأسطورة العودة، مقال في مجلة عالم الفكر المجلد السابع عشر، 1986، الكويت ص 405.
جاسم يوسف الكندي، المدرسة والاغتراب الاجتماعي، المجلة التربوية العدد 27 الكويت دراسة ميدانية، 1998، ص 23.
.عبد العزيز عبد الله الدخيل ’معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية ’دار المناهج للنشر ’عمان ’2006’ص215.
عبير نعيم عبد الله ألخالدي ’الإبعاد الاجتماعية والثقافية للشباب والمراهقة في وطننا العربي ’مركز البحوث ’بغداد ’2007’ص5.
علي الوردي ’دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ’دار دجلة والفرات ’بيروت ’ط2’2010’ص302+303.
د. ليلى عبد الوهاب، مشكلات الشباب والتعليم الجامعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1998، ص 36.
د. منى فياض، اثر الاحتلال والحروب والنزاعات المسلحة على أوضاع الأسرة العربية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي أسيا، بيروت، 2003، ص12.
د. منصور الراوي ,مجلة النفط والتنمية ,بغداد ,العدد 14 ,1989,ص35+ص41.
محمد جابر الأنصاري، جذور التنمية الإنسانية، ندوة التنمية الإنسانية، المنامة، سنة 2000، ص 107.

أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 8، العدد 27 (2017). ص ص 113-132

المجتمع الذكوري وانعكاسه على دور المرأة التنموي: دراسة ميدانية في جامعة بغداد

عهود جبار عبيره(*)

الملخص: إن تطور أي مجتمع بات يقاس بدرجة التطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للمرأة ومساهمتها الفعالة في البناء الحضاري للمجتمع، فان المجتمع الذي يحترم حقوق المرأة ويتعامل معها كانسان متكامل له كامل الحقوق الإنسانية ويؤمن بدورها المؤثر في بناء المجتمع يكون مجتمعا قد بلغ مرحلة من الوعي الإنساني، ويكون قد تخلص من التقاليد والأعراف البالية التي سادت المجتمع، والتي تسلب كرامة المرأة وتضعها في مكانه اقل من مكانتها الحقيقية. ففي المجتمعات الغربية تتمتع المرأة بقدر هائل ومساحه واسعة من الحرية في أبداء الرأي والمساهمة الفعلية في المشاركة ببناء المجتمع، فتارة في السياسة وتارة في العلوم ومجالاته كافة، ومنافسة الرجال في جميع المحافل وبقوة وهدا ليس ببعيد عن أعين المرأة في مجتمعاتنا وسمعها مما جعلها تنظر إلى وضعها نظرة دونيه مما قد يولد في داخلها رفض مطلق لواقعها الذي تعيشه وهدا أيضا له انعكاسات قد تكون سلبيه من حيث دورها الأسري او يكون بالإيجاب من حيث تنشئه الأبناء على فهم صحيح لدور المرأة في المجتمع مستقبلا. إن مظاهر التمييز ضد المرأة واحدة ومشتركة في المجتمعات العربية، تنتج عن عدة أسباب منها النظرة إلى طبيعة المرأة. حيث أن العادات الثقافية والاجتماعية تتلاقى في المجتمعات العربية ودلك لانحدارها من أصول متقاربة فيسود عليها الطابع ألذكوري بشكل خاص. ومن المعروف أن مجتمعنا العراقي يتسم بالطابع العشائري دو الصبغة العرفية بأحكام متوارثة من أيام القبيلة، أد أن النظرة الدونية للمرأة من قبل عامة الناس لما لها من تأثير على نفسية وكيان المرأة وخوفها على سمعتها تحت ظل ما ذكرنا (الفكر القبلي العشائري). وبسبب تلك الأعراف والتقاليد كانت تحرم المرأة من حقوقها ولا تستطيع أن تعبر عن أرادتها وأرائها. إن مثل هدا الأجراء لا يمكن فصله عن أجراء أخر ذي طابع اجتماعي ينطوي على أيجاد حلول شاملة للمشكلات التي تعاني منها المرأة مثل نظرة المجتمع الدونية لها، وعدم مساواتها مع الرجل، وحرمانها من المشاركة في نواحي الحياة المختلفة منها ممارسة العمل والمشاركة في الشؤون السياسية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: المجتمع، المجتمع الذكوري، الدور، المرأة.

The Male Society and Reflect on the Role Women Development Field Study at Baghdad University

Uhood Jabbar Abeerh

Abstract: The Society of the Societe of the Society of the People of the People، the elimination of the worn traditions and customs that prevailed in society, which deprives the dignity of women and puts them in place less than its real status. In Western societies، women enjoy a great deal of freedom and freedom to express their opinions and contribute to participation in building society، sometimes in politics، sometimes in science and in all fields، and men compete in all forums and strongly، and this is not far from the eyes of women in our societies and heard them، 'M hive a superbelly. I'm a huff a something. Where cultural and social customs converge in Arab societies and teach them to descend from close origins and are particularly masculine in nature. It is well-known that our Iraqi society is characterized by tribalism and tribalism in terms of inheritance from the days of the tribe. The inferior view of women by the people is general because of its influence on the psyche and the woman's existence and its fear of its reputation under the shadow of what we have mentioned. And we're a hevend.

Keywords: Society, The Male Community**,** The Role, woman**.**

(*) جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم الخدمة الاجتماعية، uhoodlamil@yahoo.com

أولاً: مشكلة البحث

تعاني المرأة في المجتمعات العربية عامة والمجتمع العراقي خاصة من التهميش والإقصاء الاجتماعي، والسياسي والاقتصادي، ويرجع هذا التهميش الى الجذور التاريخية النابعة من السلطة الذكورية، التي استخدمت الأساليب القهرية ضد المرأة. وقد أدى ذلك الى ان المرأة اصبحت مقتنعة بانها لاي مكن ان تجاري الرجل أو تتفوق عليه في أي ميدان. [1]

بناء على ذلك ان تناول قضية المراة ومدى مشاركتها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع العراقي تعد مشكلة بحثية تستحق الدراسة ذلك لما للمجتمع العراقي من سيسيولوجيا خاصة، فعندما نستحضر مجتمعا كالمجتمع العراقي يتبادر الى اذهاننا تلك التركة الاجتماعية المعقدة، ذلك لان هذا المجتمع يحمل في ارجائة كافة العناصر والطبقات بدءا من التقليدية وانتهاءً بالمعاصرة والحديثة. [2] ومن وجهة نظر الباحثة ان هذا الامر ينبغي معه تغيير هذه العادات والنظرة السلبية للمرأة من خلال بيان أهمية دور المرأة في عملية بناء المجتمع بجنب الرجل باعتبارها الركيزة الأساسية لبناء الثروة البشرية.

ثانياً: أهمية البحث

أن أهمية هذا البحث تكمن في كونه يتناول موضوعا ذا أهتمام محلي وعالمي تعكسه الادبيات الاجتماعية ذات العلاقة بالمراة ودورها في المجتمع، لاسيما وان العادات والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع العراقي ما زالت تشكل موروثات ثقافية بالغة الأثر في هذا المجال. [3]

ثالثا أهداف البحث

1- الوقوف على أهم حقوق المرأة المنصوص عليها في الشريعة والقانون وكيفية تجاهل المجتمع لهذه الحقوق.
2- التعرف على أثر عادات وتقاليد المجتمع على المرأة وأدوارها التنموية في المجتمع.
3- رفد الجهات ذات العلاقة بتوجهات ومقترحات علمية يمكن من شانها أن تسهم في تقليص الفوارق بين الرجل والمرأة من حيث الحقوق والواجبات.

رابعا: الحدود العلمية للبحث

اقتصر البحث على دراسة مفاهيم المجتمع والمجتمع الذكوري والدور والمرأة، وحكم المرأة في الشريعة والإسلام وتجاهل المجتمع لهده الحقوق، والحقوق الاجتماعية للمرأة، واثر العادات والتقاليد على المرأة وأدوارها التنموية والجانب الآخر من البحث يتعلق بالدراسة الميدانية وتحليل البيانات والنتائج والتوصيات.

خامسا: مفاهيم البحث

1- **المجتمع:** المجتمع لغويا هو أسم مشتق من جمع، فالجمع ضم الأشياء المتعلقة وعدم التفريق، والأفراد والمجتمع يعني موضوع الاجتماع أو الجماعة من الناس ويعرف المجتمع بأنه الإطار

---

[1]- مالك عبد الحسين احمد، تمكين المراة العراقية في مجالات التنمية، مجلة الاقتصادي الخليجي- مركز دراسات الخليج العربي – جامعة البصرة، العراق 2012، ص110

[2]- ثائر رحيم كاظم، معوقات تمكين المراة في المجتمع العراقي، بحث منشور في مجلة جامعة بابل / العلوم الانسانية، المجلد 42، العدد 2. 2016، ص 4.

3- المصدر السابق نفسه، ص 5.

العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الأفراد الذي يعيشون داخل نطاقه في هيئة وحدات أو جماعات. [4]

ويعرف (هوبهوس) المجتمع بأنه مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية معينه محدده من الناحية السياسية ومعترف بها ولها مجموعة من العادات والتقاليد والقيم والأحكام الاجتماعية والأهداف المشتركة المتبادلة والتي أساسها الدين واللغة والتاريخ. [5]

ويعرف المجتمع أيضا بأنه تجمع عدد من الناس على بقعة جغرافية محدده يشتركون مع بعضهم البعض في عدد من العموميات الهامة كالدين والتقاليد والأعراف والقوانين المدنية. [6]

وانه أيضا نسق اجتماعي مكتف بذاته ومستمر في البقاء بفعل قواه الخاصة ويضم أعضاء من الجنسين ومن جميع الأعمار. [7]

أما التعريف الإجرائي لمفهوم المجتمع هو:

"مجموعة من الأفراد تكون في حالة اتصال دائم ترتبط مع بعضها البعض بقوانين ونظم مختلفة تحكم حياتهم وتساعدهم على تكوين هوية مشتركة تتمثل في عموميات الثقافة العامة للمجتمع.

2- **المجتمع الذكوري:** يعرف المجتمع الذكوري بان الأولوية إلى الرجل دون الأخذ بعين الاعتبار حقوق المرأة واحتياجاتها ويضع المرأة في المرتبة الثانية من بعد الرجل لتكون بذلك كل الحقوق له والعمل على أخفاء حقوق المرأة مقابل حقوقه والذي ينظر للمرأة النظرة التقليدية ويحصر دورها في المجتمع على أنها الزوجة وألام فقط.[8].

وأيضا يعرف المجتمع الذكوري بأنه المجتمع الذي تسمح فيه دائما المطالبة بحقوق الرجل والوقوف بجانبه وإعطائه كافة المسؤوليات وممنوع أن تسمح فيه المطالبة بحقوق المرأة..[9]

وهو هيمنة الذكر على الأنثى واستبعاد المرأة واضطهادها ونفي وجودها الاجتماعي وذلك لأنه مجتمع أبوي (ذكوري) يسيطر فيه الرجل على المرأة لأنها اقل درجه منه، ويكون ذات نزعة تسلطية يرفض النقد والحوار والمجتمع الذكوري هو الذي قنن قيما وأعرافا وتقاليدا جعلت المرأة ادني من الرجل درجة وهو ما جعلها مضطهدة ومن يضطهدها هو الرجل مع أن الحياة لا تكتمل ألا بهما ويأخذ الاضطهاد إشكالا ثلاثة وهي:

أ- الاضطهاد النوعي الذي يقوم على تفوق الرجل على المرأة وهيمنته عليها من اجل تحقيق مصالحة الخاصة والعامة التي أدت إلى طمس شخصية المرأة والتقليل من أهميتها ودورها الاجتماعي واستلاب شخصيتها في الأخير. مما سبب عدم التكامل والتكافل الاجتماعي بين الجنسين.

ب- الاضطهاد الأبوي – الذكوري الذي ظهر في هيمنة الرجل على الأنثى في العائلة والمجتمع والسلطة. ويتم التعبير عن هده الهيمنة وهذا الاضطهاد بتسلط الذكر على الأنثى، والأب على ألام والأولاد، تسلطا لا عقلانيا يوجب خضوعهم وطاعتهم له طاعة عمياء.

---

4 مصطفى الخشاب، دراسة المجتمع، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1987.ص7

5 ميشيل دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة د. أحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980، ص330

6 عبد الهادي الجوهري، أسس علم الاجتماع، مكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص224

7 محمد محمود الجوهري، أسس البحث الاجتماعي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص43

8 أيه منصور، المرأة والمجتمع ألذكوري، 2012).

9 احمد البغدادي، المجتمع ألذكوري، الكويت مركز تنوير للثقافة، 2007، ص17

ت- الاضـــطهاد القانوني الذي ينبثق من الاضـــطهاد الأبوي والدي ينعكس في القوانين الوضـــعية والعرفية التي تضـطهد بدورها المرأة في حقوقها الاجتماعية والاقتصـادية والسـياسـية، وهو ما يعيق تقدمها ومساواتها مع الرجل في الإنسانية. **(10)**

أما التعريف الإجرائي لمفهوم المجتمع الذكوري:

وهو المجتمع الذي تسوده أنماط من القيم والسلوك وأشكال متميزة من التنظيم، ويكون أكثر تهميشا للمرأة واستلابا لشخصيتها.

3- **الدور**: الدور بأنه مجموعة توقعات تخص مكانه بنائية يشـــغلها الفرد. او انه ســـلوك يعكس متطلبات المكانة التي يشغلها الفرد. [11]

ويعرف أيضـا بأنه الوجه الديناميكي أو السـلوكي للمكانة الاجتماعية، فنحن نشـغل دائما مكانات أما الأدوار فنحن نؤديها فالدور وفق هدا التصـــور يمثل الحالة التي يملئها فرد معين بأدائه لواجبات المكانة الاجتماعية ويتمتع بميزاتها وحقوقها. [12]

ويعرف (نيوكمب) الدور بأنه مفهوم سوسيولوجي يشير إلى نمط من الفعل، متوقع من كل أعضـاء الجماعة الذين يشغلون مركزا معينا بصرف النظر عن أشخاصهم. [13]

وكذلك هو نمط السـلوك المتوقع من الشـخص الذي يشـغل وضـعا اجتماعيا معينا أثناء تفاعله مع الأشخاص الآخرين الذين يشغلون أوضاعا اجتماعية أخرى داخل النسق. [14]

أما التعريف الإجرائي لمفهوم الدور فهو:

"مجموعة الصـفات والتوقعات المحددة اجتماعيا والمرتبطة بمكانة معينة والدور له أهمية اجتماعية لان يرشد ويوجه السلوك، والمرأة داخل المجتمع تشغل مكانه معينة تعكس الدور المطلوب منها "

4- **المرأة:** لفظة المرأة في اللغة العربية مشتقة من فعل مرا وتعني كمال الرجولية أو الإنسانية [15] ومن هنا كان المرء هو الإنسان والمرأة هي مؤنث الإنسان. [16].

وتعرف المرأة في معجم العلوم الإنسـانية الاجتماعية هي كيان أنسـاني تتمتع بالقيمة الإنسـانية كاملة أسوة بالرجل ولها حقوق وعليها واجبات مساوية للرجل في جميع المجالات دون استثناء.[17]

أما المرأة من المنظور الإسـلامي هي مسـاوية مع الرجل في القيم الإنسـانية انطلاقا من قوله تعالى "هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليكن إليها فلما تغشـــاها حملت حملا حقيقيا ضمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لان أتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين. [18]

أما التعريف الإجرائي لمفهوم المرأة

"هي العنصـر الأسـاسـي في المجتمع لها حقوق وعليها واجبات وتتمتع بكفاءة حقوقها من خلال ما شرعه الإسلام والقانون الاجتماعية ولها أيضا دور أساسي في بناء المجتمع وتكون أيضا مساوية مع الرجل"

---

[10] إبراهيم الحيدري، الهيمنة الأبوية ألذكوريه في المجتمع والسلطة، شبكة الاقتصاديين العراقيين، 2016، ص7).

[11] فهمي سليم ألغزوي وآخرون، مدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1994 ص 262.

[12] محمد فؤاد حجازي، البناء الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة 1982، ص 48

[13] إبراهيم عبد الهادي محمد المليجي، الخدمة الاجتماعية من منظور تنظيم المجتمع، مكتبة المعارف الحديثة، القاهرة، 1989، ص 135.

[14] محمد محمود الجوهري، أسس البحث الاجتماعي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص50.

[15] سامية حسن الساعاتي، المرأة والمجتمع المعاصر، الدار المصرية السعودية للنشر، القاهرة، 2006، ص133.

[16] محمد أبي بكر بن عبد القادر الرازي - مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون سنه، ص101.

[17] عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار المشرق الثقافي، عمان، الأردن، 2006 ص72.

[18] القران الكريم، سورة الأعراف، آية 189

سادسا: الدراسات السابقة

دراسة د. يوسف عناد ود. زينب محمد الموسومة

المرأة والثقافة "بحث تحليلي في العوامل المؤثرة في تكوين شخصية المرأة العراقية "[19]

ركزت الدراسة على أهم العوامل الاجتماعية والثقافية المؤثرة في شخصية المرأة ومدى اتساق ذلك مع مسيرتها في حياتها العامة سواء أكان ذلك على صعيد الأسرة أم على صعيد المجتمع.

وركز الباحثان على العوامل الاجتماعية والثقافية باعتبار أن لهما اليد الطولى في تكوين شخصية المرأة بما تحمله من قيم وعادات وتقاليد وتراث شعبي وواجبات وضبط اجتماعي وكذلك العوامل الثقافية المتعلقة بوعي المرأة والتعليم والصحة والمساهمة في مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني وأثرها في تكوين شخصيتها فضلا عن ثبات المرأة ودورها في المجتمع.

ورغم التطور الذي حصلت عليه المرأة العراقية ودخولها إلى العمل في مختلف ميادين الحياة واستقلالها اقتصاديا ألا أنها ما زالت تعاني من بعض العادات والتقاليد الأمر الذي يضع بعض الحواجز ويقيد حركتها المواكبة للتطور الذي يشهده المجتمع

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان هي:

1- هناك تمايز في أساليب التنشئة التي تستخدمها الأسرة العراقية بين الذكر والأنثى وهذا ما يؤثر على تكوين شخصيتها ودورها الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع.
2- للموروثات الثقافية السائدة في المجتمع العراقي آثر سلبي على المرأة وتبدو ان هذه النتيجة تأتي من أن النزعة المؤثرة في القيم والعادات البالية نحو تجسيد الأبعاد السلبية نحو المرأة في المجتمع العراقي والتي تعاني منها المرأة العراقية بشدة.
3- أن للعوامل الاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع آثر سلبي في تكوين شخصية المرأة وبالتالي في أدوارها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.
4- قدرة المرأة في تجاوز بعض القيم التقليدية تظهر تخوفها وهذا يعود إلى طبقة المجتمع العراقي المحافظ على التقاليد والأعراف والقيم الاجتماعية.

دراسة كي آم وزيرة الموسومة

حقوق المرأة التقليدية كما تحددها العادات ونمط الأسرة والنظم الاجتماعية والاقتصادية ومشاركة المرأة. [20]

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول بالدراسة والتحليل اثر الممارسات التقليدية والعادات والتقاليد على حقوق المرأة مقارنة بمشاركتها في الجوانب الخاصة بالمساعي الإنسانية حقوق في العالم العربي وفريق وكذلك تشخيص اثر التنظيم السياسي والاجتماعي على حقوق المرأة.

وركزت الدراسة على أن حقوق المرأة ببساطة حقوق محدودة والتي عادة ما تحصل عليها المرأة بشكل اعتيادي أو من خلال ما تضرها التقاليد وتتضمن على سبيل المثال الحق في الحياة والتمتع بالصحة والتعليم وبصفة عامة فان الممارسة الشائعة في أواسط جميع الأفارقة والتي تقضي إلى أعاقة حقوق المرأة ومشاركتها في قضية ملكية المرأة للأرض وقوانين الوراثة ففي أفريقيا حيث يتسم بناء الأسرة على أساس النظام الأبوي وبالتالي لا يمكنها أن ترث الأرض من أبيها أو زوجها ونتيجة لهذه الممارسة ضلت المرأة الإفريقية تعاني من الحرمان الاقتصادي ومن الفقر وابعد من قضية توارث الأرض هناك ممارسة أخرى تقضي إلى تأثير سلبي على حقوق المرأة ألا وهو

---

[19] بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم والإنسانية، العراق، 2010، العدد 4.

[20] دراسة منشورة في كلية الحقوق جامعة ايوجا ام بي 117.

الانطباع على تفضيل الذكور على الإناث وقد أدى هذا إلى احدث فجوة واسعة في مستوى التعليم بين الذكور والإناث في أفريقيا. ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث هي:

1- هناك إنكار مطلق لحق المرأة في الحصول على المعرفة الأساسية والقضايا الأخرى المتعلقة بتمكين المرأة والتنمية بصفة عامة فان مشاركة المرأة حقيقية في القطاعات الاقتصادية والصناعية بحكم أنها تفتقر إلى المهارات الأساسية المطلوبة في هذه المجالات.
2- نتيجة للنظام الأبوي وما ينتج عنه من تسلط في الإقليم العربي ثم تهميش النساء في المشاركة العادلة في الحياة السياسية حيث بقت السياسة مهنة يسيطر عليها الرجل.

دراسة الباحثة فايونا مايرز الموسوعة "النساء واتخاذ القرار في اسكتلندا " [21]

كان الهدف من الدراسة التركيز على قضية مهمة وجوهرية تتعلق بالنساء وكيفية اتخاذ القرار في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية موضحة شكل وطبيعة التحديات والمعوقات التي تواجه المرأة. تطرقت الدراسة أيضا إلى العوامل المؤثرة في ضعف اتخاذ القرار السياسي حيث حددتها الدراسة بطرائق متعددة أهمها:

1- عامل أسلوب الحياة للمرأة المتمثل بمتطلبات الأسرة والعمل ثم النشاط السياسي.
2- شخصية المرأة وثقتها بنفسها وما له من نتائج تؤكد قصور في ثقة المرأة بنفسها لأشغال مراكز اتخاذ القرار
3- الثقافة الاجتماعية ودور ها المؤثر على تقسيم الأدوار بين المرآة والرجل في اتخاذ القرار السياسي.

وأنهيت النتائج الرئيسية للدراسة على محاور ثلاث هي: المحور الاجتماعي، والمحور الاقتصادي، والمحور السياسي.

سابعا: حكم المرأة في الإسلام والقانون وتجاهل المجتمع لحقوقها

يعد موقف الإسلام من المرأة ثورة على المعتقدات والآراء السائدة في عصره وقبل عصره من حيث الشك بإنسانيتها فهذا الموقف يعد تقدما فكريا إنسانيا سبق الحضارة الغربية الحديثة العهد بأربعة عشر قرنا على الأقل في الاعتراف بأهلية المرأة كاملة غير منقوصة. [22].

فقد كان التشريع الإسلامي نبيل الهدف حيث أعطى المرأة حقوقها من غير التملق لها او استغلال لأنوثتها فالإسلام نظر إليها على أنها إنسان ولم ترد كلمة إنسان في القران وهذا تأكيد على أن الإسلام خاطب الإنسان بصفة عامة ولم يضع فارقا بين الرجل والمرأة فقد جعل الإسلام يقومان بدور متكامل في الحياة الإنسانية. [23]

وكذلك أن الإسلام لا يرى إلى المرأة والرجل من جميع المجالات نوعا واحدا من الحقوق ولا نوعا واحدا من الواجبات والعقوبات أنما يرى قسما من الحقوق والواجبات وقد جعل في بعض المجالات وضعا متشابها للمرأة والرجل وفي المجالات أخرى وضعا مختلفا. [24]. وكما أن الإسلام يقرر مبدئيا وكحكم عام ومطلق المساواة بين الرجل والمرأة قوله تعالى " فستجاب لهم ربهم أني لا ضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى " [25]

---

[21] نقلا عن هبة عبد المحسن عبد الكريم، " التحديات التي تواجه المرأة القيادية في العراق" رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد، كلية الآداب 2012)

[22] (مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، مطبعة جامعة دمشق، 1962م ص42)

[23] (ياسين محمد حسين العلي، حقوق المرأة بين التشريعيين الإسلامي والغربي مطبعة الكتاب، بغداد، 2012، ص123).

[24] (مرتضى مطهري، حقوق المرأة في النظام الإسلامي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 2005 ص119)

[25] محمد عابد الجابري، التنمية البشرية، دار بيروت، 1982، ص64-68)

وقول الرسول "صلى الله عليه واله وسلم " والنساء شقائق الرجال " وأيضا من أقواله " الجنة تحت أقدام الأمهات " هذه الأحاديث من شانها أن ترفع من شان المرأة. [26]

إن القيم الإنسانية مثل الحق والخير والجمال قيم التدرج ضمن مضمون القيم الاخلاقيه وتنضوي تحتها قيم المرأة والمجتمع والتي تتعلق فيها بالضرورة الصلات الاجتماعية والثقافية والدينية والأخلاقية والسلوكية السائدة في المجتمع هذا من جانب، ومن جانب أخر فان الوعي والمعرفة هما اللذان يكسبان المرأة قيمتها ووجودها واحترامها وحقوقها في المجتمع، [27] وان تعزيز المساواة وتمكين النساء يعد من الأمور الضرورية لتحقيق التنمية البشرية، ولكن هذه القضية تكتسب خصوصية تنبني على طبيعة المجتمع والظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي أثرت وتؤثر في صياغة شكل وطبيعة العلاقة الجندرية، ويظهر مؤشر النوع الاجتماعي بوضوح الفجوة في مؤشر التعليم بين الأناث والذكور وما يتعلق بالتمكين السياسي والمشاركة الاقتصادية وقد أسهمت التغيرات التي تلت عام 2003 في تحسين حقوق ومكانة المرأة في المجتمع العراقي وأعطت بعض المواد في دستور 2005 زخما قويا لإعادة الاعتبار للمرأة العراقية ووضعت مساءلة التمييز بين الجنسين موضوع جدل وعراك سياسي واجتماعي[28].

إلا أن ممارسات العقود الماضية مستمرة في التأثير على الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمرأة ولا يزال عدم المساواة في ممارسة الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو المظهر السائد والمعبر عن أوضاع ومواقع نصف السكان (النساء) في المجتمع والاقتصاد والحكم [29].

إن المساواة بين المرأة والرجل قانونيا واجتماعيا يبدو أساسا بالحديث عن حقها في العمل الذي يوفر لها دخل ويوفر لها كنتيجة لذلك استقلالا اقتصاديا. ومن العبث التطرق لحرية المرأة يكيفه جوهرية ما دامت في حالة تبعية اقتصادية للرجل تعتمد عليه في كل مطالب عيشها. [30].

وان قضايا التغيير والتحديث في مجتمعنا لا يمكنها النجاح ألا أذا أعيدت صياغة العلاقات الاجتماعية بين المرأة والرجل وإرساء قواعد المساواة بينهما فمع مشاركة المرأة في مجالات اجتماعية وثقافية مختلفة استعادت بها ذاتها في الحياة العامة مما يولد علاقة تفاعلية بين تغيير مكانتها والوضع الثقافي والاقتصادي، فوعي المرأة هنا يمثل عامل حداثة في المجتمع ومكانتها الاجتماعية مؤشر على المستوى الثقافي للمجتمع. [31]أن نمط شخصية المرأة العراقية وثقافتها ومستواها التعليمي وثقتها بقدراتها واستقلال قراراتها ما هو ألا تعزيز لدورها ومسؤوليتها اسريا واجتماعيا ومعرفيا وحضاريا. [32]

وعلى الرغم مما تحقق من تقدم في هذا المجال عند تنفيذ الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية منتصف السبعينات من القرن الماضي وخفض معدل الأمية بمعدلات عالية إضافة إلى رفع معدل القراءة والكتابة ألا أن هناك تدهورا كبيرا حصل خلال العقدين بسبب الأزمات والحروب والحصار اذ انخفض المعدل الصافي للالتحاق بالتعليم الابتدائي إلى (86 %) عام 2006 بعد أن كان (90، 8 %) لسنة 1990 وان مستوى التراجع المرصود يجعل من الصعب تحقيق الأهداف دون تكثيف الجهود وانخفاض معدل الإلمام بالقراءة والكتابة لدى الإفراد بعمر (14- 25) سنة إلى " 74 % " عام 2006 بعد كان " 78، 6%" عام 1990 ومع ذلك تبلغ نسبة النساء اللواتي لم يلتحقن بالتعليم حوالي " 31 % "

---

[26] (سورة إل عمران أيه 195).

[27] فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية ' مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962، ص53).

[28] التقرير الوطني الثاني، حول حالة سكان العراق في أطار توصيات المؤتمر الدولي للسكان والتنمية والأهداف، 2012، ص162.

[29] التقرير الوطني الثاني، حول حالة سكان العراق في أطار توصيات المؤتمر الدولي للسكان والتنمية والأهداف، 2012، ص162.

[30] فتحي محمد البعجة، التطور الاجتماعي والاقتصادي، البناء السياسي العربي، دار النهضة العربية، ليبيا، 2006، ص167

[31] سامية الساعاتي، المرأة والمجتمع المعاصر، الدار المصرية السعودية للنشر، القاهرة، 2006 ' ص121.

[32] عبد الكاظم شندل عيسى التغير الاجتماعي والتربية والتعليم في العراق، أطروحة دكتوراه غير منشوره جامعة بغداد، كلية الآداب، 1996، ص118.

في حين أن هناك " 8 % " من النساء أكملن دراستهن الجامعية، من جهة أخرى تعتبر نسبة التحاق الإناث بالمدارس الابتدائية منخفضة مقارنة بالذكور، وقد أصبحت فجوة النوع الاجتماعي اكبر بكثير في المناطق الريفية فحوالي 40% من الإناث في هذه المناطق غير ملتحقات بالمدارس الابتدائية مقارنة بحوالي 20% في المناطق الحضارية. [33]

ثامنا: الحقوق الاجتماعية للمرأة

1-: حق المرأة في التعليم

يعد التعليم مؤشرا رئيسيا على واقع النساء وعاملا حاسما فيه، لان الوصول إلى المستويات العالية للتعليم سوف يزيد بشكل عام ادوار اتخاذ القرار التي تضطلع بها النساء. ويجعلهن مرشحات اكبر في قوة العمل وفي العمل السياسي والاجتماع ويمكنهن من اتخاذ قرارات متنوعة بشان الخصوبة والرعاية الصحية.كما أن التعليم يعتبر أساسي لزيادة وعي النساء بحقوقهن الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وتبرز هذه الحقيقة من خلال معرفة أن التعليم قد زاد من نسبة مساهمة النساء في قوة العمل. أد ترتفع المشاركة مع زيادة مستويات التعليم، مع دلك تبلغ نسبة النساء اللاتي لم يلتحقن بالتعليم حوالي 31 في المئة في حين هناك 8 في المئة من النساء أكملن دراستهن الجامعية. من جهة أخرى تعتبر نسب التحاق الإناث في المدارس الابتدائية منخفضة مقارنة بالذكور. وقد أصبحت فجوة النوع الاجتماعي اكبر بكثير في المناطق الريفية، فحوالي 40 في المئة من الإناث في هده المناطق غير ملتحقات بالمدارس الابتدائية، مقارنة بحوالي 20 في المئه في المناطق الحضرية. [34]
().

أن الاتجاهات التقليدية كانت تعتبر البيت هو المكان الطبيعي للمرأة وما هي ألا حالة من حالات التخلف الاجتماعي والثقافي التي سادت في العراق إبان الاحتلال الذي تعرض له العراق، وعلى دلك لا يمكن فصل واقع المرأة عن المجتمع فهي جزء من تراثه وأفكاره ومعتقداته، لدا فان ما أعطي للمرأة دورا ثانويا استوجب تبعيتها للرجل هدا من جانب، ومن جانب أخر أنها كائن محروم من حقها في التعليم، أذ احتسب غالبية الناس أن التعليم ما هو ألا فسادا لأخلاق المرأة وخروجها عن القيم والأعراف الاجتماعية. [35].

ويشكل التعليم احد أهم المتغيرات الاجتماعية في عالم يتغير بإيقاع غير مسبوق، وباتت الأمية بوصفها مظهرا من مظاهر التخلف الثقافي والحضاري احد أهم العقبات الاجتماعية التي تواجه المرأة، أذ انها تعوق تقدم الفرد وتعرقل تقدم المجتمع وتحول دون تحقيق أي مستوى للعدالة الاجتماعية. [36].

ومن أهم التباينات بين الجنسين ما نجده في مستويات الأمية بين الأفراد، فبينما يبلغ معدل الأمية 6، 21 % بين السكان من عمر عشر سنوات فأكثر يرتفع إلى 6، 24 % بين الإناث وينخفض إلى، 6 11 % بين الذكور.

أن تعليم المرأة يتأثر بثقافة المجتمع ووضع المرأة فيه واتجاهات المجتمع نحوها، فالتعليم يعمل على أحداث تغيير نوعي في ذات المرأة وذات الرجل فواقع المرأة ودور ها في المجتمع قد تغير كثيرا عن الماضي. وباستخدام تعبير بارسونز يعد التعليم نظاما اجتماعيا جاء لكي ينسجم في وظائفه مع وظائف وحاجات بيئة المجتمع، فنمط التعليم ساهم بشكل كبير في تغيير الكثير من سطوة التقاليد القديمة التي كانت تفرض على المرأة وظائف وادوار اجتماعية معينة دون غيرها. [37].

---

33 عهود جبار عبيره " دور القيادات المحلية في تنمية المجمع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة بغداد 2012، ص110

34 اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، تحليل الوضع السكاني في العراق 2012، التقرير الوطني الثاني حول حالة السكان في أطار توصيات المؤتمر الدولي للسكان والتنمية والأهداف الإنمائية للألفية ص 163.

35 عبد الكاظم شندل عيسى التغيير الاجتماعي والتربية والتعليم في العراق أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة بغداد كلية الآداب، 1996، ص118

36 عادل فهمي محمد بدر وآخرون، دراسات حول التنمية في الوطن العربي، مؤسسة الخدمات العربية، عمان، 1988، ص 201

37 ألاء عبد الله معروف، المرأة واتخاذ القرار الاجتماعي، أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة بغداد، 2005، ص 69.

وفي أطار ما تقدم يمكن القول أن الثقافة التقليدية شـــكلت احد أهم العقبات التي أســـهمت في عدم وصول الكثير من النساء إلى مراكز صنع القرار.

2- حق المرأة في العمل

العمل هو كل نشـــاط أنســـاني هادف واع من اجل تحقيق منافع اقتصـــادية وإنســـانية، فالعمل أنتاج للتغيرات التي توفر للأفراد المواد التي تلبي حاجاتهم المتعددة والمتنوعة ضـــمن علاقات اجتماعية معينة، وفي هذا المجال يعد العمل نوعا من العلاقات الاجتماعية لتلبية تلك الاحتياجات، ولابد من تضـــافر أفراد الجماعة وتعاونهم ليتمكنوا أثناء العمليات الإنتاجية من السـيطرة على البيئة الطبيعية. وقد اتخذ مفهوم العمل قيمة إنسـانية باعتباره خاصـة أسـاسـية تميز المجتمع الإنسـاني عن المجتمع الحيواني. فالعمل والإنتاج شرطان موضـوعيان لكل وجود أنسـاني، كما أن وجود المجتمع بعلاقاته وتوزيعه الأدوار الاجتماعية والحقوق والواجبات يتطلب وجود عمل وإنتاج وتعد العلاقات الإنتاجية السـائدة ضـمن مراحل تطور المجتمع من المحددات الأسـاسـية لطبيعة العلاقات الاجتماعية التي يتم العمل والإنتاج ضمنها. (38)

وفي ظل التحولات السـابقة يعد الاهتمام بقضـايا حقوق المرأة احد أهم الموضـوعات بعد أن كانت المرأة بعيدة عن الحياة العامة ولازمت عملها التقليدي في المنزل، غير انه مع ذيل الاســـتقلال الوطني، حدثت في الأقطار العربية تغيرات أساسية وهامة في بنية وسائل الإنتاج وملكيتها، مما اثر بشكل كبير في تركيب العائلة ووظيفتها فدخلت المرأة ميدان العمل الإنتاجي واقتحمت أبواب التعليم. (39)

وتشير البيانات المتاحة إلى أن أكثر من نصف النساء العاملات يعملن في قطاع الخدمات وبخاصة في مجالات التعليم والصـحة وهو أمر تعززه العادات الاجتماعية وقسـمة العمل على أسـاس الجنس اذ تتجه النساء للعمل في المهن القريبة من وظيفتها الاجتماعية والتقليدية والتي تتمحور حول دورها الإنجابي. والجدير بالذكر أن الأسر التي تعيلها النساء في المجتمع العراقي تشكل حوالي 11% من مجموعة الأسـر المسـجلة في دراسـة مسـح الأحوال المعيشـية في العراق ومن بين تلك الأسـر هناك 73% تعيلها الأرامل. (40).

3- حق المرأة في الصحة

الصـحة: هي حالة من العافية الجسدية والعقلية والاجتماعية وليست فقط غياب المرض او الضـعف وصحة المرأة في عافيتها العاطفية والاجتماعية وتحدد بالمحيط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لحياتها وترتبط الأوضاع الصحية للنساء ارتباطا وثيقا بالأوضاع الصحية العامة للبلاد. (41).

لقد ظلت الصـحة تشـكل احد أركان الرئيسـة للتنمية باعتبارها بعدا طبيعيا وأسـاسـيا في حياة الناس غير أن النظام الصـحي في العراق لم يضـمن بعد العدالة في الحصـول على الخدمات لجميع السكان ويتأثر الطلب على الخدمات الصـــحية الإنجابية وتنظم الأســـرة إلى حد كبير بمســـتوى الخدمات ونوعيتها وتكلفتها وسهولة الوصول أليها كما يعتمد الانتفاع من الرعاية الصحية سواء كانت خاصة ام عامة نظامية أم غير نظامية على عوامل اجتماعية وديموغرافية وطبيعة الهيكل

الاجتماعي السـائد ومسـتوى التعليم والاعتقادات والممارسـات السـائدة والتمييز على أسـاس الجنس ومنزلة النساء والوضع البيئي ونمط الأسرة ونمط الأمراض ونظام الرعاية الصحية النفسية، ويعد

---

38 محمد جميل باش، أنماء العوامل المؤثرة في أنتاج العنصر البشري مع التركيز على ظاهرة هجرة العقول، من محاضرات الأسبوع الاقتصادي الأول في حلب ما بين 8-13 كانون الثاني، تحت أشراف جمعية العلوم الاقتصادية وردت أيضا في مجلة الاقتصاد، العدد 234، تموز، 1983.

39 أمل عيسى الصالح، محمد حسين جواد، الأسرة في الكويت، الدراسة مقدمة إلى الحلقة الدراسية الخاصة بالأسرة العربية المنعقدة في الفترة 21-18 ديسمبر 1972، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل الكويت.

40 وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ' الجهاز المركزي للإحصاء والتكنولوجيا المعلومات، مسح الأحوال المعيشية في العراق 2004، المصدر السابق ص 113.

41 زهرة شريف ' التغيرات ألاجتماعيه وأثرها في الشخصية، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة بغداد 1987، ص33.

اختيار الوسيلة المناسبة لنظام الأسرة امرأ هاما للنساء والأطفال معا. [42]ونتيجة للتطور الذي حصل في القطاع الصحي فقد أدى ذلك إلى انخفاض الوفيات، ووفيات الأطفال الرضع، وارتفاع العمر المتوقع عند الولادة، وزاد على ذلك الإجراءات التي اتخذت لتخفيض الوفيات نتيجة ارتفاع قواعد الرعاية الصحية التي تقضي على الأمراض وشرع لهذا الغرض قانون الصحة العامة لسنة 1981، فقد أكد هذا القانون رعاية الأمومة وصحة الأسرة عن طريق متابعة الأم الحامل وتقديم الإرشادات وأجراء الفحوصات بشكل دوري وبصورة مجانية وأجراء اللقاحات الدورية للأطفال وإنشاء مراكز صحية لرعاية الأمومة والطفولة وأجراء الفحوصات الطبية الشاملة، وقد حصلت زيادة في عدد أبناء المجتمع العراقي بعد عام 1956 إلى عام 2000 ونتيجة لذلك شرعت القوانين والتشريعات التي تساهم في تقدم البناء الاجتماعي والشخصية العراقية منها:

1- قانون العمل رقم (151) لسنة 1970 الذي اشتمل في فقراته على تشغل المرأة في فترات النهار فقط، حتى تمنح فترات الرضاعة لطفلها ليلا وإعطائها فترة مدتها شهر واحد قبل الوضع، وكذلك أنشاء رياض الأطفال في مواقع العمل.
2- قانون التقاعد والضمان الاجتماعي رقم (31) لسنة 1971، حق المرأة الموظفة المتزوجة التمتع بأجازة الحمل والولادات براتب كامل يضمن لها ولوليدها الرعاية الطبيعية مجانا. [43]

4- حق المرأة في المشاركة في تنمية المجتمع

يعد التمييز ضد المرأة وحرمانها من المشاركة الفعالة والحقيقية في العملية التنموية عائقا أساسيا من عوائق التنمية وتعترف الحكومات والهيئات والمنظمات الحكومية والغير حكومية وبصورة متزايدة بان الوضع المتدني للمرأة يشكل عائق أمام تحقيق التنمية على المستويين المحلي والوطني. [44].

فالمرأة في الثقافة التقليدية السائدة كيان تتلخص قيمته في الإنجاب والمحافظة على شرف العائلة، لذا فان التنشئة الاجتماعية للمرأة تعمل على ترويض ذلك الإنسان إلى الحد الذي تدافع عمن يضطهدها وتتنازل عن حقوقها، وبسبب هذه القوالب النمطية ظل موقع المرأة في المرأة يتصف بالتبعية والدونية مقارنة بالرجل ومن ثم إقصائها عن الكثير من ميادين العمل والإنتاج مما يشكل عقبة اجتماعية إمام أي جهد تنموي. [45].

وانطلاقا من هذه المعطيات يشكل وعي المرأة لذاتها ووعي المجتمع بها أهم اللبنات الأساسية لتمكينها وإدماجها في معراج النساء بدلا من اقتصار أدوارها على العمل المنزلي. أذ ظل المجتمع ينضر أليها ككائن ضعيف جسميا محدود القدرات وبالتالي لابد من أن تخضع لسيطرة الرجل وأشرافه وحمايته، كما ينظر أليها كربة بيت وان اختلاطها في الحياة الاجتماعية العامة لابد من أن يكون في أضيق الحدود. [46]

لقد ظل الوصف التقليدي للدور التنموي للمرأة محدودا، وان المجالات الوظيفية ينظر لها بأنها لا تتناسب مع قدراتها وصعوبة التزامها بالدوام فضلا عن تدخل الرجل في معظم القرارات إلى جانب المسؤوليات الأسرية المتعددة بما في ذلك رعاية الزوج والأبناء، شكلت في مجملها معوقات أسهمت في تحجم الأدوار التنموية للمرأة خارج المنزل. [47]

---

42 التقرير الوطني الثاني حول حالة السكان العراق في أطار التوصيات ت المؤتمر الدولي للسكان والتنمية والأهداف الإنمائية ص127.

43 يوسف عناد، البناء الاجتماعي والشخصية العراقية، أطروحة دكتورة غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد، 2001، ص170-179.

44 نبراس عدنان المطيري، المرأة والتنمية المستدامة في ضوء مقررات مؤتمر باكين عام 1995، أطروحة دكتورة غير مشهورة، قم علم الاجتماع، كلية الآداب ' جامعة بغداد ' 2005، ص46.

45 إدريس عزام، مشكلات أدارة التنمية، الشركة العربية، القاهرة، 2010، ص254.

46 نبراس عدنان المطيري، المرأة والتنمية المستدامة، مصدر سابق، ص26.

47 نهلة متولي السيد، الإنهاك النفسي لدى المرأة العاملة وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية والديمقراطية، أطروحة دكتورة غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر القاهرة، 1997، ص224.

في أطار هذه المعطيات ظل الاعتراف بأهمية المرأة ودورها التنموي في المجتمع تحكمه مجوعة من المحددات وهو ما يشكل تعطيلا لطاقات نصف المجتمع، وهذه المكانة لها انعكاساتها السلبية على أدوارها القيادية وإسهامها في المشاريع التنموية على الصعيد المحلي والوطني. [48]
لقد واجهت المرأة في المجتمع العراقي كما في سائر المجتمعات النامية نوعا من التمييز الجنسي، الأمر الذي حد من اشتراكها في ميدان العمل، اذ انخفضت نسبة مساهمتها في النشاط الاقتصادي إلى 13 %. [49].
كما ظل استحقاقها للمساواة بموجب القانون موضوع اخذ ورد والأسباب بطبيعة الحال معقدة.
وعلى الرغم من الدعوات المتزايدة المطالبة بدعم دور المرأة في مشاريع الإنماء كشريك متساو مع الرجل ألا انه ما يلاحظ أن مكانتها كانت في الدرجة الثانية على صعيد الأسرة. [50]
وهنا تجدر الإشارة أن النص على حق المرأة في المساواة مع الرجل قد يبقى مجرد فرصة شرعية أن لم يتيح المجتمع فعلا للمرأة الإمكانات المؤدية إلى ممارسة هذه المساواة. [51]
وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول أن عدم تطبيق ما جاء من حقوق للمرأة تكفلها القوانين فضلا عن تخلف نظرة المجتمع لعمل المرأة وأدوارها التنموية تعد أسبابا رئيسية أدت إلى محدودية مشاركتها في عملية التنمية وهو ما تعاني منه المرأة العراقية.

تاسعا: ذكورية المجتمع وعقليته القبلية وانعكاسه على المرأة في العصر الحديث

تقف المرأة العراقية في منتصف الطريق بين الحداثة والتقليد، ولذلك فان سلوكها ومواقفها تفصح عن حالة من الصراع والتردد بين ماض ويجتهد فيه من يبرر التمييز ضدها، وحاضر يعد بمستقبل تحترم فيه قيم ومعايير التكافؤ والمساواة في حقوق التعليم والعمل والصحة وغيرها ويمكنها من اشتغال منزلات تكتسبها بجهدها كانسان يملك مصيره وحقه في الحياة. أن هذا الجدل بين الحداثة والتقليد هو ذاته الذي يجعل الأسرة العراقية هجينة يتفاقم بين أفرادها صراع الأجيال، ويعاد توزيع السلطة بصورة لا تتحرر من معايير الماضي، ولا تتمسك بمعايير الحداثة، وهما مما يصعب، بل ويستحيل أحيانا الموائمة بينها.
المرأة العراقية نصف المجتمع ولكن وزنها النوعي الفاعل في الحياة يفصح عن حقيقة أن حجمها كعدد لا يتناسب مع حضورها في مجالات الفعل الاجتماعي وخصوصا خارج الأسرة. فهي اقل حضورا من الرجال في العمل والتعليم والقيادة والوصول إلى الموارد، كما أن قدرتها على مواجهة العنف بأشكاله المتعددة محدودة بتقاليد الماضي، صحيح أن المرأة العراقية حققت انجازات مهمة مند تأسيس الدولة العراقية (1921) ألا أن الصراعات السياسية، وتناقض المرجعيات الثقافية، وغيرها جعلت من قضية المرأة، قضية أحزاب واتجاهات سياسية أكثر منها قضية مجتمع، مع أن الدولة تمكنت حتى عام 2003 بالمرجعيات العلمانية (شيوعية وبعثية وقومية) وأوجدت بوعي أو بدون وعي البنية التحتية للتغيير الاجتماعي والثقافي في أوضاع المرأة (المدارس – فرص عمل – خدمات تنظيم أسرة – تحديد سن الزواج – محو ألامية – قوانين العمل والضمانة... الخ).[52]
أن أي متابع لأوضاع المرأة العراقية يدرك أن ثمة تحولات مهمة قد حدثت في جوانب حياتها المختلفة ألا انه يدرك أيضا أن الصور النمطية عن المرأة ما زالت سائدة. فقد اظهر مسح للجهاز

---

48 عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، مكتبة نهضة الشرق القاهرة، 1986، ص135.
49 جمهورية العراق، وزارة التخطيط، خطة التنمية الوطنية للسنوات 2014-2010، مصدر سابق، ص138.
50 حارث حازم أيوب، التنمية الاجتماعية في العراق المسارات والتحديات ' أطروحة دكتورة غير منشورة، قم علم الاجتماع، كلية الآداب جامعة بغداد، 2004، ص191.
51 احمد محمد خليفة، التنمية بين الحاجة والحق، بحوث المؤتمر الأول للاجتماعيين العرب حول الأسس الاجتماعية في الوطن العربي المنعقد في بغداد من 6-2 شباط 1980، ص58.
52 كريم محمد حمزة، عوامل ومؤشرات انتهاك الأمن الإنساني للمرأة العراقية، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 98، 2015، ص66.

المركزي للإحصـــاء أن نســبه عالية من الفتيات والشــباب يعتقدون أن منزلة المرأة أدنى من منزلة الرجل، كما هو موضح في الجدول الأتي). [53]

جدول (1) يوضح نسبة الفتيات والشباب (30-10سنة) الذين يوافقون على المقولات المتعلقة بالمرأة بحسب الجنس (2009)

م	المقولة	إناث	ذكور
1	يجب على المرأة أن تاخد موافقة ولي أمرها قبل القيام بأي عمل	92، 3	92، 1
2	يحق للزوج أن يضرب زوجته أذا خالفت أوامره	26، 3	50، 1
3	يجب على الفتاة أن تتزوج قريبها اذا رغب ولي أمرها بدلك	34، 2	46، 5
4	لا تستطيع المرأة اتخاذ قرارات تخصها او تخص عائلتها لأنها غير قادرة على ذلك	25، 6	35، 9
5	من واجب الأسرة فرض ضوابط اشد على المرأة	58، 1	71، 9

وكان مسح KAP2 قد اظهر أن (57%) من الشباب المبحوثين اتفقوا مع مقولة أن المرأة اقل منزلة من الرجل واتفقت نصف الإناث مع هذا القول وعبر (57%) من الشباب أيضا عن قناعتهم بان من حق الزوج ضرب زوجته اذا عصت أوامره. لقد كان للموروث الثقافي دوره الخطير في تبرير العنف. أذ يبدو أن كل الانجازات والتحولات التي جيرت لصالح المرأة في المجتمع العراقي قد عززت نظام المجتمع الأبوي وسلطته الذكوريه، وأسهمت الحروب والنزاعات في تعزيز ذلك النظام أيضا. [54]

وقد كان لمختلف أصناف العلوم ادوار في تحليل وتفسير ظاهرة استضعاف المرأة والحط من قدرها. فالثابت أن المرأة بصورة عامة اضعف من الرجل بدنيا وفي ثقافات الشعوب عامة أيضا ظهر تدني مكانة المرأة وقلة نصيبها مقارنة بالرجل، وينطبق هدا على شتى الدول والأديان.

وفي مجتمعاتنا العربية عموما والعراق خصوصا فان المرأة لطالما كانت ضحية التفسيرات الدينية المبنية على قاعدة قيمية ثقافية أساسها منطق ومفاهيم القبيلة والعشيرة باعتبارها الأشكال الأولية للتنظيم الاجتماعي الضابط، والقوة والضعف الذي أساسه بدائية الإنسان والتي ساست على قاعدة شريعة الغاب، حيث البقاء والسلطة والسيادة للأقوى، وفيه يتم إخضاع المرأة كونها (مخلوق ضعيف) لمنظومة متشابكة تخدم وتكرس مصالح هدا (الأقوى). وهكذا بنيت ثقافة الرجل باعتباره الأقوى على قاعدة شريعة الغاب.

لقد جرت (عرفنة – نسبة إلى العرف – وشرعنة) ادوار المرأة ووظائفها في المجتمع تلازميا بين العرف العشائري والدين، حيث اكتسبت الأعراف شرعيات كبيرة بل قدسية حينما بنيت معظم الأديان سننها وشرائعها على ركام الكثير من القواعد العرفية، أو فسرت نصوصها الدينية بهده الكيفية اي وفقا لترسبات ومفاهيم قبلية بل عززت الكثير منها مثلما حاولت تعديل البعض الأخر. [55]

وتشير مارينا اوتواي بأنه لا يوجد مكان في العالم العربي تتمتع المرأة فيه بكامل حقوقها، مابالك بإيجاد الفرص المتساوية مع الرجال، وموقف كهدا مبرر أذا ما نظرنا إلى ممارسة العادات والتقاليد في العالم العربي ولاسيما المجتمع العراقي الذي يسيطر عليه الذكور. هناك حجج تقول أن ما تدعو أليه المؤسسة الإسلامية التقليدية يذكرنا في السلوك الأوربي، ففي أي نظام أبوي تكون العادات والقوانين الأسرية أكثر تفضيلا للرجال وتميز ضد النساء. وبالرغم من العديد من المعاهدات الدولية التي وقعت لحماية حقوق المرأة، فان المرأة ككائن مستمر بالمعاناة من القيود المفروضة على الحقوق السياسية والحقوق التعليمية والحقوق العائلية الخ، والسبب هو أن الامتثال لهذه المعاهدات لا زال ضعيفا للغاية [56].

---

[53] الجهاز المركزي للإحصاء، المسح الوطني للفتوه والشباب، بغداد، 2009، ص33.

[54] الجهاز المركزي للإحصاء، مسح معارف ومواقف وممارسات الشباب في العراق (KAP2) بغداد 2005، ص12-13.

[55] حميد الهاشمي، المرأة ومأزق تلازم القيم العشائرية والتفسيرات الدينية، مجلة علوم إنسانية، العدد 6، بغداد، 2004، ص4-5.

[56] مارينا، حقوق المرأة والديمقراطية، وثائق كار نفي، واشنطن دي سي، 2004، ص11.

أما العادات والتقاليد فهي لا تتجزأ عن القيم والمعايير، وكلاهما يشكلان عاملان أساسيان من العوامل الاجتماعية المؤثرة في حقوق وشخصية المرأة العراقية، فالعادات هي أنماط من السلوك التي تنتقل من جيل إلى جيل آخر ويستمر مدة طويلة حتى تثبت وتستقر وتصل إلى وجه اعتراف الأجيال المتعاقب بها، والتقاليد لا تنفصل عن العادات، فالتقاليد هي عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل إلى آخر، بمعنى آخر عبارة عن قواعد السلوك الخاصة بجماعة او طائفة معينة والتي ينقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل وكيفية تأثيرها على حقوق وممارسات المرأة العراقية في المجتمع. [57].

حيث يقول عالم الاجتماع " أميل دوركهايم " بان العادات مفروضة وملزمة وفرضها والتزامها يشعرنا بالراحة في أطاعتها، ويرى بأنها عبارة عن وقائع تبلورت واستقرت في شكل نماذج انتقلت ألينا من الأجيال السالفة، ونجد أن العادات والتقاليد الضارة والعادات غير السوية تلعب دورا فعالا في توجيه أرادات الأفراد نحو صور متعددة من السلوك الفاسد الذي قد تجدي في مكافحته أجراءت الأمن المألوفة بالنسبة للمرأة العراقية. [58].

أن مركز المرأة في الأسرة العراقية التقليدية هو بقاء البنات تحت ضبط الإباء وسيطرتهم حتى يتزوجن فيتبدلن تلك السيطرة بسيطرة الأزواج وللنساء مركز اجتماعي محدد اكتسبته من خلال التنشئة الأسرية حالها حال الذكور. ولكنها في مكانه اوطا إذ ليس لها الحق في اختيار الزوج او تطليقه وليس لها رأي مسموع وكذلك ليس للأمهات حق في قرارات الأب خاصة ما يتعلق بزواج الأبناء او البنات. [59]. والأسرة العراقية تعرضت لكثير من عوامل التغيير نتيجة للتفاعل مع المؤسسات الأخرى ولا يمكن فصل هذا التغيير عن التغيير الذي يحدث في الجوانب الأخرى في المجتمع العراقي لا سيما في مرحلتي التحضر والتصنيع، اللذان لعبا دورا كبيرا في تغيير أشكال الأسرة الذي انعكس بدوره على تغيير طبيعة ونوع التنشئة ذات العلاقة بالمرأة. [60].

وان الاتجاهات التقليدية كانت تعد البيت هو المكان الطبيعي للمرأة وما هي ألا حالة من حالات التخلف الاجتماعي والثقافي التي سادت في العراق أبان الاحتلال الذي تعرض إليه العراق في حقب زمنية مختلفة وعلى ذلك لا يمكن فصل العادات والتقاليد والأسرة وتأثيرها عن واقع المرأة في المجتمع العراقي فهي جزء من أفكاره وتراثه ومعتقداته لذا فان ما أعطي للمرأة دور ثانويا استوجبت تبعيتها للرجل هي كانت محرومة من التعليم واحتسبها غالبية الناس أن التعليم ما هو آلا أفساد لأخلاق المرأة وخروجا عن القيم والأعراف الاجتماعية. [61].

وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول أن من أهم التحديات التي تواجهها المرأة في المجتمعات العربية عامة والمجتمع العراقي خاصة هي العقلية القبلية المتحكمة بالفرد، والتي بدورها تعطي انطباع ذكوري وصبغة ذكورية للمجتمعات لكون التمسك بالعادات والتقاليد القبلية تعتبر في نظر هده المجتمعات ضرورة ولا مفر منها وهي نوع من الاتصال الروحي، واجب على الكل التمسك بها وان وصل الأمر بها التعارض مع الدين والنهج والقانون.

---

57 عبد السلام الفار، معجم العلوم الاجتماعية، دار النهضة للنشر القاهرة ' 1980، ص144.

58 إبراهيم الناصر، علم الاجتماع التربوي، عمان، 1984، ص241

59 سليم شاكر مصطفى. الجبايش، مطبعة الرابطة بغداد 1956، ص78.

60 عبد علي سلمان، المجتمع الريفي في العراق، دار الرشيد للنشر، بغداد 1980 ص43.

61 عبد الكاظم شندل عيسى التغيير الاجتماعي والتربية والتعليم في العراق أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة بغداد كلية الآداب، 1996، ص118.

الإطار الميداني

عاشرا: المنهجية وإجراءات البحث

1- منهج البحث وأدواته

أقتضى البحث الراهن عدد من الوسائل والطرائق العلمية لغرض الحصول على المعلومات والبيانات منها منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة نظرا لصعوبة القيام بعملية المسح الشامل والمنهج الوصفي لتفسير المتغيرات والعلاقات في هده الدراسة، كما استخدمت الاستبانه كأداة لجمع البيانات بالإضافة إلى اعتماد الملاحظة البسيطة والمقابلة بوصفهما وسائل لجمع المعلومات من المبحوثين.

2- **مجتمع البحث وعينته**: يتشكل مجتمع البحث من نخبة من أساتذة جامعة بغداد / مجمع الجادرية والبالغ عددهن (50) أستاذة.

3- **حدود البحث ومجالاته:**

- المجال البشري: ويشمل أساتذة جامعة بغداد / مجمع الجادرية.
- المجال ألزماني: وقد تحدد من الفترة 2017/2/7 إلى 2017/4/3.
- المجال المكاني: وقد تحدد ببعض الكليات التابعة لجامعة بغداد /مجمع الجادرية.

4- **الوسائل الإحصائية**: تم تستخدم الوسيلة الإحصائية الملائمة لتحقيق أهداف البحث وهي

- النسبة المئوية:

احدى عشر: عرض بيانات البحث

1- البيانات الخاصة بجنس للمبحوثين

جدول (2) يوضح الجنس

الجنس	العدد	النسبة المئوية
أنثى	50	100
المجموع	50	100

أظهرت البيانات الواردة في الجدول (2) (100%) من المبحوثين لأننا تعمدنا شـــمول فئة الإناث فقط.

2- البيانات المتعلقة بالتوزيع العمري

جدول (3) يوضح التوزيع العمري للمبحوثين

العمر	العدد	النسبة المئوية
35-25	14	%28
45-35	25	%50
55-45	11	%22
المجموع	50	%100

تبين من خلال نتائج البيانات الواردة في الجدول (3) أن الفئة العمرية (35- 45) احتلت أعلى النسب بين المبحوثين بنسبة 50% تليها الفئة العمرية (35-25) بنسبة 28% أما الفئة العمرية (45-55) فبلغت نسبتهم 22%.

3-البيانات المتعلقة بالحالة الاجتماعية

جدول (4) يوضح الحالة الاجتماعية للمبحوثين

الحالة الاجتماعية	العدد	النسبة المئوية
متزوجة	30	%60
مطلقه	6	%12
أرمله	10	%20
باكر	4	%8
المجموع	50	%100

أظهرت المعطيات الواردة في جدول (4) أن الغالبية العظمى من المبحوثين هم من المتزوجات، بلغت نسبتهم (60 %)، تليها نسبة الأرامل (20%)، أما نسبة المطلقات فقد بلغت (12%)، أما غير المتزوجات فكانت نسبتهن (8%).

4-البيانات المتعلقة بالتحصيل الدراسي للمبحوثين

جدول (5) يوضح المستوى التعليمي للمبحوثين

التحصيل الدراسي	العدد	النسبه المئويه
ماجستير	25	%50
دكتوراه	25	%50
المجموع	50	%100

أظهرت المعطيات الواردة في الجدول (5) أن (50%) من المبحوثين هم من حملة شهادة الماجستير وان 50% أيضا من المبحوثين هم من حمله شهادة الدكتوراه.

5- البيانات المتعلقة بالخلفية الاجتماعية

جدول (6) يوضح الخلفية الاجتماعية للمبحوثين

الخلفية الاجتماعية	العدد	النسبة المئوية
ريف	18	%36
مراكز محافظات	12	%24
بقيه حضر (اقضيه ونواحي)	20	%40
المجموع	50	%100

أظهرت البيانات الواردة في جدول (6) أن (40%) من المبحوثين من بقيه حضر (اقضيه ونواحي) وأن (36 %) من المبحوثين تعود خلفياتهم الاجتماعية إلى مناطق ريفية، مقابل (24%) من المبحوثين كانت خلفياتهم الاجتماعية من مراكز محافظات.

6- البيانات المتعلقة بدور الأسرة في اختيار العمل

جدول (7) يوضح مدى تدخل الأسرة دور في اختيار نوع العمل

الإجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	33	%66
إلى حد ما	9	%18
كلا	8	% 16
أخرى تذكر	0	0
المجموع	50	100

أظهرت البيانات الواردة في الجدول (7) أن 66 الغالبية العظمى من المبحوثين (66%) يرون أن للأسرة دور في اختيار نوع عمل المرأة، وان (18%) كانت أجابتهم إلى حد ما، مقابل (16%) من المبحوثين يرون عكس دلك.

7- البيانات المتعلقة بتوضيح مدى تأثير نظرة المجتمع الدونية للمرأة في عدم تسلمها ادوار حقيقية منسجمة مع طموحها

جدول (8) يوضح نظرة المجتمع الدونية للمرأة

الإجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	10	%20
إلى حد ما	20	%40
كلا	20	%40
أخرى تذكر	0	0
المجموع	50	100

يلاحظ من المعطيات الواردة في الجدول (8) أن 40% من المبحوثين ا كدوا أن لنظرة المجتمع الدونية للمرأة اثر في عدم تسلمها ادوار منسجمة مع طموحها، وان (40%) كانت أجابتهم إلى حد ما، مقابل (20%) من المبحوثين يرون عكس دلك.

8- البيانات المتعلقة بأهم الأسباب التي تدفع المرأة إلى اختيار عمل لا يناسب مهاراتها وكفاءاتها

يوضح الجدول (9) الأسباب التي تدفع المرأة إلى اختيار عمل مالا يناسب مهاراتها

الأسباب	العدد	النسبة المئوية
نظرة المجتمع الدونية إلى بعض المهن التي تمارسها المرأة	6	%12
تخوف المرأة من رد فعل المجتمع	37	%74
الموروث القبلي الذي يحرم ويجرم عمل المرأة	3	%6
ضعف المستوى العلمي والثقافي للأسرة	4	%8
أسباب أخرى تذكر	-	-
المجموع	50	100

تظهر النتائج المعروضة في الجدول (9) والتي تسلط الضوء على أهم الأسباب التي تدفع المرأة إلى اختيار عملا ما لا يناسب كفاءاتها ومهاراتها أن 74 تخوف المرأة من ردة فعل المجتمع احتل المرتبة الأولى وبنسبة (74 %)، يليها في المرتبة الثانية نظرة المجتمع الدونية إلى بعض المهن التي تمارسها المرأة بنسبة (12%)، بينما احتل ضعف المستوى العلمي والثقافي للأسرة المرتبة الثالثة وبنسبة (8%)، مقابل (6%) أكدوا الموروث القبلي الذي يحرم ويجرم عمل المرأة هو من أهم الأسباب التي يدفع المرأة إلى اختيار عملا لا يناسب مهاراتها وكفاءاتها.

9- الأسباب الكامنة أو المحتملة وراء تهميش دور المرأة الحقيقي في المجتمع

جدول (10) يوضح أهم الأسباب التي أدت إلى تهميش دور المرأة الحقيقي في المجتمع

أهم الأسباب التي أدت إلى تهميش دور المرأة الحقيقي في المجتمع	العدد	النسبة المئوية
عدم المساواة مابين الرجل والمرأة	10	%20
الفساد الإداري	11	%22
الموروث الثقافي للمجتمع	16	%32
أسلاميه الفكر العام للمجتمع وعدم تفهمه لنصوص الشريعة	12	%24
أسباب أخرى تذكر	0	0
المجموع	50	100

وعند استطلاع أراء المبحوثين عن أهم الأسباب التي أدت إلى تهميش دور المرأة في المجتمع تظهر المعطيات الواردة في الجدول (10) أن الموروث الثقافي للمجتمع احتل المرتبة الأولى في إجابات المبحوثين وبنسبة (32%)، تليها في المرتبة الثانية أسلاميه الفكر العام للمجتمع وعدم تفهمه لنصوص الشريعة بنسبة (24%) وجاء الفساد الإداري بالمرتبة الثالثة بنسبة (22%)، أما عدم المساواة مابين الرجل والمرأة فقد احتلت المرتبة الرابعة بنسبة(20%).

10- موقف الدين ونصوصه التشريعية اتجاه عمل المرأة

جدول (11) يوضح هل للدين ونصوصه التشريعية اثر اتجاه عمل المرأة

الإجابة	العدد	النسبة المئوية
نعم	37	%74
إلى حد ما	8	%16
كلا	5	%10
أخرى تذكر	0	0
المجموع	50	100

تظهر المعطيات الواردة في الجدول (11) أن (74 %) من المبحوثين أكدوا أن للدين ونصوصه التشريعية اثر اتجاه عمل المرأة، وان (16%) من المبحوثين كانت أجابتهم إلى حد ما، مقابل (10%) لا يرون للدين ونصوصه التشريعية اثر اتجاه عمل المرأة وكانت نسبتهم (10%).

11- التحديات التي تواجه المرأة وحرمها من ممارسة الأدوار القيادية في المجتمع

جدول (12) يوضح التحديات التي تواجه المرأة

التحديات التي تواجه المرأة	العدد	النسبة المئوية
الفساد الإداري	8	%16
تدهور الوضع الأمني	6	%12
عدم الأيمان بقدرة المرأة في تسلمها ادوار قيادية	8	%16
التميز الجنسي ضد المرأة	28	%56
أسباب أخرى تذكر	-	-
المجموع	50	100

وعند استطلاع آراء المبحوثين عن أهم التحديات التي تواجه المرأة في الوقت الحاضر وحرمانها من ممارسة الأدوار القيادية في المجتمع تظهر المعطيات الواردة في الجدول (12) أن التميز الجنسي ضد المرأة وعدم مساواتها مع الرجل احتل المرتبة الأولى للمبحوثين وبنسبة (56%)، من المبحوثين يرون ه من التحديات التي تواجه المرأة في الوقت الحاضر وحرمها ممارسة الأدوار القيادية تليها في المرتبة الثانية الفساد الإداري بنسبة (16%)، وجاء عدم الأيمان بقدرة المرأة في تسلمها ادوار قيادية بالمرتبة الثالثة (16%)، أما تدهور الوضع الأمني فقد احتل المرتبة الرابعة بنسبة (12%).

12- **الأسباب التي أسهمت في تحجيم الأدوار التنموية المعطاة للمرأة**

جدول (13) يوضح أهم الأسباب التي أسهمت في تحجيم الأدوار المعطاة للمرأة

أهم الأسباب	العدد	النسبة المئوية
تخلف نظرة المجتمع لعمل المرأة	19	%38
موقع المرأة في المجتمع الذي يتصف بالتبعية	18	%37
عدم تطبيق ما جاء في حقوق المرأة يكفلها القانون	13	%25
أسباب أخرى تذكر	-	-
المجموع	50	100

من خلال متابعة النتائج الواردة في الجدول (13) الخاص باستعراض أهم الأسباب التي أسهمت في تحجيم الأدوار التنموية المعطاة للمرأة، يلاحظ أن تخلف نظرة المجتمع لعمل المرأة احتل المرتبة الأولى في إجابات المبحوثين وبنسبة (38%)، تليها في المرتبة الثانية موقع المرأة في المجتمع الذي يتصف بالتبعية وبنسبة (37%)، وجاء في المرتبة الثالثة عدم تطبيق ما جاء من حقوق للمرأة يكفلها القانون بنسبة (24%).

نتائج البحث

1- أظهرت معطيات الدراسة الميدانية أن نسبة الإناث كانت (100%) وذلك كوننا تعمدنا شمول فئة الإناث فقط.
2- أظهرت معطيات الدراسة أن أعلى النسب من مجموع النساء (عينة البحث) تراوحت أعمارهم بين (45-35) سنة أذ بلغت (50%)، تليها نسبة من تراوحت أعمارهم بين (35-25) سنة (28%)، وجاء من تراوحت أعمارهم بين (55-45) سنة بالمرتبة الثالثة بنسبة (22%).
3- تبين أن (60 %) من المبحوثين هم من المتزوجات وان (20 %) من المبحوثين أرامل وان (12%) من المبحوثين من المطلقات.
4- أظهرت النتائج آن (50%) من المبحوثين هم من حملة الشهادة الماجستير وان (50%) من المبحوثين هم من حمله شهادة الدكتوراه.
5- أظهرت المعطيات أن (40%) من المبحوثين هم من بقية حضر (اقضيه ونواحي) وأن (36%) من المبحوثين هم من الريف وان (24%) من المبحوثين هم من مراكز محافظات.
6- تبين نتائج الدراسة أن (66%) من المبحوثين أكدوا أن للأسرة دور في اختيار نوع العمل المرأة.
7- توضح معطيات الدراسة أن (40%) من المبحوثين أكدوا أن لنظرة المجتمع الدونية للمرأة اثر في عدم تسلمها ادوار حقيقية منسجمة مع طموحها.
8- أكد (74 %) من المبحوثين أن تخوف المرأة من ردة فعل المجتمع من أهم الأسباب التي تدفع المرأة إلى اختيار عملا لا يناسب مهاراتها وكفاءاتها.
9- تبين من خلال نتائج الدراسة أن (32%) من المبحوثين أكدوا أن الموروث الثقافي للمجتمع احد أهم الأسباب التي أدت إلى تهميش دور المرأة في المجتمع.
10- أكد الغالبية العظمى من المبحوثين (74%) أن للدين ونصوصه التشريعية اثر اتجاه عمل المرأة.
11- بينت معطيات الدراسة أن (56%) من المبحوثين أكدوا أن التميز الجنسي ضد المرأة وعدم مساواتها مع الرجل من أهم التحديات التي تواجهها في الوقت الحاضر الأمر الذي أدى إلى حرمها من ممارسة الأدوار القيادية في المجتمع.
12- تبين من بيانات الدراسة أن (38 %) من المبحوثين أكدوا أن موقع المرأة في المجتمع الذي يتصف بالتبعية أهم الأسباب التي أسهمت في تحجيم الأدوار التنموية المعطاة للمرأة.

التوصيات

1- لابد من الاهتمام بالمرأة كونها تشكل الركيزة الأساسية لبناء الأسرة والمجتمع وضرورة مشاركتها في كافة المجالات سواء الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي أو الاجتماعي.
2- تعزيز دور المرأة في عملية التنمية، من خلال تهيئة الفرص التعليمية وبناء قدراتها المهنية، واعتماد مبدأ تكافؤ الفرص، والحد من اثر المنظومات القيميه الاجتماعية التقليدية التي تحجم من الأدوار التنموية للمرأة وضع البرامج والسياسات العامة التي تساعد على التخفيف من المظاهر السلبية المتفشية في المجتمع اتجاه المرأة (التمييز الجنسي، واللامبالاة والإهمال لحقوق المرأة، والنظرة السلبية اتجاه المرأة.....الخ).

3- بناء ثقافة مجتمعية تعزز الدور التنموي للمرأة باعتبارها الشريحة الأوسع في الهرم السكاني، إذ ان هناك حاجة حقيقية لإثراء ومناقشة هدا الموضوع، والسعي لبلورة الإشكاليات المتعلقة به، والإجابة عن التساؤلات التي تثيرها مجالات استدامة التنمية، ومعالجة العوائق التي تحول دون تحقيقها.
4- العمل على صياغة وبناء خطاب تنموي مجتمعي متماسك يضمن تعبئة الموارد والقدرات من اجل تغيير نظرة المجتمع السلبية اتجاه عمل المرأة وأدوارها التنموية، والعمل على ترجمة هذا الخطاب على ارض الواقع.
5- تعزيز حكم القانون والمؤسسات القضائية ذات الصلة بتنفيذ التشريعات الخاصة والكفيلة بحماية المرأة وحقوقها.
6- الاستجابة المبكرة لمهددات الأمن الإنساني للمرأة ودلك باعتماد إستراتيجية للسلام مبنية على أسس علمية رصينة باعتماد مجموعة من السياسات والخطط الرامية إلى معالجة بعض تهديدات انعدام الأمن والاستقرار
7- العمل على تمكين المرأة اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وصحيا.
8- توفير سياسات تشغيل تؤمن فرص عمل لائق لخريجات المدارس الابتدائية والثانوية ومتابعة المزيد من التدريب المهني والفني في مؤسسات التربية والتعليم. من اجل الارتقاء بمستوى المرأة اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا.

المقترحات

من أجل استكمال الصورة عن المجتمع الذكوري وانعكاسة على دور المرأة التنموي نقترح اجراء البحوث والدراسات في المجالات الاتية:

1- المراة ودورها الاجتماعي ما بين العرف والقانون.
2- المعوقات التي تواجه تحضر المراه الريفيه : جنوب العراق انموذجا

المصادر

1- القران الكريم، سورة الأعراف ' أيه، 189.
2- القران الكريم، سورة آل عمران، أيه، 195.
3- د. إبراهيم عبد الهادي محمد المليجي والخدمة الاجتماعية من منظور تنظيم المجتمع، مكتبة المعارف الحديثة، القاهرة، 1989.
4- د. احمد البغدادي، المجتمع ألذكوري، مركز تنوير للثقافة، الكويت، 2007.
5- أمل عيسى الصالح ومحمد حسين جواد، الأسرة في الكويت، الدراسة مقدمة إلى الحلقة الدراسية الخاصة بالأسرة العربية المنعقدة في الفترة 21-18 ديسمبر، وزارة الشؤون العمل الاجتماعية، الكويت، 1972.
6- د. إدريس عزام، مشكلات أدارة التنمية، الشركة العربية، القاهرة، 2010.
7- د. احمد محمد خليفة، التنمية بين الحاجة والحق، بحوث المؤتمر الأول للاجتماعيين العرب حول الأسس الاجتماعية في الوطن العربي المنعقد في بغداد من 6-2 شباط 1980.
8- التقرير الوطني الثاني، حول حالة سكان العراق في أطار توصيات المؤتمر الدولي للسكان والتنمية والأهداف، 2012.
9- اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، تحليل الوضع السكاني في العراق 2012، التقرير الوطني الثاني حول حالة السكان في أطار توصيات المؤتمر الدولي للسكان والتنمية والأهداف الإنمائية للألفية.
10- ألاء عبد الله معروف، المرأة واتخاذ القرار الاجتماعي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد، 2005.
11- الجهاز المركزي للإحصاء، المسح الوطني للفتوه والشباب، بغداد، 2009.
12- الجهاز المركزي للإحصاء، مسح معارف ومواقف وممارسات الشباب في العراق (KAP2) بغداد 2005.
13- إبراهيم الناصر، علم الاجتماع التربوي، عمان، 1984.
14- ثائر رحيم كاظم، معوقات تمكين المراة في المجتمع العراقي، بحث منشور في مجلة جامعة بابل / العلوم الانسانية، المجلد 42، العدد 2. 2016.
15- جمهورية العراق، وزارة التخطيط، خطة التنمية الوطنية للسنوات 2014-2010.
16- د. حياة، حقوق الإنسان والمرأة والتحول الاجتماعي في الشرق الأوسط العربي، نشر مركز جلوريا، 2005
17- د. حارث حازم أيوب، التنمية الاجتماعية في العراق المسارات والتحديات ' أطروحة دكتورة غير منشورة، قم علم الاجتماع، كلية الآداب جامعة بغداد، 2004.

18- حميد الهاشمي، المرأة ومأزق تلازم القيم العشائرية والتفسيرات الدينية، مجلة علوم إنسانية، العدد 6، بغداد، 2004.
19- زهرة شريف ' التغيرات ألاجتماعيه وأثرها في الشخصية، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة بغداد، 1987.
20- زيدان عبد الباقي، وسائل واساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،
21- سامية حسن الساعاتي، المرأة والمجتمع المعاصر، الدار المصرية السعودية للنشر، القاهرة، 2006.
22- د. سليم شاكر مصطفى، الجبايش، مطبعة الرابطة، بغداد، 1956.
23- شفيق محمد، الخطوات المنهجية لأعداد البحوث الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث للطباعة، الإسكندرية، 1993.
24- سلمان عبد علي، المجتمع الريفي في العراق، دار الرشيد للنشر، بغداد 1980.
25- د. صلاح مصطفى، منهجية العلوم الاجتماعية، عالم الكتب ودار إلهنا للطباعة، مصر القاهرة، 1982.
26- عبد الله مبارك الفرج، بناء المجتمع الإسلامي، ط2، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الرياض 2001.
27- د. عبد الهادي الجوهري، أساس علم الاجتماع، مكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2002.
28- عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار المشرق الثقافي، عمان، الأردن، 2006.
29- عبد الكاظم شندل عيسى، التغير الاجتماعي والتربية والتعليم في العراق، أطروحة دكتوراه غير منشوره جامعة بغداد، كلية الآداب، 1996.
30- د. عادل فهمي محمد بدر وآخرون، دراسات حول التنمية في الوطن العربي، مؤسسة الخدمات العربية، عمان، 1988.
31- عهود جبار عبيره، دور القيادات المحلية في تنمية المجمع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة بغداد، 2012.
32- عبد السلام الفار، معجم العلوم الاجتماعية، دار النهضة للنشر القاهرة، 1980.
33- د. عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، مكتبة نهضة الشرق القاهرة، 1986.
34- د. فهمي سليم ألغزوي وآخرون، مدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1994.
35- د. لاهي ألدعمي، آثار التنمية والحرب على النساء في العراق ' دار الشؤون الثقافية للنشر، بغداد ' 2005.
36- د. فتحي محمد البعجة، التطور الاجتماعي والاقتصادي، البناء السياسي العربي، دار النهضة العربية، ليبيا، 2006.
37- د. فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية ' مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962.
38- كي ام وزيرة، حقوق المرأة التقليدية كما تحددها العادات ونمط الأسرة والنظم الاقتصادي والاجتماعية ومشاركة المرأة، كلية الحقوق جامعة أبوجا ام بي 117، ابوجا.
39- كريم محمد حمزة، عوامل ومؤشرات انتهاك الأمن الإنساني للمرأة العراقية، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 98، 2015.
40- مصطفى الخشاب، دراسة المجتمع، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1987.
41- محمد فؤاد حجازي، البناء الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة 1982.
42- محمد ابي بكر بن عبد القادر الرازي - مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون سنة.
43- مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ط، مطبعة جامعة دمشق، 1962.
44- مرتضى مطهري، حقوق المرأة في النظام الإسلامي، دار التعارف للمطبوعات، لبنان بيروت، 2005.
45- محمد عابد الجابري، التنمية البشرية، دار بيروت، 1982.
46- د. محمد جميل باش، أنماء العوامل المؤثرة في أنتاج العنصر البشري مع التركيز على ظاهرة هجرة العقول، من محاضرات الأسبوع الاقتصادي الأول في حلب ما بين 8-8 كانون الثاني، تحت أشراف جمعية العلوم الاقتصادية وردت أيضا في مجلة الاقتصاد، العدد 234، تموز، 1983.
47- مارينا، حقوق المرأة والديمقراطية، وثائق كار نفي، واشنطن دي سي، 2004.
48- معن خليل عمر، منهاج البحث الاجتماعي في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1996.
49- محمد محمود الجوهري، أسس البحث الاجتماعي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2009.
50- 47 - ميشيل دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة د. أحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.
51- ملحم سامي محمد، القياس والتقويم في التربية وعلم النفس، دار المسيرة، عمان، 2000.
52- هبة عبد المحسن عبد الكريم، رسالة ماجستير " التحديات التي تواجه المرأة القيادية في العراق"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة بغداد، 2012.
53- وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ' الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، مسح الأحوال المعيشية في العراق، 2004.
54- د. نهلة متولي السيد، الإنهاك النفسي لدى المرأة العاملة وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والديمغرافية، أطروحة دكتورة غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر القاهرة، 1997.
55- نبراس عدنان المطيري، المرأة والتنمية المستدامة في ضوء مقررات مؤتمر بكين عام 1995، أطروحة دكتورة غير مشهورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب ' جامعة بغداد ' 2005.
56- د. يوسف عناد ود. زينب محمد، المرأة والثقافة " بحث تحليلي في العوامل المؤثرة في تكوين شخصية المرأة العراقية " بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، العدد 4، 2010.
57- ياسين محمد حسين العلي، حقوق المرأة بين التشريعين الإسلامي والغربي، مطبعة الكتاب، بغداد، 2012.
58- يوسف عناد، البناء الاجتماعي والشخصية العراقية، أطروحة دكتورة غير منشورة، كلية الآداب جامعة بغداد، 2001.

أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 8، العدد 27 (2017). ص ص 133-152

بعض الدلالات السيكومترية للصورة السعودية لاختبار SAGES-2 للكشف عن الموهوبين في المرحلة الابتدائية والمتوسطة

يسرى زكي عبود(*)

الملخص: هدفت الدراسة الحالية إلى تطوير صورة سعودية من اختبار (SAGES-2) للكشف عن الطلاب الموهوبين من الفئة العمرية في المرحلة الابتدائية والمتوسطة ودراسة بعض الخصائص السيكومترية لاختبار (SAGES-2) على ثلاث مجموعات (الموهوبون، المتفوقون، العاديون) مسحوبين من عدد من المدارس الابتدائية والمتوسطة في محافظة الأحساء تتراوح أعمارهم بين (11-14) سنة، بلغ عددهم (1414) طالباً وفق محكات الدراسة، (الذكور 691/ الإناث 723). بينت نتائج الدراسة أن الاختبار تتوافر فيه معاملات اتساق مرتفعة وقد تراوحت معاملات ألفا كرونباخ بين (0.87-0.28)؛ وبينت نتائج الدراسة أيضاً أن الاختبار حقق مؤشرات صدق تلازمي مرتفعة حين استخدمت المحكات التالية (اختبار القدرات المعرفية CogAt الصورة الخامسة، واختبار رافن للمصفوفات المتتابعة) وتراوحت معاملات الارتباط بين البطارية اللفظية من CogAt واختبار اللغة / الدراسات بين (0.90-0.74)؛ وبالنسبة للبطارية الكمية تراوحت معاملات الارتباط بين (0.96-0.87)؛ وتراوحت معاملات الارتباط مع البطارية غير اللفظية (0.94-0.85)، في حين بلغ معامل الارتباط بين SAGES-2 واختبار رافن للمصفوفات المتتابعة (0.87). وبينت معاملات اختبار (ت) أن هناك فروق في أداء الطلاب في مجموعات الدراسة الثلاثة (الموهوبون، المتفوقون، العاديون) لصالح الطلاب الموهوبين عندما تمت مقارنتهم مع كل من المتفوقين والعاديين، مما يشير إلى الصدق التمييزي للاختبار. وتم حساب معاملات الارتباط بين درجات الطلاب في اختبار SAGES-2 ودرجاتهم التحصيلية للحصول على الصدق التنبؤي للاختبار وتراوحت معاملات الارتباط بين (0.85-0.69). أخيراً، بينت نتائج الدراسة أن الاختبار المطور على البيئة السعودية من عمر (11-14) سنة قد حقق مؤشرات صدق وثبات عالية.

الكلمات المفتاحية: الموهوبون-المتفوقون-القدرة – التمييز-الاستدلال.

Some Psychometric Indications of the Saudi Version of SAGES-2 Test for Screening Gifted Elementary and Middle School Student

Yusra Zaki Aboud

Abstract: This study aimed to develop Saudi version of (SAGES-2) test 'Screening Assessment for gifted elementary and middle school student' and study psychometric characteristics of SAGES-2 on samples of (Gifted, Superior and Normal) which were drawn from primary and middle students in Alhasa Province aged (11-14) and consisted of (1414) according study criteria (male: 691, female: 723).The result showed that the test had a high level of internal consistency, cronbach's ranged between (0.87-0.28). The results also showed that the test has high criterion validity with two test: cognitive abilities test (CogAt) rang (0.74-0.90) with verbal; (0.87-0.96) with Quantative; and (0.85-0.94) with nonverbal. Correlation coefficient Raven Matrix was 0.87. The t test showed a significant differences on SAGES-2 test between (gifted, Superior and normal) to the benefit of gifted when their performance comparing to the two other groups; which indicated the discriminate validity of the test. Correlation between SAGES-2's students scores and their achievement scores were calculated to conclude the predictive validity of the test the correlation coefficient ranged between (0.69-0.85). Finally, the results of this study revealed acceptable psychometric characteristics of the developing test on student aged (11-14) in Saudi environment.

Key words: Gifted- superior- ability - discrimination- reasoning.

(*) الاستاذ المساعد في المركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع، جامعة الملك فيصل، Yousra_aboud@yahoo.com

مقدمة:

شـهد القرن الحالي حركة واسـعة تدعو إلى تنشـيط الاهتمام بالموهوبين والمبدعين، وتركز على ضـرورة الكشـف عنهم وتشـخيصـهم في سـن مبكرة، وتعتبر عملية الكشـف عن الأطفال الموهوبين والمتفوقين أحد أهم مدخلات برامج رعاية الموهوبين اذ إنها الخطوة الأولى والمدخل الطبيعي لبرامج رعاية الموهوبين والمتفوقين، ويتوقف نجاح البرامج المقدمة للموهوبين على دقة عملية الكشـف ونجاحها في تحديد الفئة المسـتهدفة، وتكمن أهمية هذه العملية في اختيار الطالب المناسـب ليقدم له البرنامج المناسب، وبذلك تؤثر هذه العملية في كل ما يتبعها من خطوات. وقد أكد الكثير من الباحثين على أهمية التبكير فى تعرّف الموهوبين والمتفوقين وعدم الانتظار لأعمار متأخرة خوفاً من اكتسابهم أساليب وعادات تعوق تكيفهم مع النظم التعليمية المختلفة، بالإضافة إلى ما يترتب على تأخير اكتشـافهم من تعريض طاقاتهم للهدر والفقد، وللأسـف ما زالت الجهود والمسـاعي المبذولة للكشـف عن الموهوبين وتعرفهم في المملكة العربية السـعودية ضـعيفة (النافع وآخرون، 2000، ص20) فالموهبة التي تبدأ على هيئة اسـتعداد فطري لدى الطفل تتحول مع النمو إلى قدرة أدائية حقيقية إذا وجدت الرعاية والاهتمام المناسـبين في طريقها. ومع تزايد اهتمام المؤسـسـات التربوية بتعرّف هذه الفئة ودراستها ورعايتها، لم يوجد ما يوازيه على أرض الواقع؛ ففي دراسة (Heller, 1993) المسـحية الواسـعة التي هدفت لتحليل محتوى بنية وأهداف ومواضـيع بحوث الموهبة والتفوق في الفترة ما بين (1991-1971)، أظهرت نتائج تلك الدراسـة إن البحوث التى اهتمت بالكشـف كانت حوالي (7,5%) وهى بذلك تقع في المرتبة الخامسـة من بين سـبع مجالات مختلفة لدراسـة الموهبة، كما يحتل موضـوع الكشـف نفس المرتبة عند تحليل (6) دوريات في مجال الموهبة، كما أنه كانت (13%) فقط من البحوث في مرحلة الأساس (المرحلة الابتدائية) (عطا الله، 2008)؛ ووفقاً لدراسة مسحية، أجرى أبو هاشم (2003) من خلالها مسحاً للبحوث العربية الخاصة بالموهوبين، وبيَّن فيها أن أكثر الأسـاليب المسـتخدمة للكشـف عن الموهوبين في مرحلة ما قبل الدراسـة هي مقاييس الكشـف عن خصـائص الموهوبين، وقد أكدت أحمد (2010) في دراسـتها المقدمة لمؤتمر الموهوبين بين الواقع والمأمول: وجوب استخدام محكات متعددة في عملية الكشـف عن قدرات الطلاب غير العادية في السـنوات الأولى من العمر تتجاوز قوائم كشـف الخصـائص السلوكية، بهدف وضع برامج رعاية خاصة تطلق طاقاتهم وتنميها، فتعدد المحكات والمقاييس التي يمكن أن تستخدم في تشخيص الموهوبين الطلاب أمر ضروري ومطلوب وذلك لتعدد أبعاد مفهوم الموهوب- التي يشار إليها في غالبية تعاريف الموهوب- وتتضمن الأبعاد القدرة العقلية الاستدلالية واللغوية والعلمية والرياضـية والقدرة التحصـيلية. لذا علينا الاهتمام بالاختبارات التي تمكننا من تشـخيص ومعرفة الموهوبين ورفع سـوية صـدقها وثباتها لتحقق الأغراض المرجوة منها بحيث تصـمم لهم برامج الرعاية المناسـبة، ومن جهة ثانية تسـهم المعلومات التي توفرها الاختبارات في التزيد بمعلومات مهمة تتصـل بجوانب القوة والضـعف لدى الموهوبين بشـكلٍ يسـاعد في تطوير اسـتراتيجيات التعليم المناسـبة لهم وتعرف مدى وجود صـعوبات تعليمية ومعرفة أنواعها ومدى شيوعها، ومن ثم إمكانية التزويد بالبرامج العلاجية الخاصة.

وقد تنوعت طرائق الكشـف عن الأطفال الموهوبين، وتعددت الاتجاهات التي يتبناها القائمون على برامج رعاية هذه الفئة، بين اسـتخدام لمعيار أحادي يتمثل بقوائم تقدير الخصـائص السـلوكية، إلى معيار ثنائي يدعم تلك القوائم بدرجات اختبارات الذكاء، في حين تتبنى التوجهات الحديثة أسـلوب المعيار المتعدد للكشـف عن الموهوبين، إذ إن التركيز على المعيار الأحادي أو الثنائي قد يحرم فئة مهمة من الطلاب الذين لا تتوافر لديهم سـمات الموهوبين العامة، التي تركز عليها مقاييس الكشـف عن الموهوبين، ويضـمن اعتماد المعيار المتعدد وصـول أولئك الذين يمتلكون موهبة خاصـة إلى برامج رعاية الموهوبين في مجال موهبتهم الخاصـة (باوند، 2006)، وتعدد المحكات ضـرورة يبررها تعدد مجالات الموهبة (الكيلاني والروسان،2006).

ونظراً لما يتمتع به اختبار SAGES-2 Screening Assessment for gifted elementary and middle school students من مواصفات تؤهله للاستخدام بفعالية في تشخيص الموهوبين وتعرفهم تتمثل بـــ: 1) إمكانية تطبيقه جمعياً؛2) تعدد اختباراته وتنوعها وقدرتها على تغطية جميع مجالات الموهبة ومجالاتها اللفظية والكمية والمكانية بالإضـــافة إلى التحصـــيل والانجاز؛3) قدرته على التزويد ببروفيل تشـــخيصـــي يبين مواطن القوة والضـــعف في مصـــادر كل طالب موهوب المعرفية، مما يفســـح المجال للتدخل المبكر لتقوية الضـــعف؛ 4) ســـهولة التطبيق والتصـــحيح والحصـول المعايير، فضـلاً عن حداثة الاختبار، وعدم تقنينه على البيئة السـعودية، وافتقار المكتبة العربية إلى هذا النوع من الاختبارات للكشـــف عن فئة مهمة من المجتمع يقع على عاتقها مهمة تطور المجتمع وتقدمه. لذا فقد ســـعت الدراســـة الحالية إلى تقنين اختبار SAGES-2 واحتســـاب مؤشرات صدقه وثباته ليناسب البيئة السعودية.

مشكلة الدراسة:

على الرغم من اتفاق الباحثين في مجـالات الموهبـة على أهميـة عمليـة الكشـــف عن الموهوبين واعتبارها عملية أساسية ومدخل بديهي قبل الشروع في أي برامج تربوية للأطفال الموهوبين، الا أن هناك الكثير من الجدل المتعلق بما هي المداخل والأدوات الأنسب للكشف عنهم، ولعل التطورات المتعاقبة في ميدان القدرات العقلية والمعرفية من دراســـات للذكاء والإبداع والتعلم والتحصـــيل الدراســـي بالإضـــافة إلى القدرات الخاصـــة، كانت لها تأثيرات ملحوظة في تطور ميدان الموهبة؛ ولكنها من جهة ثانية جعلت أمر الوصول إلى اتفاق حول أسلوب موحد للكشف أمراً بالغ الصعوبة، وعلى الرغم من مرور ما يقارب مائة عام على أول محاولة للكشـف عن الموهوبين فان القضـية لا تزال غير محســـومة تماماً، وقد أكد فليدهوســـن وآخرون (Feldhusen, Hoover,& Sayler, 1990) أن الطريقة المثالية في الكشـــف عن الموهوبين لم تتطور بعد، ويرى بفيفر (Pfeiffer, 2003) أن هناك شـــحاً في الأدوات العلمية المتوفرة للتعرف على في هذه الفئة. ويرى بولوتين (Boolootian, 2005) أن الكشـف عن الموهوبين لم يكن أكثر اضـطراباً وتشـويشـاً مما هو عليه اليوم، بســـبب وجود العديد من الآراء والمدارس للكشـــف عن الموهوبين منها من يعتمد اختبارات الذكاء الفردية وسـيلة فعالة للكشـف عن الموهوبين؛ ومنها من يعتمد الأسـلوب القائم على المنهج؛ ومنها ما يعتمد في الكشـف على أسـلوب التقييم الديناميكي (Bethge, 1982; Johnsen, 1997; kanevsky,1993; kanevsky & Rapagna, 1990; Lidz, 1991; Swanson & Gansle, 1994). ويشـير (Fultz,2004) إلى أن هناك حركة معاصـرة في عملية الكشـف عن الموهوبين توصـي بدمج البورتفوليو وتقييم الأداء وقوائم الرصد، وملاحظات المعلمين، بالاضـافة للاختبارات المقننة، وتطبق هذه الأدوات مجتمعة للأطفال. ومنها ما يعتمد الكشف وفق مدخل المحكات المتعددة (Coleman,2003; Cramond, 1997 ;Homeratha, 1978;Roach, 1986). وعلى الرغم من تعدد أساليب الكشف وتنوع مدارسها إلا إن هناك شبه اجماع على أن يكون الكشف وفق محكات متعددة، ومع ذلك فإن هناك نقص كبير في الاختبارات التي تتبنى التعددية في محكاتها، لذا واستناداً إلى ما سبق ذكره تسعى الدراسة الحالي إلى تزويد القائمين على العملية التربوية والمرشدين بأداة يمكن أن تحقق الأغراض التي ســـبق ذكرها، ألا وهي اختبار SAGES_2، ومن ثم فهو يمثل محاولة متواضعة لسد شيء من النقص لهذا النوع من الأدوات في مجتمعنا.

أهمية الدراسة:

يمكن النظر إلى أهمية البحث انطلاقاً من أهمية اختبار الكشـــف عن الموهوبين في الصـــفوف الابتدائية SAGES-2 وما يتمتع به من خصـائص ومواصـفات فنية رفيعة قلما تتوافر مجتمعة في أدوات القياس الأخرى الجمعية منها والفردية (Johnsen,2004,p. 11)، والاختبار يتميز بارتفاع

مؤشرات صدقه وثباته في سائر الصور المعدلة التي ظهرت له.(Impra & plak, 1998) إضافة إلى أن الاختبار يزود بثلاث درجات منفصلة تغطيها بطارياته الثلاث الاستدلال واللغة/ الدراسات الاجتماعية والرياضيات/العلوم، مما يفسح المجال أمام المهتمين والقائمين على عملية القياس الحصول على بروفيلات تبين نقاط وجوانب القوة والضعف في مصادر كل طالب، حيث يتم التدخل اللازم للوصول بالطالب الموهوب إلى السوية المطلوبة لإظهار موهبته. كما تعاني المملكة – كما العديد من بلدان الوطن العربي-من نقص المقاييس المستخدمة للكشف عن الموهوبين. حيث أن المقاييس التي تستخدم حالياً تعتمد على قوائم الخصائص السلوكية واختبار القدرات الذي وضعه مركز قياس وهو غير متاح للباحثين المهتمين بالكشف عن الموهوبين لأغراض بحثية؛ ويمكن النظر لأهمية البحث أيضاً انطلاقاً من أهمية الفئة التي يتوجه ها الاختبار وهي فئة الطلاب الموهوبين الذين تقع على عاتقهم مهمة تطور المجتمع ورقيه. وأخيراً، فإنه لم يسبق أن قنن الاختبار بصورته الحالية الصادرة عام (1997) في المملكة العربية السعودية.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة بشكل رئيس إلى إعداد صورة سعودية لاختبار SAGES-2 للكشف عن الموهوبين والتأكد من صلاحيته للاستخدام في البيئة السعودية. وتحقيقاً لهذا الهدف ستركز العمل في هذه الدراسة على تقصي الخصائص القياسية للصورة السعودية المقترحة واستخراج دلالات صدقها وثباتها باعتماد أساليب متنوعة في دراستهما، باستخدام تشكيلة واسعة من عينات البحث والمحكات.

أسئلة الدراسة:

1. ما درجة الاتفاق (التوافق) بين الصورة العربية السعودية المقترحة لاختبار SAGES-2 والأصل الأجنبي الذي أخذت منه كما يعبر عنها معامل الارتباط المحسوب بينهما؟
2. ما معاملات الاتساق الداخلي المستخرجة من أداء عينات مختلفة من الطلاب السعوديين (عاديون، موهوبون) في المراحل العمرية التي تغطيها عينة الدراسة؟"
3. ما معاملات ثبات الإعادة لاختبار SAGES-2؟"
4. ما دلالات الصدق التلازمي التي يعطيها الاختبار بالاستناد إلى اختبار رافن للمصفوفات المتتابعة، واختبار CogAt؟
5. ما دلالات الصدق التمييزي لاختبار SAGES-2 لكل من الموهوبين والمتفوقين والعاديين؟"
6. ما دلالات الصدق التنبؤي للاختبار بدلالة محك التحصيل الدراسي كما تعبر عنه المعدلات التراكمية لعينات الطلاب في نهاية العام الدراسي 2016؟

حدود الدراسة:

تم تنفيذ الدراسة وتطبيقها، وحساب نتائجها، وتفسيرها ضمن حدود زمنية تتمثل بالأعوام الدراسية 2015- 2016/ الذي تم فيه القياس، وحدود أخرى يرتبط بعضها بمكان تطبيق البحث المتمثل بمحافظة الأحساء، ويرتبط بعضها الآخر بالشروط الواقعية للعينة، لذا يقتصر البحث في تعميم نتائجه على جميع الطلاب الموهوبين في الأحساء الذين لهم أعمار متوافقة مع أعمار العينة الأساسية.

التعريف بمصطلحات الدراسة:

الموهبة Giftedness: قدرة فطرية أو استعداد فطري موروث في مجال واحد أو أكثر من مجالات الاستعداد العقلية والإبداعية والاجتماعية والانفعالية والفنية، وهي أشبه بمادة خام تحتاج إلى اكتشاف وصقل حتى يمكن أن تبلغ أقصى مدى لها (جروان،2002).

الموهوبون أكاديمياً: وهم كل من يمتلك قدرات استثنائية أو استعداد فطري غير عادي في مجال ما أو أكثر من المجالات العقلية والابداعية والانفعالية والاجتماعية والفنية، وذلك بدلالة أدائهم على اختبار أو أكثر من اختبارات الذكاء أو الاستعداد أو الابداع والقيادة وغيرها، بحيث يضعهم الأداء ضمن أعلى (5%) من أقرانهم، تصفهم باسكا Baska أنهم يمتلكون احتياجات تعليمية محددة ويحتاجون غرس الانضباط الذاتي، ولديهم طرائق غير تقليدية لاستخدام التفكير (Kirr,2009,p.8).

الدراسات السابقة:

هدفت دراسة جيلان وأخرون Gillian, Carpenter and Christensen (1996) إلى التحقق من الصدق المحكي لاختبار SAGES-2-k:3 مع مقياس تقييم المواهب والإبداع GATES، بلغت عينة الدراسة 40 طالباً وطالبة تتراوح أعمارهم من 6-11 سنة 60، وتم استخدام اختبار التقييم المسحي للموهوبين SAGES-2-k:3 ومقياس تقييم المواهب والإبداع GATES، أشارت نتائج الدراسة إلى وجود ارتباط بين قدرتين من القدرات الخمسة لمقياس GATES بقدرات اختبار SAGES-2-k:3 , فقد وجد ارتباط دال إحصائياً بين المقياس الفرعي لمقياس GATES وهو القدرة العقلية مع الاختبار الفرعي الرياضيات لاختبار SAGES-2-k:3 حيث بلغ 0,32, بينما بلغ مع الاستدلال 0.46 بينما لم يوجد أي ارتباط مع اللغة كما وجد ارتباط دال إحصائياً بين المقياس الفرعي المهارات الأكاديمية لمقياس GATES مع الاختبار الفرعي الاستدلال لاختبار SAGES-2-k:3 حيث بلغ معامل الارتباط 0.53, بينما لم يوجد أي ارتباط مع اللغة، كما أظهرت الدراسة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المهارات الأكاديمية في GATES مع اختبار الرياضيات في اختبارSAGE حيث بلغ 0.38 وأظهرت قدرة كلاً من اختبار GATES وSAGES في انتقاء الموهوبين.

هدفت دراسة باراس Brace (1997) إلى دراسة العلاقة الارتباطية بين اختبار التقييم المسحي SAGES-2(4:8) واختبار ستانفورد بينه التحصيلي، بلغت عينة الدراسة 76 طالباً وطالبة أعمارهم بين 9-12 (54% ذكور , 56% إناث)، وتم تطبيق اختبار SAGES-2(4:8) اختبار SAT:9، أشارت نتائج الدراسة إلى وجود ارتباط دال إحصائياً بين البطارية الكاملة لاختبار ستانفورد بينيه التحصيلي SAT:9 واختبار SAGES-2(4:8) , إذ بلغ معامل الارتباط (0.47), وبلغ معامل الارتباط بين البطارية الكلية لاختبار ستانفورد بينه واختبار الرياضيات الفرعي لاختبار SAGES-2(4:8) (0,57) بينما بلغ معامل الارتباط بين البطارية الكاملة لاختبار ستانفورد بينيه والاختبار الفرعي الاستدلال لاختبار SAGES-2(4:8) (0,53).

هدفت دراسة يوربانا Urbina (1997) إلى فحص العلاقة الارتباطية بين درجات اختبارSAGES-2(4:8) ومقياس وكسلر لذكاء الاطفال النسخة الثالثة (Wisc-III)، بلغت عينة الدراسة 36 طالباً تراوحت أعمارهم بين 9-14 سنة من ولايات ألباما، جورجيا، مسيسيبي. أشارت الدراسة إلى وجود ارتباط دال احصائياً بين اختبار SAGES-2(4:8) ومقياس وكسلر لذكاء الأطفال النسخ الثالثة Wisc-III, إذ بلغ معامل الارتباط بين الصورة الكاملة لوكسلر واختبار الرياضيات في اختبار SAGES-2(4:8) (0.71) بلغ الارتباط بين وكسلر واختبار اللغة في اختبار SAGES (0.86) بينما بلغ الارتباط بين وكسلر واختبار الاستدلال في SAGES (0.89).

هدفت دراسة بيدرو Pedro(2003) إلى انتقاء الطلاب الموهوبين في المايا باستخدام المعايير التقليدية (أراء المعلمين، المهارات المعرفية العلمية، تعلم الوالدين، المستوى الاقتصادي والاجتماعي) وباستخدام اختبار SAGES-2(4:8)، بلغت عينة الدراسة (242) طالباً وقد استطاع

اختبار SAGES-2(4:8) أن يحدد فقط 21 طالباً من العينة الكلية كموهوبين على الرغم من أفراد العينة الكلية (242) حددوا كموهوبين بناءاً على المعايير التقليدية.

هدفت دراسة مراد (2005) إلى تطوير اختبار (SAGES-2) للكشف عن الطلبة الموهوبين من الفئة العمرية من (15-9) سنة على البيئة الأردنية، وتكونت العينة الأصلية من (1348) طالباً وطالبة (670 ذكور، 678 إناث)، ولحساب الصدق تم استخدام اختبار بيتا -3، ومصفوفات رافن، وكانت معاملات الارتباط معهما جيدة، وبينت النتائج وجود فروق في الأداء على الاختبار ككل بين عينة الطلاب العاديين والموهوبين مما يؤكد الصدق التمييزي للاختبار، وكشفت النتائج وجود فروق بين الفئات العمرية التي شملتها الدراسة.

هدفت دراسة وودز Woods (2005) إلى تحديد العوامل التي تؤثر في درجة مشاركة الطلاب الموهوبين في البرامج الإثرائية، وتحاول الدراسة تحديد الفروقات الديموغرافية والاجتماعية والدراسية والعقلية بين المشاركين الذين تم تصنيفهم لفئتين (مشاركين فاعلين مثابرين في البرامج، ومشاركين ضعيفي التفاعل والمشاركة) وذلك خلال مدة زمنية تمتد لسنتين، وبلغ عدد أفراد العينة (71) طالباً؛ استخدم اختبار SAGES-2 لقياس قدرات المشاركين، وبينت النتائج أن الطلاب المشاركين الذين حصلوا على درجات أعلى في اختبار المهارات اللغوية في SAGES-2 كانوا من أكثر الطلاب تفاعلاً ومشاركة في البرامج الإثرائية، وأن الطلاب الذين يمتلكون مهارات استدلال عالية كانت مشاركتهم أقوى وأكثر فعالية من أقرانهم الذين كانت مهارات الاستدلالية متدنية.

هدفت دراسة الطراد (2007) إلى تطوير بطارية للكشف عن الموهبة للطلاب من الصف السادس ولغاية الصف التاسع من مرحلة التعليم الأساسي في الأردن، تتوافر فيها دلالات صدق وثبات وفاعلية فقرات مقبولة في البيئة الأردنية، كما هدفت الدراسة إلى توفير معايير أولية لأداء الطلبة في المجتمع الأردني على بطارية الاختبار للكشف عن الطلاب الموهوبين في مرحلة التعليم الأساسي، بلغت عينة الدراسة 800 طالب وطالبة من محافظة الزرقاء، وتوصلت الدراسة إلى صدق بطارية الكشف عن الموهوبين بطريقة صدق المحتوى والصدق التلازمي مع مقياس الخصائص السلوكية والصدق التمييزي حيث كانت الفروق لصالح الصف الأعلى، وحقق الاختبار معاملات ثبات بالإعادة وتجزئة نصفية عالية، وحقق معايير عمرية وصفية.

هدفت دراسة حسين (2008) إلى تقنين اختبار التقييم المسحي للكشف عن الموهوبين SAGES-2 لتلاميذ المدارس المتوسطة في مملكة البحرين، بلغت عينة الدراسة (800) طالباً وطالبة شملت الصفين السابع والثامن، واستخدم اختبار TONI، ودرجات الطلاب في الرياضيات والعلوم واللغة العربية، بينت نتائج الدراسة أن معظم بنود اختبار SAGES-2 تميزت بمستويات مقبولة من معاملات الصعوبة والتمييز، أظهرت درجات الاختبار أدلة كافية عن صدق الاختبار، أظهرت درجات الاختبار الفرعية مستويات عالية من الاتساق الداخلي.

يلاحظ من الدراسات السابقة أن الدراسات العربية كدراسة الحسين (2008) ودراسة طراد (2007) ودراسة عودة (2005) قد استهدفت إلى تعيير اختبار SAGES-2 على بيئاتها، ولم تكن هناك أي دراسة لتقنين الاختبار على البيئة السعودية، ويلاحظ أيضاً أن غالبية الدراسات العربية والأجنبية ركزت على فئة الموهوبين التي صمم الاختبار لها أصلاً، في حين ركزت الدراسة الحالية على ثلاث فئات وهي فئة الموهوبين والعاديين والمتفوقين لاستخراج بعض دلالات الصدق بينهم، بالنسبة للدراسات الأجنبية كدراسة (Brace, 1997) فقد سعت دراسة العلاقة بين اختبار التقييم المسحي SAGES-2(4:8) واختبار ستانفورد بينه التحصيلي؛ في حين ركزت دراسة Urbina, (1997) إلى فحص علاقة الاختبار بمقياس وكسلر لذكاء الاطفال النسخة الثالثة (Wisc- III)؛ وبالمقابل ركزت دراسة (Gillian, Carpenter and Christersen, 1996) إلى التحقق من الصدق المحكي لاختبار SAGES-2-k:3 عن طريق دراسته مع مقياس تقييم المواهب والإبداع

GATES، والدراسة الحالية استخدمت اختبارات متنوعة لقياس صدق اختبار SAGES-2 وهي اختبار CogAt، واختبار رافن للمصفوفات المتتابعة إضافة إلى الدرجات التحصيلية.

منهج الدراسة:

اقتضى تحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن الأسئلة اتباع المنهج الوصفي التحليلي.

عينة الدراسة:

لتحقيق الأهداف المرسومة للدراسة والإجابة عن الأسئلة التي تطرحها، فقد استخدمت عينات متنوعة من الطلاب بلغت /1414/ طالب بين موهوبين وعاديين تم سحبهم من مدارس الأحساء بطريقة العينة الطبقية روعي فيها تمثيل الطلاب بكل مرحلة وفي ضوء متغير الجنس، ويظهر جدول.1 توزع أفراد العينات.

جدول.1 توزع أفراد عينات الدراسة

العينات	الغرض من الدراسة	المرحلة	الذكور	الاناث	المجموع
1	التحقق من تعادل الصورتين الأجنبية والسعودية طبق المقياس على طلاب من مدارس ندى والأنجال (مدارس انترناشيونال)	الخامس الابتدائي	8	6	14
		السادس الابتدائي	7	6	13
		أول متوسط	12	12	24
		ثاني متوسط	17	15	32
2	الصدق التلازمي	الخامس الابتدائي	15	15	30
		السادس الابتدائي	15	18	33
		أول متوسط	31	32	63
		ثاني متوسط	33	34	67
3	الصدق التمييزي	الخامس الابتدائي	8	10	18
		السادس الابتدائي/ موهوبون	7	7	14
		السادس الابتدائي - عاديون/متفوقون مناصفة	15	16	31
		أول متوسط / موهوبون	15	15	30
		أول متوسط/ عاديون/ متفوقون مناصفة	16	17	33
		ثاني متوسط/ موهوبون	15	14	29
		ثاني متوسط/ عاديون /متفوقون مناصفة	16	20	36
4	الصدق العاملي	الخامس الابتدائي	15	15	30
		السادس الابتدائي	15	18	33
		أول متوسط	31	32	63
		ثاني متوسط	33	34	67
5	الصدق التنبؤي	الخامس الابتدائي	15	15	30
		السادس الابتدائي	15	18	33
		أول متوسط	31	32	63
		ثاني متوسط	33	34	67
6	ثبات الإعادة	الخامس الابتدائي	18	15	33
		السادس الابتدائي	10	15	25

		أول متوسط	27	29	56
		ثاني متوسط	30	31	61
7	الاتساق الداخلي	الخامس الابتدائي	15	17	32
		السادس الابتدائي	15	16	31
		أول متوسط	31	32	63
		ثاني متوسط	33	34	67
8	ألفا كرونباخ	الخامس الابتدائي	15	15	30
		السادس الابتدائي	15	18	33
		أول متوسط	31	32	63
		ثاني متوسط	33	34	67
المجموع			691	723	1414

أدوات الدراسة:

تم اســتخدام كل من اختبار القدرات المعرفية (CogAt) واختبار رافن للمصــفوفات المتتابعة كمحكات لاحتساب الصدق التلازمي لأداة الدراسة الأساسية SAGES-2، للتمكن من الاستخدام الفعال لها تم التحقق من صدقها وثباتها لتكون صالحة لحساب الصدق التلازمي، وفيما يلي عرض لتلك الأدوات:

الأداة الأولى: اختبار الكشــف عن الموهوبين في المرحلة الابتدائية والمتوســطة Screening (SAGES-2) Assessment for gifted elementary and middle school students **وهي أداة الدراسة الأساسية:**

- وصــف SAGES-2بالنســخة الأصــلية (الأمريكية): قام كل من العالمان جونســون وكورن (Johnsen& Corn) ببناء اختبار (SAGES-2) المعروف على نطاق واسع في أمريكا للكشف عن الموهوبين والمتميزين في المرحلة الابتدائية والمتوسطة بهدف تقديم خدمات الرعاية وإلحاقهم بالبرامج الأكاديمية المناسبة لهم؛ والاختبار نسخة معدلة ومطورة عن اختبار(SAGES) واختبار (SAGES-P) (Moor,1993)، بين العامين (1992-1987) تكون الاختبار من جزئين هما: أ) الجزء الخاص بالموهوبين من الروضــة ولغاية الصــف الثالث (SAGES-2: K-3)، ب) الجزء الخاص بالموهوبين من الصــف الرابع ولغاية الصــف الثامن(SAGES-2: 4-8) يحتوي ثلاثة اختبارات فرعية يقيس اثنان منها الانجاز في الرياضيات / العلوم، واللغة / الدراسات الاجتماعية، في حين يقيس الثالث الاستدلال غير اللفظي، الاختبار مناسب للأطفال من 5-14 سنة، ولأنه مصمم للموهوبين وتم تطوير فقراته للموهوبين فإن له سقف كاف يميز الموهوبين عن العاديين. والاختبار مناسب بشكل تطوري مع الطلاب الصغار حيث أن البنود الخاصة بالصغار من عمر (5-9) سنوات تقرأ للطلاب بصوت مرتفع وبالتالي فإن القدرة على القراءة لا تؤثر على مخرجاتهم، بالإضافة أن الأطفال يمكنهم تعليم إجاباتهم على كتيب الأسئلة بشكل مباشر (Johnsen,2004,p. 33).

- مكونات الاختبار:

- اختبار المنطق الاســتدلالي: وهو اختبار يقيس الذكاء والقدرة على حل المشــكلات والقدرة على تعلم المعلومات من خلال إدراك العلاقات بين الصور والأشكال واشتقاق علاقات جديدة وتعلم مهام جديدة، الاختبار متحرر من الثقافة إلى حدٍ كبير، ولا يرتبط بالمعلومات المنهجية التي يتم تعلمها بالمدرسة، يتألف الاختبار من (35) بنداً من نوع الاختيار من متعدد.

- اختبار الرياضــيات والعلوم: تم اختيار بنوده وفق معايير العالمية في الرياضــيات والعلوم، ووفق الأدبيات المختصــة، ويقيس قدرة الطالب على التذكر والفهم والاستيعاب وتطبيق الأفكار والقوانين،

ويقيس تحصـــيل الطلاب ومعلوماتهم في المدرســـة وخارجها، ويتكون الاختبار من (30) بنداً من نوع الاختيار من متعدد.

- **اختبار المهارات اللغوية والدراســـات الاجتماعية:** يقيس قدرة الطالب على التذكر والفهم والاستيعاب وتطبيق الأفكار الرئيسية يتكون من 30 بند. يطبق الاختبار فردياً/جمعياً ويستغرق كل اختبار فرعي (30-50) دقيقة.

- **صـدق وثبات الاختبار بالمجتمع الامريكي:** تم تأسـيس صـدق المحتوى للاختبار أثناء بناءه، وتم الحصول على مؤشرات الصدق التلازمي من خلال احتساب معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية للاختبار والدرجة الكلية لاختبار وكسـلر لذكاء الأطفال النسـخة الثالثة(WISC-III)، حيث بلغت معامل الارتباط (0.89)؛ وحسـب الثبات بطريقة الاتسـاق الداخلي حيث تراوحت معاملات ألفا بين (0.85-0.94)، وتم حســـاب ثبات الإعادة حيث تراوحت قيم معاملات الارتباط بين التطبيقين (0.88-0.93)، اشـتقت معايير عمرية لأداء كل من الموهوبين والعاديين على عينة بلغت (1567) طالباً وطالبة تراوحت أعمارهم بين (12-7) ســـنة في 16 ولاية أمريكية بين عامي (1985-1986)، واختيرت عينة موازية من الموهوبين بلغت (1595) وهؤلاء تم ترشـيحهم كموهوبين في مدارسهم في 21 ولاية أمريكية (Johnsen & corn, 2001).

تطوير اختبار الكشف عن الموهوبين:

اشـــتملت عملية إعداد وتطوير اختبار(SAGES-2) Screening Assessment for gifted Elementary and Middle School Student اختبار الكشـــف عن الطلاب الموهوبين في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة عدة خطوات نعرضها تباعاً:

أولاً: الدراسة الاستطلاعية الأولى: وتهدف إلى تعديل البنود التي تحمل طابع وثقافة أمريكا لتناسب البيئة الســـعودية؛ إعادة ترتيب بنود الاختبارات الفرعية وفق معاملات الصـــعوبة؛ تعديل الزمن المحدد لكل اختبار فرعي والموصى به في تعليمات الاختبار؛ تقصي الصعوبات التي قد تنشأ أثناء التطبيق حتى يتم تلافيها.

وللوصول إلى هذه الأهداف اتبعت الإجراءات التالية:

1- ترجمت البنود للغة العربية وعرضـت على مختصـين باللغة العربية، وذلك للتأكد من سـلامة اللغة وبساطة التعبير لتناسب التلاميذ الذين تضمهم عينة الدراسة.

2- عرضـــت البنود على مجموعة من المعلمين والمعلمات في المدارس المتوســـطة -بلغ عددهم (22) للتأكد من أن المهام التي يطلب من الطلاب حلها تماشي المنهاج الدراسي خاصة في مادة الرياضيات.

3- حكمت البنود من قبل عدد من الاختصـاصـيين ممن تتوافر فيهم شـروط إتقان اللغة الإنجليزية للتأكد من سلامة الترجمة ومعرفة فيما إذا كانت التعديلات في البنود مناسبة للبيئة السعودية.

4- طبق الاختبار بصورته المعدلة بعد الترجمة على عينة استطلاعية أولية بلغت 150 طالباً.

5- تعديل البنود وفق آراء المحكمين والعينة الاســتطلاعية؛ تم تعديل البنود التي لا تناســب البيئة الســعودية وتحمل طابعاً وثقافةً أمريكية، كأجزاء العملة ووحدات القياس..... إلخ ؛ وبعد ذلك تم عرض البنود المترجمة على مجموعة من المحكمين بصـــورتها العربية المترجمة والصـــورة الأمريكية لمعرفة مدى مناســـبة التعديلات والصـــياغة، وأســـفر التحكيم عن مجموعة من

الملاحظات تتعلق بصياغة البنود كما في البند (12،7،6، 24) في اختبار الرياضيات والعلوم، والبند (15،4، 19) في اختبار اللغة/ الدراسات الاجتماعية.

2 – احتساب معاملات الصعوبة لكل اختبار فرعي وإعادة ترتيب البنود وفقاً لها:

جدول.2 يبين معاملات الصعوبة في SAGES-2 وترتيب البنود وفقاً لها

البنود	اختبار الرياضيات /العلوم		اختبار اللغة / الدراسات الاجتماعية		اختبار الاستدلال	
الترتيب الأصلي	معاملات الصعوبة	الترتيب الجديد	معامل الصعوبة	الترتيب الجديد	معامل الصعوبة	الترتيب الجديد
1	0.09	2	0.14	1	0.08	1
2	0.11	3	0.22	2	0.11	2
3	0.34	8	0.66	11	0.22	4
4	0.08	1	0.54	8	0.18	3
5	0.22	5	0.42	6	0.32	7
6	0.45	10	0.38	5	0.27	5
7	0.61	14	0.68	12	0.40	8
8	0.36	9	0.85	23	0.86	28
9	0.21	4	0.76	17	0.68	16
10	0.62	15	0.29	3	0.55	12
11	0.6	13	0.36	4	0.49	10
12	0.77	19	0.61	9	0.31	6
13	0.901	25	0.69	16	0.66	15
14	0.751	18	0.79	19	0.89	31
15	0.89	24	0.74	14	0.47	9
16	0.80	22	0.49	7	0.51	11
17	0.55	12	0.87	24	0.77	18
18	0.46	11	0.69	13	0.63	14
19	0.74	17	0.63	10	0.60	13
20	0.33	7	0.82	21	0.76	18
21	0.71	16	0.88	23	0.77	19
22	0.79	21	0.91	25	0.78	21
23	0.78	20	0.96	27	0.79	22
24	0.92	26	0.85	20	0.69	17
25	0.96	27	0.78	18	0.80	23
26	0.84	23	0.84	19	0.88	30
27	0.29	6	0.93	26	0.85	26
28	0.98	28	0.97	28	0.87	29
29	0.97	29	0.98	29	0.82	24
30	0.99	30	0.99	30	0.77	20
-	-	-	-	31	0.91	32
-	-	-	-	32	0.84	25
-	-	-	-	33	0.95	33
-	-	-	-	34	0.98	35
-	-	-	-	35	0.97	34

تراوحت معاملات الصعوبة لاختبار الرياضيات/ العلوم بين (0.99-0.09) بمتوسط قدره 0.58؛ وتراوحت معاملات الصعوبة لاختبار اللغة /الدراسات بين (0.99-0.14) بمتوسط قدره 0.62؛ في حين تراوحت معاملات الصعوبة لاختبار الاستدلال المنطقي بين (0.97-0.08) بمتوسط قدره 0.65.

الأداة الثانية: اختبار القدرات المعرفية Cognitive abilities tests (CogAt-5): وتم استخدام الأداة للتحقق من الصدق التلازمي (المحكي) لاختبار SAGES-2، الاختبار وضعه كل من روبرت ثورندايك R. Thorndike، وإليزابيث هاجن E. Hagen، بين عامي (1993-1997)؛ تغطي العمر الزمني من 5-18+ عام الموافقة للمراحل الدراسية الممتدة من رياض الأطفال حتى الصف الثاني عشر، يتكون من ثلاث بطاريات تغطي المجالات المعرفية اللفظية والكمية وغير اللفظية،، ويستخدم CogAt بكفاءة لاختيار الموهوبين في الولايات المتحدة الأمريكية (عبود، 2007)؛ وكان لا بد بداية التحقق من صدق هذه الأداة وثباتها على البيئة السعودية لتكون محكاً مناسباً لحساب الصدق المحكي، وذلك وفق الخطوات التالية:

- **صدق وثبات CogAt على البيئة السعودية:** قامت الباحثة بتقنين الاختبار على البيئة السعودية وبتعديل البنود التي لا تناسب البيئة السعودية مثل أجزاء العملة، وطبقته على عينة استطلاعية تتكون من (20) طالباً من مراحل دراسية مختلفة للتأكد من وضوح التعديلات والتعليمات ومناسبة البنود للبيئة السعودية، ثم قامت بحساب صدق الاختبار وثباته على عينة SAGES-2 ذاتها، وذلك وفق الخطوات التالية:

- **الصدق البنيوي (العاملي):** يعتبر التحليل العاملي كتقنية إحصائية رياضية أحد طرائق دراسة الصدق البنيوي، وتم حساب الصدق العاملي للاختبار كما يبينه جدول.3

جدول.3 يظهر نتائج التحليل العاملي للبطاريات الثلاث والاختبارات الفرعية لاختبار CogAt

العامل العام	C	D	E	F
الاختبارات اللفظية				
التصنيف اللفظي	72	71	69	69
إتمام الجمل	73	73	72	72
الموازنات اللفظية	79	81	80	81
الاختبارات الكمية				
العلاقات الكمية	78	80	81	82
سلاسل الأعداد	77	79	79	78
بناء المعادلات	73	76	73	69
الاختبارات غير اللفظية				
التصنيف الشكلي	72	72	71	73
الموازنات الشكلية	78	78	79	78
تحليل الأشكال	66	69	69	70

من الجدول الذي يظهر نتائج التحليل العاملي الذي يعرض القيم المتوسطة للبطارية متعددة المستويات من C- F تبين أن جميع الاختبارات الفرعية أظهرت تشبعات مرضية على العامل العام (g)، حيث تراوحت قيم التشبعات بين 66 - 82 وبمتوسط قدره 77. وأسفرت النتائج بشكلٍ عام عن تشبع العوامل جميعاً بالعامل العام (g)، إضافة إلى تشبع الاختبارات التي تضمها البطاريتان اللفظية وغير اللفظية بالعوامل الطائفية لها، في حين كان هناك ضعف في تشبع العامل الكمي. ويمكن أن

نستخلص من النتائج السابقة أن الاختبار بشكلٍ عام يتصف بصدق بنيوي، وهذا يتفق مع النظرية التي استند إليها مؤلفا الاختبار في بنائه، وبأنه يقيس قدرات لفظية وكمية وتصورية فراغية إضافة إلى قياس العامل العام g.

- **الثبات بطريقة ألفا كرونباخ:** تم حساب ثبات CogAt بطريقة ألفا كما يبين جدول.4

جدول.4 يبين نتائج حساب الثبات بطريقة ألفا، إضافة إلى الخطأ المعياري SEM:

الصف	مستوى الاختبار	عدد البنود	المتوسط	الانحراف المعياري	SEM	ألفا
خامس ابتدائي	لفظي	65	41.4	12.95	3.2	0.938
	كمي	60	36.4	11.87	3.2	0.929
	غير لفظي	65	39.2	14.97	3.3	0.952
سادس ابتدائي	لفظي	65	40.9	12.94	3.3	0.934
	كمي	60	34.3	11.20	3.3	0.917
	غير لفظي	65	36.7	15.59	3.4	0.950
أول متوسط	لفظي	65	41.2	12.33	3.3	0.934
	كمي	60	33.3	11.44	3.3	0.917
	غير لفظي	65	37.6	15.12	3.4	0.950
ثاني متوسط	لفظي	65	44.4	12.75	3.2	0.901
	كمي	60	38.4	11.33	3.2	0.979
	غير لفظي	65	39.8	14.75	3.4	0.962

يلاحظ من الجدول السابق أن معاملات الثبات بطريقة ألفا أظهرت ارتفاعاً واضحاً، وتراوحت بين (0.91-0.95) مما يدل على الثبات الداخلي للاختبارات الفرعية المكونة لـ CogAt. **مما سبق نستنتج أن اختبار CogAt يتمتع بمواصفات سيكومترية عالية تؤهله للاستخدام كمحك لحساب صدق اختبارSAGES-2.**

الأداة الثالثة: اختبار المصفوفات المتتابعة لرافن Raven's Advanced Progressive Matrices:

أُعد اختبار المصفوفات المتتابعة المتقدم في بريطانيا لقياس القدرة العقلية العامة للأفراد من عمر (11) عاماً فما فوق، ويتألف هذا الاختبار من 5 مجموعات، كل مجموعة تتضمن 12 بنداً؛ وقد أكدت الدراسات العاملية التي أجراها كل من النفيعي (2001) أن اختبار رافن يقيس عاملاً عاماً أحادياً ويفسر (76.1%) من تباين الأداء على الاختبار وهو ما يتفق مع الافتراض الأساسي للاختبار من أنه يقيس العامل العام لسبيرمان؛ وتم حساب الصدق التلازمي للاختبار في العديد من الدراسات والتي أوجدت معاملات الارتباط بين اختبار رافن واختبارات القدرات العقلية الأخرى، تم إيجاد معامل الارتباط بين اختبار المصفوفات المتتابعة القياسي والمتقدم بلغت قيمته (0.78)، وتم إيجاد معامل ارتباط الاختبار مع اختبار وكسلر لذكاء البالغين، حيث بلغت قيمة معامل ارتباط الاختبار مع القسم اللفظي لاختبار وكسلر (0.61)، ومع القسم العملي (0.69)، ومع الاختبار ككل (0.74)، كما تم حساب معاملات الارتباط مع كل من اختبار أوتيس لينون، واختبار بيتا المراجع، واختبار (D48)، واختبار مينسوتا والتي بلغت (0.75، 0.61، 0.61، 0.61) على التوالي، والنتائج السابقة تؤكد ارتباط اختبار المصفوفات المتقدم باختبارات الذكاء العام الأخرى بدرجة معقولة وتدل على الصدق التلازمي للاختبار. حاز الاختبار على قدر جيد من الثبات منها ثبات إعادة التطبيق: وقد تراوحت معاملات الثبات بين (0.77، 0.92)؛ وثبات معامل كودر

ريتشاردسون (Kr20) وقد تراوحت معاملات الاتساق بين (081، 0.89) مما يؤكد تجانس فقرات الاختبار مما يدل على تمتع الاختبار بدرجة عالية من الثبات (النفيعي، 2001، ص 132)

النتائج ومناقشتها

السؤال الأول: وينص" ما درجة الاتفاق (التوافق) بين الصورة العربية السعودية المقترحة لاختبار SAGES-2 والأصل الأجنبي الذي أخذت منه كما يعبر عنها معامل الارتباط المحسوب بينهما؟ للإجابة عن السؤال عمدت الباحثة إلى دراسة ما يعرف بـــ " تعادل بنود الاختبار عبر الثقافات أو الحضارات ""Cross – Culture equivalence of test items" والتي تهدف عادة إلى التأكد من صحة الترجمة المقترحة للاختبار ومصداقيتها، كما تهدف إلى توفير الدليل حول صلاحية الاختبار للاستعمال في البحوث المقارنة، لذا تم حساب الارتباط بين الصورة المعربة مع الأصل الاجنبي الذي اشتقت منه، بعد أن طبقت الصورتين (المعربة والأصلية) على عينة من الطلاب الذين يتقنون العربية والانكليزية ويمكن وصفهم بأنهم مزدوجو اللغة bilingual، وبحيث يأخذ كل منهم الصورتين تباعاً، وتألفت العينة الخاصة بهذه الدراسة 83 طالباً وطالباً (كما يبينهم جدول. 1) من الصفوف التي شملتها عينة الدراسة ويبين جدول.5 معاملات الارتباط بين الصورتين:

جدول.5 يبين معاملات التوافق بين الصورتين المعربة والأصلية لاختبار SAGES-2

المرحلة	الذكور	الاناث	المجموع (ذكور وإناث)	ر= اختبار الرياضيات /العلوم	ر= اختبار اللغة /الدراسات الاجتماعية	ر= اختبار الاستدلال	ر= الدرجة الكلية
الخامس الابتدائي	14	16	30	0.81	0.88	0.89	0.91
السادس الابتدائي	15	12	27	0.88	0.91	0.90	0.89
أول متوسط	12	12	24	0.81	0.96	0.87	0.88
ثاني متوسط	17	15	32	0.89	0.89	0.92	0.90

يلاحظ من الجدول السابق أن جميع معاملات الارتباط كانت مرتفعة وتراوحت بين (0.96-0.81) مما يوفر دليلاً هاماً حول تعادل الصورتين السعودية والأصلية لاختبار SAGES-2.

السؤال الثاني والذي ينص" ما معاملات الاتساق الداخلي المستخرجة من أداء عينات مختلفة من الطلاب السعوديين (عاديون، موهوبون، متفوقون) في المراحل العمرية التي تغطيها عينة الدراسة؟" للإجابة عن هذا السؤال تم حساب معاملات الاتساق (ألفا كرونباخ) لكل اختبار فرعي لدى العينات الثلاث في الدراسة (الموهوبون، العاديون، المتفوقون) كما يبينها جدول.6:

جدول.6 يبين معاملات الاتساق للدرجات الكلية للاختبارات الفرعية المكونة لـ SAGES-2 لدى عينات الدراسة

SAGES-2		العمر				
المجموعة	الاختبار الفرعي	11	12	13	14	المتوسط
العاديون	الرياضيات /العلوم	92	94	94	96	94
	اللغة الفنون/الدراسات الاجتماعية	94	93	93	91	92
	الاستدلال	93	89	88	87	90
الموهوبون	الرياضيات /العلوم	92	87	85	88	88
	اللغة الفنون/الدراسات الاجتماعية	90	85	86	87	87
	الاستدلال	91	92	91	93	91
المتفوقون	الرياضيات /العلوم	90	81	85	91	87
	اللغة الفنون/الدراسات الاجتماعية	91	86	84	96	89
	الاستدلال	93	88	87	93	90

ويلاحظ أن معاملات الاتســـاق للدرجات الكلية للاختبارات الفرعية كانت مرتفعة وتراوحت بين (81- 96)، مما يدل على أن الاختبارات الفرعية للمجموعات الثلاثة تتمتع بتجانس داخلي.

وتم حساب الاتساق الداخلي للبنود المكونة لكل اختبار فرعي عن طريق حساب معامل ترابط كل من البنود التي يتضمنها مع الدرجة الكلية التي يعطيها كل اختبار فرعي (بعد استبعاد هذا البند من الدرجة الكلية (Item remainder correlation اســـتناداً لعينات كل من الموهوبين كما يبينها جدول.7

جدول.7 يبين معاملات ارتباط البند بالدرجة الكلية لدى كل من الموهوبين والعاديين

البنود	اختبار الرياضيات /العلوم		اختبار اللغة / الدراسات الاجتماعية		اختبار الاستدلال	
	عينة الموهوبين	عينة العاديين	عينة الموهوبين	عينة العاديين	عينة الموهوبين	عينة العاديين
1	**0.36	**0.33	**0.44	**0.32	**0.45	**0.46
2	**0.55	**0.45	*0.29	**0.33	**0.81	**0.36
3	**0.34	*0.27	**0.66	*0.23	**0.75	**0.69
4	**0.58	**0.41	**0.51	*0.29	**0.88	*0.28
5	**0.46	**0.39	**0.48	**0.36	**0.78	**0.45
6	**0.45	**0.37	**0.39	**0.45	**0.72	**0.69
7	**0.61	**0.55	**0.64	**0.61	**0.49	**0.48
8	**0.36	**0.32	**0.81	**0.66	**0.86	**0.74
9	*0.51	**0.58	**0.66	**0.68	**0.68	**0.64
10	**0.62	**0.46	**0.33	**0.39	**0.58	**0.56
11	**0.60	**0.36	**0.54	**0.44	**0.47	**0.39
12	**0.77	**0.68	**0.66	**0.63	**0.37	**0.65
13	**0.78	**0.66	**0.67	**0.37	**0.69	**0.55
14	**0.75	**0.63	**0.79	**0.39	**0.78	**0.39
15	**0.83	**0.71	**0.74	**0.49	**0.64	**0.65
16	**0.81	**0.77	**0.49	**0.78	**0.58	**0.64
17	**0.58	**0.42	**0.51	**0.46	**0.78	**0.46
18	**0.49	**0.36	**0.55	**0.32	**0.69	**0.65
19	**0.71	**0.66	**0.53	**0.63	**0.67	*0.29
20	**0.45	**0.61	**0.39	*0.22	**0.78	**0.65
21	**0.71	**0.63	**0.69	**0.39	**0.79	**0.74
22	**0.78	**0.69	**0.74	**0.61	**0.79	**0.68
23	**0.77	**0.69	**0.55	**0.56	**0.88	**0.69
24	**0.87	**0.81	**0.59	**0.74	**0.75	**0.63
25	**0.58	**0.55	**0.71	**0.69	**0.78	**0.64
26	**0.80	**0.36	**0.48	**0.44	**0.91	**0.56
27	**0.36	**0.46	**0.53	**0.69	**0.89	**0.67
28	**0.57	**0.55	**0.57	**0.61	**0.78	**0.39
29	**0.77	**0.63	**0.77	**0.63	**0.88	**0.45
30	**0.59	**0.36	**0.69	**0.38	**0.69	**0.58
31	-	-	-	**0.49	**0.99	**0.69
32	-	-	-	**0.65	**0.89	**0.38
33	-	-	-	**0.39	**0.89	**0.45

34	-	-	-	**0.34	**0.91	**0.65
35	-	-	-	**0.62	**0.92	**0.72

حسبت معاملات الارتباط بين كل بند في كل اختبار فرعي والدرجة الكلية المكونة له وقد تراوحت معاملات الارتباط بالنسبة لاختبار الرياضيات/العلوم بين (0.87-0.34) لعينة الموهوبين، (0.33-0.81) لعينة الموهوبين؛ وتراوحت معاملات الارتباط لاختبار اللغة /الدراسات (0.81-0.28) لعينة الموهوبين، (0.78-0.29) لعينة العاديين؛ في حين بلغت معاملات الارتباط بالنسبة لاختبار الاستدلال المنطقي (0.89-0.37) لعينة الموهوبين، (0.74-0.28) لعينة العاديين.

السؤال الثالث وينص على "ما معاملات ثبات الإعادة لاختبار SAGES-2؟" وقد تطلبت الإجابة عن هذا السؤال التحقق من ثبات الصورة السعودية لاختبار SAGE بطريقة الإعادة، وتعرف بمدى استقرار الدرجات عبر الزمن، وكانت المدة بين التطبيقين اسبوعين ويبين الجدول.8 نتائج ثبات الإعادة:

جدول.8 يبين معاملات الارتباط بين التطبيق الاول والثاني لـ SAGES

SAGES-2	التطبيق الأول		التطبيق الثاني		
الاختبار الفرعي	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري	ر
الرياضيات /العلوم	123	10	122	11	0.97
اللغة الفنون/الدراسات الاجتماعية	123	9	125	9	0.97
الاستدلال	127	6	127	6	0.95

ويلاحظ من الجدول أن معاملات الارتباط بين درجات الطلاب في التطبيق الأول والثاني لاختبارSAGES-2 كانت مرتفعة، مما دل على استقرار درجات الاختبار عبر الزمن.

السؤال الرابع ما دلالات الصدق التلازمي التي يعطيها الاختبار بالاستناد إلى اختبار رافن للمصفوفات المتتابعة، واختبار CogAt؟ وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب معامل الارتباط بين أداء الطلاب في عينة الدراسة على اختبار رافن للمصفوفات المتتابعة وتتكون بنوده من (60) بنداً ودرجاتهم على اختبار المنطق الاستدلالي والذي تتكون بنوده من (35) بنداً وذلك لتناسب المهام والصور بين الاختبارين وقد بلغ معامل الارتباط بينهما (0.87) مما يدل على صدق اختبار SAGES-2 بدلالة محك رافن. وتم حساب معاملات الارتباط بين درجات الطلاب على اختبار SAGES-2 ودرجاتهم على المستويات (C,D,E,F) من اختبار القدرات المعرفية CogAt وجدول.9 يبين معاملات الارتباط بينهما:

جدول.9 يبين معاملات الارتباط بين اختبار SAGES-2 واختبار CogAt ببطارياته المختلفة وفق المراحل العمرية المختلفة

الاختبار الفرعي	العمر:	11			12			13			14			العينة الكلية		
SAGES-2		CogAt: C			CogAt: D			CogAt: E			CogAt: F					
الاختبار الفرعي		لفظية	كمية	غير لفظية	لفظية	كمية	غير لفظية	لفظية	كمية	غير لفظية	لفظية	كمية	غير لفظية	لفظية	كمية	غير لفظية
الرياضيات /العلوم		45	77	58	27	78	44	22	96	36	14	95	45	28	97	55
اللغة /الدراسات الاجتماعية		91	41	21	90	24	09	89	08	33	79	14	33	93	34	28
الاستدلال		17	39	88	11	63	87	11	35	91	14	46	94	22	58	96

يلاحظ مما ســـبق وجود ارتباط ما بين درجات الطلاب في المراحل العمرية التي تضـــمنتها عينة الدراســـة واختبار CogAt، حيث تراوحت معاملات الارتباط بين اختبار الرياضـــيات/ العلوم والبطارية الكمية من اختبار CogAt بين (77- 97)؛ في حين تراوحت معاملات الارتباط بين اختبار اللغة /الدراســـات الاجتماعية والبطارية اللفظية من اختبار CogAt بين (93-74)؛ وتراوحت معاملات الارتباط بين اختبار الاستدلال والبطارية غير اللفظية من اختبار CogAt بين (85-96). **مما يدل على الصدق التلازمي لـ SAGES-2 بدلالة محكي رافن وCogAt.**

السؤال الخامس: وينص" ما دلالات الصدق التمييزي للاختبار؟" لحساب هذا النوع من الصدق تمت مقارنة أداء ثلاث مجموعات على اختبار SAGES-2 وهي (الموهوبون، المتفوقون، العاديون) يبين جدول.10 المتوسطات والانحرافات المعيارية و(ن) لكل مجموعة من مجموعات المقارنة:

جدول. 10 يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات مجموعات الدراسة (موهوبون، متفوقون، عاديون) على الاختبارات الفرعية لـ SAGES-2 والدرجة الكلية.

الاختبار / المجموعة		ن	المتوسط	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري
الرياضيات	موهوبون	91	26.9011	1.91517	.20076
	متفوقون	53	22.0566	1.70311	.23394
	عاديون	47	10.5745	1.82667	.26645
	كلية	191	21.5393	6.85007	.49565
اللغة	موهوبون	91	26.5055	2.45571	.25743
	متفوقون	53	19.9811	1.33720	.18368
	عاديون	47	10.1064	3.23187	.47142
	كلية	191	20.6597	7.06544	.51124
الاستدلال	موهوبون	91	29.3407	3.05585	.32034
	متفوقون	53	23.2453	3.12500	.42925
	عاديون	47	10.2979	2.36749	.34533
	كلية	191	22.9634	8.22408	.59507
كلية	موهوبون	91	82.7473	5.41929	.56810
	متفوقون	53	65.2830	4.19880	.57675
	عاديون	47	30.9787	5.48710	.80038
	كلية	191	65.1623	21.52183	1.55727

تشير النتائج إلى وجود فروق بين متوسطات فئات الدراسة على الاختبارات الفرعية كما أظهرها المتوسطات الحسابية، وللتحقق من دلالات الفروق بين الفئات الثلاثة تم استخدام تحليل التباين الأحادي One- Way Anova كما يبينها جدول.11:

جدول.11 يبين نتائج تحليل التباين الأحادي لدرجات الطلاب في مجموعات (الموهوبون، المتفوقون، العاديون)

		مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	الدلالة
الرياضيات	بين المجموعات	8281.026	2	4140.513	1226.955	.000
	ضمن المجموعات	634.429	188	3.375		
	الكلية	8915.455	190			
اللغة	بين المجموعات	8368.683	2	4184.342	704.765	.000
	ضمن المجموعات	1116.196	188	5.937		
	الكلية	9484.880	190			
الاستدلال	بين المجموعات	11244.663	2	5622.331	658.123	.000
	ضمن المجموعات	1606.081	188	8.543		
	الكلية	12850.743	190			
كلية	بين المجموعات	83061.048	2	41530.524	1578.941	.000
	ضمن المجموعات	4944.920	188	26.303		
	الكلية	88005.969	190			

نلاحظ من الجدول السابق أن قيمة الإحصائي (ف) للفروق بين المجموعات الثلاثة التي تضمنتها عينة الدراسة (الموهوبون، المتفوقون، العاديون) على اختبار الرياضيات والعلوم، واللغة والاستدلال كانت دالة جميعها عند (0.05) مما يدل على أن الفروق بين المتوسطات بين درجات الطلاب في العينات الثلاث هي فروق دالة إحصائياً على الاختبار ككل وعلى الاختبارات الفرعية المكونة له، ولمعرفة مصادر الفروق تم استخدام (Scheffe)، حيث بينت نتائج فحص اتجاهات الفروق أن الفروق كانت دالة ولصالح فئة الموهوبين والمتفوقين مقارنة مع العاديين، وعند مقارنة الفروق بين المتفوقين والعاديين كانت الفروق لصالح المتفوقين، وذلك في الاختبارات الفرعية الثلاثة والدرجة الكلية للاختبار، مما يدل على أن الاختبار يتمتع بقدرة تمييزية عالية تمكنه من التمييز بين أداء الموهوبين والعاديين، من جهة والمتفوقين والعاديين من جهة ثانية، والموهوبين والمتفوقين من جهة ثالثة، ويدعم بالتالي البناء النظري لاختبار SAGES-2 الذي يفترض أن الاختبار بني للكشف عن فئة الموهوبين.

السؤال السادس: وينص "ما دلالات الصدق التنبؤي للاختبار بدلالة محك التحصيل الدراسي كما تعبر عنه المعدلات التراكمية لعينات الطلاب في نهاية العام الدراسي 2016؟." تم حساب معاملات الارتباط بين اختبار SAGES-2 ودرجاتهم التحصيلية في نهاية العام الدراسي بالنسبة لكل سنة كما يبينها جدول.12:

جدول.12 يبين معاملات الارتباط بين الدرجات الفرعية لاختبار SAGES-2 والدرجات التحصيلية

العامل العام	الخامس	السادس	أول متوسط	ثاني متوسط
اختبار الرياضيات /العلوم	**71	**69	**69	**77
اختبار اللغة/ الدراسات الاجتماعية	**70	**72	**72	**78
الاستدلال	**78	**80	**81	**85

يلاحظ من جدول أن معاملات الارتباط بين درجات الطلاب التحصيلية في نهاية العام الدراسي ودرجاتهم على اختبار SAGES-2 كانت دالة ومرتفعة مما يدل على أن للاختبار قدرة تنبؤية بالتحصيل الدراسي اللاحق للطلاب في كافة المراحل الدراسية التي يغطيها الاختبار.

خلاصة واستنتاجات:

يمكن تلخيص الهدف الرئيسي للدراسة الحالية في إعداد صورة سعودية لاختبار SAGES-2 للكشف عن الطلاب الموهوبين في المملكة، وتوفير بعض دلالات الثبات والصدق لهذه الصورة للتأكد من صلاحية الاختبار للاستخدام بفعالية في الكشف عن الموهوبين من الطلاب في المرحلة العمرية بين (14-11) سنة، ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف عمدت الباحثة إلى إعداد صورة معربة للاختبار بالاستعانة بعدد من الخبراء والمختصين، ودراسة هذه الصورة من خلال " مقابلتها" مع الصورة الأجنبية الأم. كما تم استخدام تشكيلة واسعة من طرائق الثبات والصدق في دراستها، مستندة إلى أداء عينات عديدة من الطلاب. زودت دراسة الصورة المعربة لاختبار SAGES-2 في المرحلة الأولى من مراحل هذا العمل مؤشرات أولية حول تعادل الصورة المعربة مع الأصل الاجنبي، مما دفع إلى الانتقال للمرحلة الثانية وهي استخراج معاملات الصعوبة للاختبار وترتيب بنود الصورة السعودية وفقها، وتم تعديل زمن الاختبار الأصلي في ضوء أداءات العينة السعودية. ومضت الباحثة قدما إلى المرحلة الثالثة التي استهدفت إعداد المحكات التي استخدمت لحساب الصدق المحكي (التلازمي) للاختبار، وتمثلت: باختبار القدرات المعرفية ((CogAt حيث قامت الباحثة بتطبيقه على عينة من الطلاب بهدف حساب مؤشرات صدقه وثباته على المجتمع السعودي، وقد حقق الاختبار ببطارياته الثلاثة تحليلاً عاملياً مقبولا أظهرت فيه تلك البطاريات تشبعاً مرضياً على العامل العام G، وحقق مؤشرات ثبات بطريقة ألفا كرونباخ وثبات الإعادة مرتفعة؛ واختبار رافن للمصفوفات المتتابعة الذي قام النفيعي (2001) بحساب صدقه وثباته على البيئة السعودية، ج) درجات الطلاب التحصيلية متمثلة بمعدلاتهم التراكمية نهاية العام الدراسي وذلك لحساب الصدق التنبؤي للاختبار، وقد حقق الاختبار صدق محكي جيد عندما قورنت درجات الطلاب في اختبار SAGES-2مع درجاتهم في محكات الدراسة وهي الـ CogAt ورافن. اسفرت نتائج الدراسة الحالية عن ظهور دلالات يمكن أن توصف بأنها مرتفعة إلى حد ما لثبات الصورة السعودية المقترحة للاختبار بطريقة الإعادة، كما أسفرت عن ظهور دلالات أخرى أقوى بوضوح لثبات هذه الصورة بطريقة الاتساق الداخلي استندت على حساب ترابطات البنود التي تتضمنها، كل على حدة، مع بقية البنود والتي كانت دالة في معظمها، تخطت جميع دراسات التقنين مثل دراسة حسين (2008) ودراسة طراد (2007) ودراسة مراد (2005)، كما الدراسات الاجنبية للاختبار، هذا بالإضافة إلى ظهور مؤشرات مهمة أخرى للاتساق الداخلي باستخدام معامل كرونباخ ألفا. من جهة ثانية، استخدمت طريقة الفرق المتقابلة لدراسة الصدق التمييزي لاختبار SAGES-2، لمقارنة أداء الموهوبون والمتفوقون، والعاديون، وذلك باستخدام تحليل التباين الأحادي One-Way ANOVA لدراسة الفروق بين متوسط أداء المجموعات الثلاث على الاختبارات الفرعية المكونة للاختبار والتي أسفرت عن تفوق الموهوبين على المتفوقين والعاديين، وتفوق المتفوقين على العاديين كذلك، مما وفر دليلاً هاما للصدق التمييزي لهذا الاختبار. والإجراء الأخير الذي استخدم في دراسة صدق الصورة السعودية المقترحة تمثل في دراسة الارتباط بين درجات عينات الطلاب طبق عليهم الاختبار في أول العام الدراسي ودرجاتهم التحصيلية في نهايته، وقد أظهرت النتائج قوة مستوى صدق الاختبار التنبؤي بدلالة محك التحصيل. واستناداً إلى النتائج السابقة بمجموعها يمكن القول: إن المؤشرات السيكومترية التي أمكن توفيرها للصورة السعودية المقترحة لاختبار SAGES-2 تسوغ إلى حد بعيد ترشيح هذه الصورة للاستخدام في البيئة السعودية والبيئات المشابهة من مجلس التعاون الخليجي لتلبية أغراض الكشف عن الموهوبين أو الأغراض البحثية أو الارشادية خصوصاً أن الاختبار يزود القائمين على العملية التربوية ببروفيل تشخيصي يبين نقاط القوة والضعف في مصادر كل طالب المعرفية اللفظية والرياضية والعلمية والاجتماعية بالإضافة إلى الاستدلال المنطقي.

وتوصي الباحثة بإجراء المزيد من الدراسات التي تستهدف إجراء تقنين للاختبار على البيئة السعودية، وتغطي مراحل صفية وعمرية أوسع، كما توصي بإجراء دراسات بحثية معمقة للكشف

عن فعاليته بانتقاء الموهوبين في المملكة، وإجراء دراســـات مقارنة بين دول الخليج للكشـــف عن الفروقات الحضارية بين الموهوبين.

المراجع

أبو هاشم، السيد محمد (2003). محكات التعرف على الموهوبين والمتفوقين " دراسة مسحية للبحوث العربية في الفترة من عام 1990 إلى 2002". **مجلة أكاديمية التربية الخاصة**، ع3، ص 31-73.

أحمد، ســـمية علي عبدالوارث (2010). **أســـاليب الكشـــف عن الموهوبين**. المؤتمر العلمي (إكتشـــاف ورعاية الموهوبين بين الواقع والمأمول).مصر, ص ص 757 775.

جروان، فتحي.(2002). **أســاليب الكشــف عن الموهوبين والمتفوقين ورعايتهم**. الطبعة الأولى. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

حسين، ليلى علي (2008). تعيير اختبار SAGES-2 للكشف عن الموهوبين في المرحلة الابتدائية والمتوسطة في مملكة البحرين، **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة الخليج العربي، البحرين.

الطراد، ماجد محمود حمد (2007) تطوير بطارية اختبارات للكشــف عن الموهبة لأطفال الصــفوف من الســادس وحتى التاسع الأساسي في الأردن، **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة عمان للدراسات العليا.

عبود، يسـرى (2007) رائز القدرات المعرفية " CogAt "البطارية المتعددة المسـتويات دراسـة ميدانية للبطارية وتعييرها في محافظة دمشق، **رسالة دكتوراه غير منشورة**، جامعة دمشق.

عطا الله، صـلاح الدين فرح (2008) **تطوير "دليل أساليب الكشف عن الموهوبين في التعليم الأساسي"** المؤتمر السادس لوزارة التربية في البلاد العربية (تربية الموهوبين خيار المنافسة الأمثل).

الكيلاني،عبد الله؛ والروسان، فاروق.(2006). **التقويم في التربية الخاصة**. عمان: دار المسيرة.

مراد، عودة ســليمان عودة (2005) تطوير اختبار (SAGES-2) للكشــف عن الطلبة الموهوبين في الفئة العمرية من (15-9) سنة في اللبيئة الأردنية، **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة مؤتة.

النافع، عبد الله.، والقاطعي، عبد الله، والضـبيان، صـالح، والحازمي، مطلق، والسـليم، الجوهرة. (2000). **برنامج الكشف عن الموهوبين ورعايتهم**. الرياض: مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

النفيعي، عبدالرحمن عبدالله (2001) تقنين اختبار رافن للمصـــفوفات المتتابعة المتقدم على طلاب المرحلتين المتوسطة والثانوية بمكة المكرمة. **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة أم القرى.

Bethge, H. (1982). The Effects of Dynamic Assessment Procedures on Raven Matrices Performance, Visual Search Behavior, Test Anxiety and Test Orientation**. Intelligence, 6 (1),** 89-97.

Boolootian, R. (2005**). ABSTRACT OF SYMPOSIUM. In "A Comparison of Assessment Techniques in the Identification of Gifted Learners", A Symposium for the World Council for Gifted Children**. On Sunday, August 7 th, New Orleans.

Brace, H. (1997) The criterion prediction validity of the SAGES-2(4:8) scores and the Stanford achievement complete battery scores test pro.ed.

Coleman, M. (2003). The Identification of Students Who Are Gifted. **ERIC Digest number E644**.

Cramond, B.(1997). The Use of Multiple Criteria for Identifying Gifted Students**. Roeper Review, 20 (2)**, A1-A8.

Feldhusen, J., Hoover. S., & Saylor, M. (1990). **Identification of gifted students at the secondary level**. Monroe, NY: Trillium.

Fultz, M.(2004). **Psychometric Validation of the Hispanic Bilingual Gifted Screening Instrument (HBGSI)**. Unpublished PhD Dissertation, Prairie View University: USA.

Gillian, Carpenter and Christersen (1996) The criterion prediction of the SAGES-2-k:3 and the gifted and talented evaluation scales.

Heller, k. (1993). Structural tendencies and Issues of research on giftedness and talent. In Heller, K.et al (Eds). **International handbook of research and development of giftedness and talented. (49 – 67)**. Oxford: Pergamon.

Homeratha, L.(1978). Screening and Identification Model for Title IV-C: Primary Gifted Education. **http://search.ebscohost.com/login**.

Impra, C. J & Plak,C. B.(1998) **The thirteen mental measurement yearbook**. The Buros Institute of mental, Nebraska.

Johnsen, S.(1997). Assessment Beyond Definitions. **Peabody Journal of Education, 72(3&4)**, 136-152.

Johnsen,S.K.(2004). Identifying Gifted student's: A Practical Guide. Prufrock press.inc.

kanevsky, L. (1993). Dynamic Assessment of gifted students. In Heller, K. et al (Eds). **International handbook of research and development of giftedness and talented (283 – 295)**. Oxford: Pergamum.

Kirr,B.(2009). Encyclopedia of giftedness and talent. SAGE publication inc.

Lidz, C.(1991). **Practioners guide to dynamic assessment**. New York: Guilford.

Moor.S.D (1994) Review of the SAGES and SAGES-P, Roeper Review, v16 n1 p54-57.

Pedro, S ,E (2003 (Methods and procedures in screening gifted Mayan students. journal for education of the gifted, 14(2).

Pfeiffer, S. (2003). Challenges and Opportunities for Students who are gifted. Gifted Child Quarterly, 47(2), 161-169.

Roach, P.(1986). Identifying the Gifted: A Multiple Criteria Approach. **Clearing House, 59 (9),** 393-395.

Urbina.C (1997) Correlation between SAGES-2(4:8) and Wechsler intelligence scale for children WiscIII, pro.ed test.

Woods, M.B (2005) Factors affecting the degree of participation among enrichment program attendees. Doctoral dissertation. Baylor University.